قناديل متوهجة

من أفضل ٩٩ شخصية سودانية

تأليف

عادل طه حاج الطاهر

بطاقة الكتاب

قناديل متوهجة

عادل طه حاج الطاهر

ترجمات ذاتية

رقم الإيداع : ١٩٩٤٨ / ٢٠١٩

الطبعة الأولى

عدد الصفحات : ٢٣٦

تاريخ الإصدار: أكتوبر ٢٠١٩

الإخراج الفنى و المراجعة اللغوية

دار وادي عبقر للطباعة و النشر

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

المدير التنفيذي

لمياء حمدي

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار
نشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب إلا
بموافقة كتابية من الكاتب والناشر

دار وادي عبقر

للطباعة و النشر و التوزيع

بيت الإبداع .. و موطن العباقرة

wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr

wadiabkar@gmail.com

www.facebook/ wadiabkar

www.youtube.com/ wadiabkr /

٠١١٤١٧٢٨٦٢٥

ت : ٠١١٠٠٤٧٤٥٧٥

ت : ٠١٢٢٤٩٦٩٠٤٨

ت : ٠١٢٢١٤٨١٨٥٦

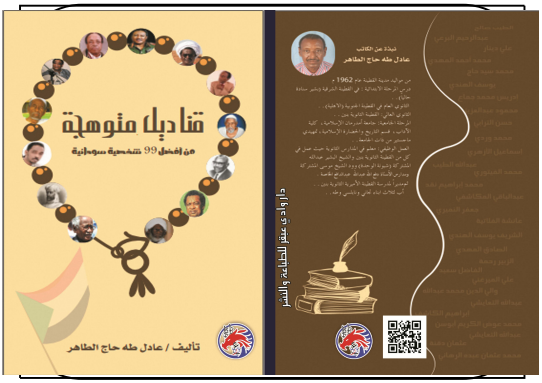

إهداء

إلي كل من يرف قلبي عند لقائه... إلى كل من تنبسط أساريري فرحاً بمقدمه و"أهشُّ" طرباً وتمايلاً له، إلى روح امي الرؤوم .. وروح أبي العزيز .. وروح أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي..وأخص الوالد العزيز الشيخ أحمد حاج الطاهر..إلى روح زوجتي الحبيبة رقية الشيخ أبوالقاسم الشيخ حبيب الله... الى أحبابي ومن هم أخواني اكثر من هم ابنائي تجاني، نابلسي وطه والابن حسن عزالدين طه والابن احمد عوض احمد الحسين والابن عادل عبد الرحمن الطيب موسى، والابن عوض الكريم بله علي، إلى اخواني عوض الله وعزالدين وزوجاتهم وذرياتهم، الى اخي الاستاذ عبدون حامد علي شريف، وأخي الأستاذ عمر صالح علوبه، إلى روح شيخي الوقور الشيخ إبراهيم الشيخ محمد أحمد كبيش وإلى خليفته الشيخ الكاظم، وإلى الشيخ الكامل الشيخ ابراهيم..

إلى كل من علمني حرفاً؛ وأخص روح أستاذي الشيخ عبدالله عبدالدافع وأستاذي عبدالخالق أحمد كورينا، إلى أستاذى الدكتور عبدالرحيم عمر محي الدين، إلى مُدرائي في المدارس التي ضمنتني اليها؛ الأستاذ دفع الله عبدالله عبد الدافع، الأستاذ عبد الرحمن عبدالله والأستاذة رجاء عبد الحفيظ على إلياس، إلى زملائيَّ في مدرسة الأستاذ دفع الله.. وأخص الاستاذ إسماعيل يحيى وكذلك زملائي في مدرسة القطينة بنين ومدرسة الشيخ البشيرعبدالله بشبونه الوحدة ومدرسة ود الشيخ موسى ومدرسة أبوعجاج المشتركة ومدرسة دار الأسد المشتركة.

إلي طلبتي المنتشرين على نطاق المعمورة من علمته حرفاً وعلمني أدباً وذوقاً وعرفاناً، إلى جميع أحبابي .. من نسيته قبل الذي تذكرته.. إلى كل هؤلاء أُهدي باكورة إنتاجي.. (قناديل متوهجة)

شكر وتقدير

الحمد لله الذي علمَّ بالقلم، علمَّ الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على حبيب الله، سيدنا محمد بن عبدالله، المبعوث هدى ونوراً، وعلى آله واصحابه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

فقد جاء في الأثر "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" ويمتد هذا الشكر ليصل إلى رقاع ممتدة في اجزاء هذا الفضاء غير المحدود وإلى اساتِذة أجلاء كان ديدنهم الصبر الجميل وتصويب وتصحيح ذلك الكتاب والاساتِذة سيد الحسن والتاج مكي عثمان عبدالمجيد ومنال محمد احمد عبدالقادر وامال سعيد مختار الفكي وفرع الزين ابراهيم عبدالرحمن محمد وتجاني عادل. وكذلك الشكر للدكتور عبدالعظيم احمد عباس الذي راجع الكتاب من ناحية تاريخية.

والشكر أجزله إلى هذا الموبايل العزيز ولا أدري أيُنا صبر على الآخر، ولكنه في نهاية المطاف أوصلني إلى بر الأمان، رغم أنه (مره يسرح ومرات يروق) وعرفني على العم قوقل الذي لديه علاقات واسعة، والشكر أجزله إلى ذلك العم المذكور.

والشكر يمتد لكل من ساهم في هذا الكتاب برأي أو فكرة أو نقد أو توجيه أو إرشاد حتى خرج هذا الكتاب إلى أرض الواقع.

مقدمة

السودان هو كلمة تعرف بها الآن جمهورية السودان بحدودها المعلومة، والمتنازع عليها و أصل الكلمة ترجع لإستخدام العرب لها ، حيث عرّف بها العرب الجنس القادم لهم من إفريقيا، وهو شريط جغرافي طويل يمتد من ساحل البحر الأحمر شرقاً حتى ساحل المحيط الأطلسى غرباً، وتشمل هذه المنطقة السودان، اثيوبيا، تشاد، إفريقيا الوسطى، النيجر، نيجيريا، غامبيا، مالى، غينيا، ساحل العاج، بنين، سيراليون والسنغال وغيرها من الدول ولكن هذا الاسم اصبح (ماركة مسجلة) لتعرف به جمهورية السودان، أما البلاد الأخرى المذكورة فإنها لم تجد صعوبة في إختيار اسماء لها غير اسم السودان.

إن التاريخ هو (المائدة العامرة) الذي يجد فيه كل انسان سلواه، نتعلم منه بهدوء، ثم نتصرف وفق ما علمنا وهو نتاج لمجهودات شخص ما، أو عدة شخوص تحركت على خشبة المسرح، وكان لها إبداعات مختلفة فى مختلف مناحي الحياة، قد يكون سياسياً أو مصلحاً اجتماعياً أو رجل دين أو عالماً متمكناً في تخصصه أو اديباً أو غيرها من الصفات المختلفة ونتعلم من تلك الإبداعات المختلفة لنستفيد منها فى سلوكنا فى الحياة. وقد حاولت الدول المختلفة أن تجمع معلومات لبعض الشخصيات وتعمل لها تعريفاً مبسطاً ومنذ اقدم العصور ظهرت بعض الكتابات التي تعرف ببعض الشخصيات.

وعندما إنبلج فجر الاسلام تواصل ذلك الجهد الإنساني حيث كان إهتمام المسلمين كبيراً بالتعريف بسيرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) واستقصاء أخبار الفتوحات الإسلامية، والوقوف على أسباب التنزيل ورواية الحديث ومن هنا نشأ التاريخ الإسلامي، وكانت هذه النشأة نتيجة طبيعية لتلك العوامل المذكورة حيث تم تدوين التاريخ الإسلامي.

ثم تواصلت التعريفات حتى العصر الحديث حيث حدثت نقلة كبرى بواسطة الأمريكي "مايكل هارت" وكتابه "الخالدون المائة" ، وهو عبارة عن قائمة إحتوت على اسماء مائة شخص رتبهم حسب تأثيرهم في التاريخ، على حسب وجهة نظره ، ووضع شخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كأول شخصية في كتابه.

أما هنا في بلدنا الحبيب حيث بدأ ودضيف الله سلسلة التراجم للشخصيات التي أثرّت في التاريخ السوداني، وتواصل ذلك النهج في التراجم، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري ، معالم وأعلام، لصديق محمد أحمد البادي. موسوعة القبائل والأنساب في السودان للدكتور عون الشريف قاسم وعدد آخر من التعريفات المختلفة. وحديثاً ظهر كتاب انيق للكاتب الكبير وائل مبارك خضر بعنوان أعظم عشرين شخصية سودانية في القرن العشرين، وهو قفزه نوعيه في الفكر السوداني.

حاولتُ قدر المستطاع أن أقتفى أثر ذلك السلف الصالح، وأن أجمع لبعض الشخصيات السودانية التي أثرت فى تاريخ الحياة السودانية منذ قيام الدولة المركزية، وأعنى بها سلطنة الفونج الإسلامية، وحتى العام ٢٠١٩ وهذه الشخصيات لها تأثير -

بحسب وجهة نظري- فى جميع مجالات الحياة الدينية، السياسية، الثقافية، الإقتصادية والعلمية.

وأن تكون هذه الشخصيات سودانية وأن تكون هذه الشخصية ليست على قيد الحياة، وتم استثناء السيد الصادق المهدي لأنه رقم مهم في تاريخ الحياة السودانية.

أما من ناحية ترتيب الشخصيات، فقد اتبعت فيها الترتيب التاريخي من حيث الميلاد، إلا ما إقتضته الضرورة، فقد يكون هنالك فارق عمري بسيط بين بعض الشخصيات من ناحية الترتيب وهذا الفارق يعود إلى إني وضعت بعض الشخصيات ذات اللونية الواحدة في إطار واحد.

وقد وضعت هذه الشخصيات بهذا الترتيب حتى تسير المعلومة التاريخية في اتجاه تسلسلي فهنالك بعض الأحداث مرتبطة بعدد من الشخصيات مثال لذلك الثورة المهدية وأحداث ثورة ١٩٢٤م ومؤتمر الخريجين وغيرها.

القارئ الكريم المفضال، ليس هنالك كمال مطلق، نحاول أن نلتمس بعض الطرق علها توصلنا إلى سكة السلامة، فهؤلاء القناديل كانت مصابيحهم متوهجة تضئ لنا هذه السِكك.. فإن نجحنا في ما قدمناه عنهم فالفضل لله وحده وان كانت هنالك هنات فليعذرنا القارئ الكريم في ذلك ولكم العتبى حتى ترضوا.

١ - عَمارة دُنقس

الذي "لاتنطتح فيه عنزان، ولا يتنازع فيه اثنان" إن دولة الفونج الإسلامية هي التي وضعت اللّبنات الأولى لأسلَمة وتعريب السودان، والذي قبل هذه الدولة بعيد كل البعد عن الإسلام، وحتى الذي أسلم لا يعرف عن الإسلام إلا الاسم.

تأسست مملكة سنار عام ١٥٠٤م وكانت تعرف بمملكة الفونج، أو السلطنة الزرقاء، أو الدولة السنارية، نتيجة لتحالف بين قبائل الفونج بقيادة عمارة دنقس، وقبائل العبدلاب بقيادة عبدالله جماع.

هنالك روايات كثيرة عن أصل الفونج توضح البلبلة والإضطراب في تفسير أصلهم بين "الشُلك"، والتي مال إليها الرحالة جيمس بروس، أما المؤرخ آركل فقد مال إلى الأصل البرناوي، وهنالك نظريات تُرجّح الأصل الحبشي، ورواية أخرى تقول لا هذا ولا ذاك، ولكن هم عرب من بني أمية فروا من بطش العباسيين، واتجهوا نحو بلاد السودان عن طريق الحبشة، وهذه الرواية هي التي تجد ترجيحاً وقبولاً، لأن الفونج أنفسهم يقولون إنهم عرب من بني امية. ولكن الشيء الذي لا خلاف عليه أن الفونج شعب قدم من أعالي النيل الأزرق، وسيطر على الجزء الجنوبي من الجزيرة، ثم امتد نفوذه إلى مناطق اخرى.

وقعت مملكة عَدَوة المسيحية بين شقّي الرحى، حيث العبدلاب وزعيمهم عبدالله جماع، في الناحية الشمالية، أما من الناحية الجنوبية والجنوبية الشرقية فيوجد الفونج وزعيمهم المتطلع عمارة دنقس.

هناك عدة روايات عن الإتفاق الذي تم بين الزعيمين عمارة دنقس، وعبدالله جماع في القضاء على مملكة علوة المسيحية، ولكن الرواية الأكثر شيوعاً، أن عبدالله جمّاع أراد القضاء علي مملكة علوة، وفي الجانب الأخر أراد دنقس أيضا القضاء على تلك الدولة

ماذا حصل؟

كان من الطبيعي أن يتّحِدا ويُواجِها العدو المشترك، من الرئيس ومن المرؤوس؟ لايهم، المهم الآن إقتلاع الرمز المسيحي، ولكن رغم ذلك جلسا واتفقا، ووضعا النقاط على الحروف، أن يكون عمارة مقدم على عبدالله، وواضح من هذا الإتفاق أن أكثرية الجيش والمؤن والاسلحة اغلبيتها بحوزة عمارة.

ماذا عن "سوبا" يا عمارة؟

الواضح أنها أشباه مدينة، كانوا في تنازع من ناحية دينية، وينقسمون إلى فرقتين، أتباع الملك، وأتباع الكنيسة.

وبالإضافة إلى ذلك صراعات أخرى، حتى أنتِ يا "عَجوبة" لم تقصّري، فقد حرقتي سوبا، ولا نريد أن ندخل في تلك الأساطير، لأن مكانها ألف ليلة وليلة.

وحصل الإتحاد بين عمارة دنقس وعبدالله جماع، وكانت سوبا مكشوفة أمامهما، ولم يكن عسيراً عليهما أن يدخلا سوبا بعد أن وضعا كل خطوة في مكانها الصحيح، وقد اكتملت الآن العدة والعتاد وزحفا نحو سوبا، وحينما تسامع ملك النوبة بقدوم جيش المسلمين، وأن رجالاً قلة لاذوا بالفرار، وأن المسلمين انتصروا عليهم في معركة قرب أربجي ١٥٠٤م. وهنالك رواية أخرى تقول أن العبدلاب كانوا قد أسقطوا مملكة علوة دون مساعدة الفونج عام ١٥٠٠م وأن الفونج هاجموهم في عام ١٥٠٤م في أربجي وهزموهم، وتقاسموا معهم الملك بعد ذلك.

ومهما يكن من حال الروايتين، فان السلطان عمارة قد دخل سوبا، كان السطان لايريد أن تقوم للمسيحية قائمه في بلاد السودان، ولذلك تكفّل بتدمير سوبا تدميراً تاماً، حيث هدم الجدران والحيطان.

ثم اتجه إلى مملكة علوة. التي لها مدينة كبيرة تقع شماليّ سوبا، وألحق بها دماراً تامّاً، وهكذا قضى على مملكة علوه المسيحية.

بعد ذلك تم تنفيذ الإتفاق على أرض الواقع، حيث أصبح عمارة دنقس ملكا على البلاد، فيما أصبح عبدالله جماع وزيراً عاماً لشؤون المملكة، وكان مقره في مدينة "قرّي".
أما عمارة دنقس فقد جعل سنار عاصمة له، كانت مدينة هائلة، يقال أن اسمها الأصلي (سن النار) ، فإن كان هذا كذلك، فإنه يدل على القوة والمنعة، وهي علي كل حال مدينة متوسطة الحال.

أنها مدينة تجارية، ولها أهميه قصوى، وذلك لأنها ملتقي لطرق التجارة. ولهم مراسيم معينه لتتويج السلطان، السلطان يلبس قفطان وعباءة، حتى تكون له الهيبة والسلطة والصولجان. وكذلك يلبس طاقيه (أم قرينات)، ويجلس على كرسي العرش الذي يعرف (بالككر)، ثم يتقدم الوزير الأول، وهو بمثابة رئيس الوزراء لمبايعته، وتأكيد على أن العلاقه (سمن علي عسل).

أمّا من ناحية تسيير عمارة دنقس لأمور دولته، ومن ناحيه إقتصادية فإن دولته لم تبلغ ثراء ممالك عدد سكانها حوالي عشرة ألف نسمة، ومبانيها من الطين والقش. ورغم ذلك التواضع إلا غرب إفريقيا: كصونقي وغانا، ولكن الأمر ميسور. حيث أن البضائع تأتي من مصر، الحجاز والهند، وهذا عن طريق البحر، أما الطرق البرية فلها أهمية في نقل البضائع من كردفان، الحبشة وأثيوبيا.

وجرت التجارة في الذهب، سن الفيل، الخيل، الجلود والأبنوس. كانوا يتعاملون بقطع من الدمور، وهنالك عملة تركية حديدية، ودخل الدولة يعتمد على الزكاة، الفطرة، والجزية.
انه فى أغلب الروايات ان عمارة دنقس مات سنة ١٥٣٣م وخلفه ابنه عبدالقادر.

٢ - عبد الله جمَّاع

هو عبدالله بن محمد الباقر بن علي بن شهوان الشهير بعبدالله جماع، جد قبائل العبدلاب المشهورة في السودان، وهى تنتسب إلى محمد بن الحسن العسكري، الإمام الثاني عشر عند الشيعة.

كان شهوان مقيماً بمصر في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، ثم رحل ابنه علي إلى المدينة المنورة، وهنالك في هذه الارض الطاهرة ولد ابنه محمد، والذي هاجر إلى السودان عبر سواكن، وأنجب ابنه عبدالله جمَّاع، والذي لقب بذلك الإسم لأنه جمع القبائل من بعد فرقة وشتات.

تزوج عبدالله عائشة بنت حمد أبو دُنَّانه، الفقيه الصوفي المشهور، ويقال أنه أول من أدخل الطريقة الشاذلية في السودان، أنجبت له عجيب المانجلك، والذي تسلم الراية بعد وفاة والده، بيضاء من غير سوء أو كدر. وله أبناء خالاته هم من ركائز العلم والمعرفة فى السودان، وهم الشيخ محمد ود عبد الصادق والشيخ إدريس ود الأرباب والشيخ محمد سوار الدهب والشيخ شرف الدين والشيخ عبد الله الأغبش والشيخ عمر ود بلال.

ولقد ذهب به والده في سن مبكرة إلى مكة المكرمة ليحفظ القرآن الكريم، وليتعلم علوم الشرع القويم، وتم له ما أراد من ذلك.

مضى عبدالله جماع، ويعلم أن تعرجات الطريق قد تقوده إلى الهاوية، وهو أمام خصم شرس يعرف كل أساليب النزال، وهم العنج، وهذا المسمى لقبائل الشمال التي كانت تعتنق المسيحية، إلا أن نور الإسلام أصبح ينسل رويداً رويدا، ورغم ذلك إلا أن الإسلام والمسيحية ظلا في تسامح وتفاهم وانسجام.

مضى عبدالله في طريق تجميع القبائل وتوحيد كلمتهم، حيث عمل سلطاناً يدير شؤونهم، ويخرجهم مما كانوا فيه من الضعف، على أن القبائل بايعته على محاربة العنج، وصارت المدن تتساقط أمامه مثل لوح ثلج في يوم صيف قائظ.

تكاثرت الروايات والنتيجة واحدة، هنالك عمارة دنقس يريد أن يقضي على هذه المملكة، أما عبدالله فيحوم حول الحِمى، لماذا لا يصبحان سرباً واحداً يغردان سوياً؟ وهذا ما حدث، وحدث الإتفاق أن يكون عمارة مقدماً على عبدالله، وافق عبدالله، فالمهم الآن "أنا وابن عمي على الغريب".

مضى الحلف في طريقه المرسوم له وبدقة، كأنه قطار يسير بين شقي القضيب، كان غبار الجيش يغطي السحاب المركوم، أمّا فجيج أصواته فتهتز لها القلوب، تقدم الجيشان أو الجيش الواحد فقد أصبحا روحين في بدن واحد.

على أن سوبا لم تكن هي سوبا نفسها، فقد قسا مِشرط الزمن عليها، لم تكن التجاعيد التي ظهرت عليها بفعل الزمن وحده، ولكن هنالك فرق دينية تتنازع وتتجاذب، أتباع الملك

يرون أنهم على حق، و أتباع الكنيسة فيرون أنهم هم الحق نفسه، في هذا الجو المشحون ضاع كل شيء

ودارت رحى معركة أربجي ١٥٠٤م وتطايرت الأشلاء، وانتصر الجيش وفتح بلادهم ومدنهم.

كان الحكم فدرالياً، ولعلها أول تجربة في التاريخ القريب، فنحن نعطي العالم دروساً في فنون الحكم.

تم بعد ذلك ترسيم الحدود بين الطرفين، حيث أصبح عمارة والفونج يشرفون على منطقة سنار وإقليم الجزيرة حتى أربجي شمالاً، اما العبدلاب فلهم المنطقة بين أربجي وحجر العسل، أمّا الأقاليم إلى الشمال من حجر العسل وحتى الشلال الثالث فقد كانت خاضعة لسلسلة من المشيخات شبه المستقلة، ولكنها تدين بالولاء للعبدلاب.

عمارة اختطّ سنار، أمّا عبدالله فذهب إلى قري، وخضعت له جميع البلاد الشمالية. وإستحوذ على غنائم يسيل لها اللعاب، ولكن على كل حال لعاب عبدالله في فيه، لأن الغنائم بين يديه، ومن هذه الغنائم تاج الملك المرصّع بالجواهر، وعقده الهيكلي المفصّل بالدر والياقوت، وصار ملوك العبدلاب يتوارثونه حتى قدوم الأتراك للسودان.

حينما أتت النهاية كان كل شيء مرتباً ومنظماً، وهنالك الابن فمن شابه أباه فما ظلم، وهو الشيخ عجيب المانجلك تولى القيادة عام ١٥٦٣م ووجه السفينة إلى بر الأمان.

٣ - إبراهيم البولاد

يا إلهي، السودان بلد مسكون بالإسلام، الإسلام ليس في الخلوة أو الجامع، يوجد في المنزل، المكتب والنادي، يوجد في كل شبر، في كل بقعة، إذا أقيمت الصلاة في الجامع، وأذن مؤذن واستمع له سامع، إذا نهى السلفي عن البدعة، واستمع له الناس مجتمعة، إذا دار حديث عن القصاص والوسواس الخناس، إذا حدث هذا أو ذاك، ألا يتذكر الناس من الذي أسهم في نشر الإسلام في السودان. شخصية قد لا يعرفها الغالبية العظمى من السودانيين، ولكن لها دور محوري في نشر الإسلام في السودان.

دخل الإسلام السودان ببطء شديد، التجار والبدو لهم أثر في نشر الإسلام في السودان، ولهم ثقافة إسلامية سطحية، ويحتاجون إلى معينات أخرى، وروافد غزيرة، من الرافد نعم، إنه هو: ندخل عالمك بهدوء.

أنه إبراهيم البولاد بن جابر بن عون بن سليم بن رباط بن غلام الله بن عائد اليمني، والذي يرجع نسبه إلى الامام الحسين بن علي، وينسب إلى قبيلة الركابية، التي لها الريادة في الجانب العلمي.

وقد قدم غلام الله من الخليلة باليمن، في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي، وفضل البقاء في دنقلا لنشر تعاليم الإسلام الحقّة، إذ هالهُ ما لقي من جهل وحيرة، لإنعدام المكون العلمي المتمثل في العلماء، وحينما دخل تلك المنطقة أنشأ المدارس لتعليم القرآن الكريم، وأصول الدين الإسلامي، ثم هاجر ابناء غلام الله إلى ديار الشايقية، وأنشأوا المدارس والخلاوي، وله الفضل وأخوته الثلاثة، إسماعيل، عبد الرحمن وعبد الرحيم، في نشر الإسلام، كما بلغت أختهم فاطمة درجة عظيمة من العلم والفلاح، ومنها انبثقت أسرة دينية لا تقل عن أولاد جابر شهرة، وأعني بهم (الصغيرونـاب) أحفاد ابنها محمد بن صغيرون بن سرحان، والذي تعلم على أخواله، ثم درس على البنوفري على إثر دعوة من السلطان بادي سيد القوم، ونزح إلى ديار الشايقية، عام ١٦١٣م حيث أسس في الفجيجة، جنوب شندي، مركزاً دينياً مثل مركز أخواله تحت قيادة ابنه وخليفته الزين، فاشتهرت تلك المدرسة حتى أطبقت شهرتها الآفاق، يقول عنه ود ضيف الله في كتاب الطبقات :

"وجلس في حلقة أبيه من بعده وشُدت إليه الرحال وضُربت إليه أكباد الإبل وطال عمره واشتهر ذكره، وأخذ عليه الأبناء والأحفاد، وبلغ تدريسه مختصر خليل خمسين ختمة، وبلغت حلقته ألف طالب وتلامذته صاروا شيوخاً".

ولد إبراهيم البولاد تقريباً عام ١٥٧٠م هو أعلم أولاد جابر حيث تعلم علوم دينية، لم يكن في السودان في ذلك الزمن إلا العلوم الدينية، حفظ القران على يد والده الشيخ جابر، هو وإخوته الثلاثة. من ثم سافر مصر ١٥٩٠م، وصلة السودان بمصر قديمة قدم ذلك النيل الجاري في تلك البوادي، لعل الرحلة كانت شاقة على ذلك الصبي، ولكن مهما حدث فقد نال

ما يصبو إليه، وتفقّه على العالم الأزهري الشيخ الجليل محمد البنوفري، إمام المذهب المالكي في القاهرة، وأخذ عليه علوم الفقه، الاصول والنحو، ثم رجع إلى جزيرة ترنج، وهي جزيرة تقع في أرض الشايقية، تقع على بعد خمسة أميال شمال نوري، ودرّس فيها التلاميذ علوم الفقه على المذهب المالكي، وهو أول من أدخل ودرّس المذهب المالكي في السودان، في عهد دولة الفونج. وقام بتدريس عمدة المذهب المالكي كتابي مختصر خليل بن إسحاق، ورسالة أبي زيد القيرواني، وجاءت إليه سيول من الطلبة لنهل العلم منه، ولذلك له الأسبقية والفضل في نشر مذهب الإمام مالك بالسودان، وما جاوره.

سبب تسميته بالبولاد، أن رجلاً أقسم أن يدخل في بيته جميع ما خلق الله، فأفتاه بوضع المصحف الشريف على سريره، واستدل بقوله تعالى : "ما فرّطْنا فِي الكِتابِ من شَئ" فقال له شيخه البنوفري أنت بولاد البر أو (البربر) والبولاد هو الحديد الصلب.

شُدت إليه الرحال من جميع أنحاء السودان، ودرس في مختصر خليل سبع ختمات (دورات دراسية) تخرج من بين طلابها أربعون رجلاً، صاروا كلهم علماء وفقهاء، وكانت مدة تدريسه سبع سنوات.

ونزل الشيخ إبراهيم بمملكة "الدقار"، بنى فيها مسجداً، وذلك في عهد الملك مسوا الكبير، وهذا المسجد قبالة قنتي شرقاً، وعند بنائه المسجد، وضع فيه خمسة أعمدة، وهذه الأعمدة ترمز إلى قواعد الإسلام الخمس، وصار ملوك الشايقية يحضرون لإستماع الدروس في المسجد، وبنى مساجداً أخرى في دار الشايقية، ومسجداً آخر في امري الزوات أو كورتي.

وخلفه على سجادة أولاد جابر أخوه عبد الرحمن الذي جلس للتدريس والفقه وسائر الفنون.

٤ - سليمان سولونق

دارفور إسم له معنى ومدلول، عرفت كيف تقيم دوله مركزية منذ عهود سحيقة، في وقت كانت الدويلات المركزية في كل العالم لا تساوي إلا عدداً قليلاً، لكِ الله أيتها الحبيبة.

يعتبر السلطان سليمان سولونق أول سلاطين الفور، وهنالك رواية تقول بأنه ليس بالأول إنما سبقه أربعة عشر سلطاناً، وروايات كثيرة بعضها تشرّق، وبعضها تغرّب، وأخرى لا تراوح مكانها، حول عدد من المواضيع التي تخص السلطنة، حتى إسم سولونق لم يسلم من كثرة الروايات، لحن هذا الإسم بأيي لحن يروق لك، فإذا فعلت هذا فربما صادف إحدى الروايات محدّثة عنه، أو أضفت لنا رواية جديدة.

ولكن أين المفر؟

لا بأس أن نرجع للروايات التاريخية، وهي تتحدث عن عربي يدعى (أحمد سفيان)، أتى مع الفتوحات الإسلامية، وكان معه أخوه، والرواية تصلح لأن تكون فيلماً سينمائياً، حيث حدث خلاف بين الأخوين نتيجه لكيد النساء، ويبدو من سياق الرواية أن الكيد كان عظيماً، وعز عليه قتل أخيه، ولكن غافله وضربه في رجله حتى عطلها تماماً، والآن حتى تزن المعادلة تماماً، نخرج سفيان خارج القوس، وندخل المعقور فتصبح المعادلة (احمد المعقور) وكان أصدقاءه مخلصين له، حيث تعهدوه حتى شفيّ تماماً، وحملوه إلى السلطان (شاو دور شيت) الذي أعجب به، وزوجة إبنته، والتي أنجبت له السلطان سليمان سولونق وهنالك روايات أخرى مختلفة، عن هذه الصلة، وهذه الكلمة وبرواياتها المختلفة تعني العربي، أو من يتحدث العربية، أو من له علاقة بالعربية.

تولى سليمان سلطنة دارفور حوالي عام ١٦٤٠م تقريباً، وهنالك روايات أخرى متضاربة تزيد في هذا التاريخ أو تنقص منه، ولكن المؤكد أنه عمل على توحيد البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وأخضع لسلطانه جماعات عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر: الزغاوة، البرتي والمساليت. كما قضى على حركة قام بها التنجور لإسترداد ملكهم، كما خاض عدداً كبيراً من الحروب يقارب ثلث المائة.

في الشرق منه توجد سلطنة المسبعات، وهي منطقة كردفان الحالية، وهذه السلطنة كأنها حديقة خلفية له. إذ أن بعض الروايات تتجه إلى أن سليمان والمسبع كانا أخوين، فإقتسم هو وأخوه الإقليمين، فأخذ سليمان إقليم دارفور، وأخذ المسبع إقليم كردفان. وتعاهدا ألا يخون أحد منهما صاحبه، لم يكونا مثل أحمد المعقور وأخيه، من بعيد أو من قريب، فظلا على هذا العهد.

ثم بعد ذلك عمل على تنظيم وترميم البيت من الداخل، حيث واصل في حركة نشر الإسلام، والحروب المختلفة التي قام بها السلطان، أدت إلى توقف مؤقت في نشر حركة الإسلام، حيث تواصلت الحركة في جميع الإتجاهات، حيث عمل على بناء المساجد، وتشجيع

العلماء على الهجرة إلى دولته، كما عمل على إقامة صلاة الجمعة والإهتمام بها، والواضح أنَّ هنالك سلاطين مجوس بالقرب من سلطنته، حيث كانوا حوالي سبعة سلاطين، وأن ملوك المسلمين كانوا حوالي عشرين ملكاً، وأن هؤلاء وأولئك موزعين في أنحاء السلطنة، وأنهم جميعاً خضعوا لحكمه.

جعل سليمان الإسلام الدين الرسمي لسلطنته، وهو رجل متدين، وصاحب بر واحسان، ورغب الناس في الدين بالهدايا المختلفة التي كان يعطيها رعيته، حيث إزداد عدد المسلمين زيادة ملحوظة في سلطنته، وليس هذا فحسب بل أن الدين أصبح يؤثر في سلوك الناس.

كان سليمان يريد أن يربط كل الممالك التي فتحها بحكمه، ولذلك عمل نظام نواب الملك، وهم الذين يحكمون فى البلاد بإسمه.

أدرك سليمان أن الإقتصاد عصب الحياة، ولذلك يوجد نشاط ملحوظ للتجارة في عهده، وكذلك حركة تصدير وإستيراد واسعة بين سلطنته، والأماكن القريبة منه خاصة مصر، ويعتبر درب الأربعين طريقاً استراتيجياً يربط غرب القارة ووسطها بشمال القارة.

توفيّ سليمان وفي أغلب الروايات بتاريخ ١٦٧٠م وتولى الحكم من بعده ابنه السلطان موسى.

٥ - أحمد بكر

دارفور مملكة "تسد عين الشمس"، والشمس تحمل أشعتها الذهبية، وتكسو هذه الجبال، الوديان والتلال ألقاً وبهاء، لم يكن السلاطين في قلاعهم العالية ينظرون للناس من عِل، ولكن كانوا معهم.

السلطان أحمد بكر بن السلطان موسى بن السلطان سليمان سولونق، ينتمي إلى سلالة سلاطين الفور.

وهو حفيد السلطان سليمان سولونج، المؤسس الحقيقي لسلطنة دارفور، حيث جعل الإسلام الدين الرسمي فى السلطنة،

ولكن ضيفنا، السلطان أحمد يعد من أعظم بناة السلطنة. هو السلطان أحمد بكر بن السلطان موسى، فقد مد نفوذ السلطنة شمالاً وغرباً، وكان سلطاناً مهاباً، يحترمه شعبه ويخشاه جيرانه.

تولي أحمد بكر الحكم بين اعوام، ١٧٢٢ - ١٦٨٢م لم يكن هو الكبير، ولكن الكبير لايصلح لها لعارض مرضي. واحمد يعتبر عشّاباً خبيراً بالوصفات السحرية، وسياسياً يشار إليه بالبنان، ومحارباً يخشى الجميع بأسَه، كانت عاصمته في (قُرّي) وهى تقع غرب جبل مرة ثم تحول إلى (مُرّا).

ويعتبر درب الأربعين عنده درباً مقدَّساً، ومنطقة حمراء، ولذلك وحينما أحس بأن هنالك تحركات عسكرية يقوم بها جماعات القِمِر، وخاصةً أن المناوشات بالقرب من هذا الدرب المذكور، دخل معهم في حروبات، لم تكن حروبات يوم وليلة، ولكنها كانت حوالى سبعة أعوام، وبذلك أمن حدوده الشمالية والغربية.

وهنالك سلطنة ودّاي، ولها تقليد بأن يدفع سلطانها جزية سنوية لسلطان الفور، وكان سلطان وداي في عزة من أمره، فرفض دفع الجزيه المقررة، أما سلطان الفور فرأى أن في ذلك الإمتناع تحدياً له، ثم أننا لا نجهل أن الحدود بين الدولتين متداخلة، وأن سلطان الفور يريد (فرز الأكوام).

وعلى الجانب الآخر كان سلطان وداي لا ينقصه شيء، فله الصولة والصولجان، وفوق ذلك فهو رجلٌ طموحٌ قويٌ، لم ترق له أبداً فكرة دفع الجزية، والشراهة تظهر منه بوضوح، وله عينان: عين على الممالك الصغيرة التي تقع شرق مملكته، وعين أخرى، لماذا لا تضم دافور كلها؟ انتشر البرقو جماعات، حتى أن الشمس كانت تجد صعوبة في إرسال أشعتها، تم إجتياح أجزاء كبيره من دارفور حتى وصلوا مدينة كبكابية.

يعتبر السلطان أحمد سلطاناً حكيماً، كانت التجاعيد التي تظهر عليه تحكي خبرة السنين، دع المعركة إلى أجل غير مسمى، حيث إنسحب إلى جبل (أبو عسل)، وهناك قضى السلطان عامين، هنالك الجارة الصديقة دوماً، إنَّها مصر، جلب منها السلاح الناري، والذى له سحر

من الصعوبة إبطاله، وإستعدّ السلطان أحمد للحرب حوالي عامين، هذا السلاح قد جعل المعادلة غير موزونة، حيث التقى بهم في معركه حربية حاسمة، أسفرت عن فوز السلطان. وفي مكان هذه المعركة نشأت مدينة كبكابية.

أيها السلطان ثم ماذا بعد؟

لقد أخذت الحرب زمناً طويلاً، الآن اتجه نحو التعمير، حيث بنى المساجد والخلاوي لتحفيظ القرآن الكريم، واهتم بإمور الدين كثيراً، وشجّع على إقامة الصلوات، وصوم رمضان. كما استقدم عدداً من المشايخ من بلاد مختلفة، وشجع العلماء للهجرة إلى دارفور، حتى ينشروا الدين الإسلامي، كما عمل على نشر الإسلام في البلاد المجاورة لدارفور.

أيها السلطان المحبوب من قبل شعبك، نم قرير العين هانيء النفس، وكانت النهاية حوالي ١٧٢٢م.

٦ - أرباب العقائد

له صدر حاوٍ لكل العلوم الشرعية في زمن قلَّ فيه العلم، حتى ابجديات الدين المعلومة بالضرورة لا تعرف، وليس لها وجود في خارطة العقل الذهنية.

هو أحمد بن علي بن عون بن عامر ينتسب إلى المحس، يتصل نسبه بالصحابي الجليل أبي بن كعب الخزرجي الأنصاري، ولد بتوتي حوالي عام ١٦٠٨م وذلك أيام توهج دولة الفونج، وفي عهد السلطان رباط بن بادي سيد القوم.

درس العلوم الشرعية كلها، ونبغ فيها، حتى صارت مُرادفة لإسمه، واختفى الاسم الرسمي، وأصبح مرادفاً له لقب لا يُعرف إلا به.

سلوا التاريخ عنه فذا غني عن
التعريف عن نشر الجرائد
إذا خرق العوائد آخرون فنشر
العلم من خرق العوائـــد
وقد عكفت عليه الخلق طـرا
ما بين مبتدأ وعائـــــــد

حيث حفظ القرآن الكريم على والده، وهو في العاشرة من عمره، ودرس الفقه المالكي، وخاصةً المختصر والرسالة وشرح الزرقاني على الموطأ، وذلك على يد الشيخ الزين بن الشيخ محمد صغيرون، وهو حفيد الشيخ غلام الله بن عائد، كما تعلم علم العقائد والتي اشتهر بها على يد الشيخ علي بن بري.

في عام ١٦٧٤م عبر النهر من توتي، ودخل المنطقة التي بها جامع فاروق الآن، وبدأ في قطع الأشجار، وهذه المنطقة تسمى كرتوب، لأن بها حيوانات ماتت جوعاً، وأصبحت كراتيب.

تمكن من إقامة مسجد وخلاوي، ثم بعد ذلك بدأ عمران الخرطوم، حتى أن الخرطوم في ذلك الزمن تُعرف بحلة أرباب العقائد.

وله عدد من الألقاب، بالإضافة إلى أرباب العقائد، والتي ترمز إلى أن الشيخ قد بلغ مكانة بعيدة فيها، ويلقب بأرباب توتي أي كأن المنطقة ارتبطت به، وكذلك أرباب الخشن، لخشونة أطرافه، وإسباغه الوضوء على المكاره، وكثرة الوضوء، وأرباب سنار وأحمد العونابي وأحمد المطيع.

وله حلقة واسعة في جميع مذاهب الفقه، وأن حلقاته قد شُدت إليها الرحال، أي من كثرة الطلاب المُنتسبين إليها، وأن طلابه قد بلغوا ألفاً ونيف، كما أن طلابه كانوا من دار برنو حتى فاس.

وله عدد من التلاميذ المنتشرين في أرجاء المعمورة، ومن أهمهم الشيخ خوجلي عبد الرحمن أبو الجاز، والشيخ حمد ود أم مريوم، والشيخ القرشي الصليحابي، والشيخ فرح ودتكتوك، والشيخ حمد حتيك والشيخ هارون بن حصي ومحمد بن ضيف الله، وكان لهؤلاء دور كبير في نشر علوم الفقه المختلفة، وتحفيظ القرآن ونمو الخرطوم والأحياء التي ارتبطت بأسماء المشائخ هي خوجلي أبو الجاز (حلة خوجلي) حمد ود أم مريوم (حلة حمد).
والشيخ أرباب العقائد قد عاصر أول دولة إسلامية في تاريخ السودان، وقال الرحالة الفرنسي الشهير كايو عنه: "أنه عند وصوله مقرن النيلين تراءت له حلة على بعد ميلين، فسألت عنها، فقيل لي حلة أرباب العقائد" .

عمل سلطان الفونج أونسة الثاني على نشر الدين الإسلامي، وتعليم الناس علوم دينية، ولذلك دعا عدداً من العلماء لزيارة دولته، ومن هؤلاء الشيخ أرباب العقائد، ولعل من الأسباب التى أدت إلى تحرك الشيخ أرباب العقائد إلى سنار، كما أوردها الشيخ الجيلي الشيخ عبدالمحمود سببين: أن الشيخ أرباب العقائد اشتهر بالعلم "فأراد السلطان أن يستفيد من هذه الطاقة العلمية الجبارة، وهذا المعين الثر، تزييناً لمجلسه، و إرواء للمتعطشين للعلم، وإثراء للعلم بإستقدام جهابذة العلماء، مثل الشيخ أرباب العقائد" كما أن أول سني حكم السلطان أونسة الثاني، هو عام قحط وجدب ومجاعة، فقد نزح الشيخ أرباب العقائد إلى سنار طلباً للحياة الكريمة.

إلى سنار تحرك ركب الشيخ أرباب العقائد من الخرطوم، مُحاذياً للنيل الأزرق، متجهاً نحو سنار، ونزل على أبو أشقر زعيم قبيلة رفاعة، وهي منطقة البشاقرة غرب، وتزوج فيها و انجب منها محمد راجل البشاقرة.

ومسجده من أوائل المساجد في السودان، وفي عام ١٩٥٣م قام الملك فاروق ملك مصر، بتجديد مسجد أرباب العقائد، واحتوى على عمارة إسلامية، قل أن توجد مثلها في مساجد السودان، ويتوسط مدينة الخرطوم، ويُعرف الآن بمسجد فاروق.
تُوفيّ عام١٦٩١م في عهد السلطان بادي الأحمر بن أونسة.

٧ - بادي أبو شلوخ

قائد عظيم قاد الشراع باقتدار ومهارة عالية، اصطدم ببعض المطبات، خرج من بعضها، ولكن اللجة عميقة أكثر من اللازم.

هو الملك السابع عشر من ملوك دولة الفونج الإسلامية، والتي قامت نتيجة لتحالف بين قبائل الفونج بقيادة عمارة دنقس، وقبائل العبدلاب بقيادة عبد الله جماع، وتعتبر مملكة سنار أول دولة عربية إسلامية قامت في بلاد السودان، بعد انتشار الإسلام فيه.

تولى الحكم عام ١٧٢٤م اشتهر بادي بالأمن والرخاء والعدل وفتح عدداً كبيراً من المدارس والخلاوي لتعليم الدين، وحفظ القرآن الكريم، كما أرسل السودانيين لمصر في بعثات تعليمية، كما أضاف مقاطعات جديده لحكمه، حيث جعل دولته تبلغ ذروة مجدها على يديه.

نتحدث عن العلاقات الخارجية لدولة الفونج، هنالك في الشرق، وعلى مرمى حجر منه، توجد الحبشة، لقد حارب الأحباش مافي ذلك من شك، وانتصر عليهم وأقيمت الإحتفالات، ولكن مالي بدأت من النهاية وللبداية أصل وحكاية، هيا نقرأ.

كانت هنالك صداقة تجمع بين ملك فرنسا لويس الرابع عشر، وملك الحبشة، حيث أرسل ملك فرنسا هدايا غالية الثمن لملك الحبشة في عام ١٧٠٥م، سافر الركب وفي صحبته سبع رجال، ورئيسهم المسيو دي رول، والمرور بالطبع عبر أراضي الفونج، قابلهم الملك بادي الأحمر بالسرور والترحاب والإكرام، مرر الوفد له هدية، لعلها أدخلت السرور عليه كثيراً، إلى هنا والأمور عادية جداً، أمَّا الشيء غير العادي، فقد تغير الملك بادي الأحمر مائه وثمانون درجة، وإن لم يستدر ليُكمِّل الدائرة.

ماذا حصل؟ وبالصوت العالي ماذا حدث؟ نمر على الأحداث سريعاً، حتي لا يأخذنا بادي الأحمر (بالظنة) فالكتابة عن الملوك أمرٌ بالغ الخطورة، فقد ورد إليه خطاب من مصر ينبئه بخطورة أولئك الرسل، فإن دخلوا الحبشة فله الويل والثبور وعظائم الإمور.

أيها الملك إن هؤلاء الرسل ذاهبون لتدريب الأحباش حتى يتمكنوا من تدمير مملكة الفونج، ليس هذا فحسب، بل أن هنالك شيئاً آخر، وهو تحويل هذا النيل الخالد السرمدي (سليل الفراديس) إلى مجرى آخر، وإذا حدث فإن المملكة سوف تموت جوعاً وعطشاً، هل صدق الملك هذا الكلام الساذج بسهولة؟ أم له هدف آخر؟.

كتم الملك أمر هذا الخطاب، وسمح لهم بمواصلة الرحلة، وودعهم بحرارة حتى تكتمل فصول المسرحية عنده، ثم هنالك على أميال غير بعيدة من سنار اكتملت المسرحية، وتم قتل الرسل، أما الهدايا فقد أخذ بادي الأحمر منها جزءاً في البداية لفطوره، ثم بعد ذلك أخذ الباقي للغذاء والعشاء.

نذهب للحبشة، الملك هنالك أرغي ووعد بالانتقام، ولكن الأقدار محتومه، فقد وقع انقلاب، ونُسِيَت الحادثه لمدة تقارب من الثلاثون عاماً.

في عام ١٧٣٥م قاد الملك الإثيوبي أياسوس جيشاً رهيباً وتقدم نحو سنار ،وقائد جيوش بادي يُدعى (خميس) كانت معركة رهيبة قل أن يجود الزمان بمثلها، انتصر جيش بادي، أغرى هذا الانتصار بادي بالتوسع، هنالك في كردفان إمارة المسبعات، هل تتوقف هذه الانتصارات؟ ألم يخلق هذا الجيش للحرب؟ توجه الجيش وهُزم أولاً، ولكن بادي أعاد تنظيمه، وأرسل لهم امدادات جديدة، وقائد الجيش هو أبولكيلك، إسم خشن النطق وكذلك النزال، حقق إنتصاراً رائعاً، وضم أجزاء كبيرة من كردفان إلى مملكة الفونج.

ولكن بعد هذا الإنتصار لم يكن بادي هو بادي، تغير كثيراً وتبدل كثيراً، ما دام هو ملك فعليه أن يواصل سلطة الملوك، القمع، الإستبداد، العنجهية، مصطلحات قل أن تخرج من ثياب الملك.

ملك عظيم يـــــــا زول

عايزين ديمه نشوف الملك

ده سور العالي المنشبك

حراسو بتمسك ما بتفـــك

لو استدار الزمان على غير هيئته، وغنى المبدع صلاح بن البادية هذه الأغنية امامك ماذا يحدث؟ لا أدري.

بادي له وزير عاقل يسدي له النصح، فمات هذا الوزير، فتواصل البطش من قبل بادي اتجاه أعيانه وشعبه، ولكن بادي نسيَ أو تناسى أن هنالك رقابة عسكرية مستترة على أداء السلاطين، وأن هذه الرقابة عزلت سلطاناً قبله، ثم هل نسيَ الوزير أبولكيلك الوزير القوي والمحبوب.

على أن الحلقة أصبحت تضيق عليه، فقد اجتمع في يوم من الأيام الوجهاء، النبلاء والرؤساء بمدينة سنار، فاتفقوا جميعاً على أن يخلعوا بادي من عرشه، وأبولكيلك هنالك يدير خيوط اللعبة، وتم عزله عام ١٧٦٢م وتعيين إبنه ناصر مكانه.

وحينما علم بادي بذلك تنازل عن العرش، وترك سنار ونجا بنفسه، وقد قضى ما تبقى من حياته بمدينة سواكن، حيث عاش رجلاً فقيراً حزيناً بائساً حتى أدركته الوفاة.

لا تغضب كثيراً، فالتاريخ له حكايات كثيرة لهؤلاء، ماذا حصل لفاتح الأندلس العظيم موسى بن نصير مع الخليفة سليمان بن عبدالملك؟ لقد أمره أن يقف على حر الشمس المتوهجة، وهو ابن الثمانين حتى خرّ مغشياً عليه، وعلى الرغم من أن سليمان حاول أن يُكفّر عن ذنبه، إلا أن الوقت قد فات، أمّا أنت فسواكن بها (حر) شديدة، ولكن المؤكد أنك تجد الظل.

٨ - محمد أبولكيلك

حكم بادي أبوشلوخ السودان بعين تراقب الأحداث بدقة، ثم تحولت فجأة هذه العين إلى عين حمراء، على أنَّه يدري أو لايدري أنَّ هنالك عيوناً تراقبه.

هو الوزير محمد عدلان أبولكيلك، وزير بادي أبوشلوخ، وهو زعيم قبيلة الهمج، وتقع في ضواحي منطقة الروصيرص، والهمج هنالك روايات كثيرة عن أصلهم، فمنهم من يقول أنَّهم من بطون الجعليين، ومنهم من يقول أنَّهم خليط من النوبة والعرب، ومنهم من يقول لا هذا ولا ذاك، بل هم وزراء دولة الفونج.

عرف الوزير أبولكيلك بالشجاعة والكفاءة والإقدام، وله محبة عظيمة في نفوس الرعية، وتدرَّج في قيادة الجيش إلى أن أصبح قائد الجيش.

دارت معركة بين دولة الفونج والاحباش، كان القتال عنيفاً، والعصى والفؤوس والحراب أدوات لا تقل عن الكلاشات في شيء، تطايرت الرؤوس والأشلاء والأطراف، والأرض لها لون واحد فقط، إختفت الخضرة، وحل محلها احمرار، وانتهى النزال، أيها الملك لقد حققت انتصاراً عظيماً، هذه الجيوش خلقت للحروب، لا تدع الجندي يفكر أبداً، أشغله بالحرب، فإذا فكر الجندي فويل للسياسي، هذا هو منطق السياسة.

هنالك في إقليم كردفان توجد دولة المسبعات، فكر بادي في ضمها إليه، وأرسل إليها جيشاً تمكن المسبعات من تحقيق النصر أولاً، أين أنت يا أبالكيلك؟ يا قائد الجيش، وضع خطه، وتمكن من تحقيق النصر على المسبعات، ضم أجزاء كبيرة من إقليم كردفان إلى المملكة عدا مملكة تقلي.

ثم ماذا في الجراب أيها السلطان، مكافأة الوزير أم مكافأة السلطان، أما السلطان فقد كافأ الوزير بتعيينه قائداً عاماً للجيش، وحاكم إقليم كردفان، ووزيراً له، لقد (حفرت) أيها السلطان القبر بيدك، لا أدري اليمنى أم اليسرى.

وكان لبادي وزير عادل مثله يسدي له النصح، ويسمع لرأي هذا الوزير ويطيع، أما الأجل فله رأي آخر، كان موت هذا الوزير بمثابة (موت سريري) لبادي فإستبد بالسلطة، وقبض كل الأمور بيده، وتحول إلى وحش كاسر، على أن كبار الدولة وأعيانها نقلوا إلى الوزير ابى لكيلك ما حدث، أيها الوزير لقد فعل فى غيابك أشياء كثيرة، وإستبد بالدولة، ولم يكن الوزير يحتاج إلى أيي وشاية، فكل التدابير قد تمت، فقد أصبحت الحلقة تضيق عليه.

وتم عزل بادي في عام ١٧٦٢م وابولكيلك قد إتفق مع ابن بادي ناصر ليعينه مكان أبيه، وافق ناصر على ذلك، وتم تعيينه مكان أبيه، ولعل ناصر قد نسيَ، وهو في هذه الأبهة أن الكأس تدور، وليس لها مكان واحد، يا عمرو بن كلثوم.

وتحرك الوفد، ومعهم مدبر الأمر ابولكيلك إلى سنار، تم إعلام بادي بالخبر ووافق مرغماً، وذهب إلى سواكن ومكث بقية حياته هنالك، إن كان هنالك بقية.

تم تعيين ناصر سلطاناً على الفونج، ألا إن السلطة الفعلية كلها كانت فى يد أبي لكيلك، هؤلاء السلاطين كأنهم في مركب، لا حول لها و لا قوة في محيط متلاطم الأمواج، وابولكيلك بيده (كير) يوجه الهواء كيفما شاء، كان الأفق يبدو فيه سموم، وكذلك الدولة، فعزل ابولكيلك السلطان ناصر، وحينما حاول أن يقاوم تم قتله، وعين أخيه السلطان إسماعيل، هل انتقل المسرح إلى بغداد؟ هل هو صراع الأمين والمأمون؟

و لكن رغم هذه الدوامة، فهو إنقلاب تصحيحي بحق وحقيقة، والحل والعقد بيد ابى لكيلك، حيث تمكن من إزالة المظالم، وأجرى العدل على الرعية، وأحسن إلى أهل الدين.

وقد حاول الهمج بواسطة هذا الإنقلاب تغييراً في هياكل السلطة، والمتمثل في حقهم في حكم فازوغلي وكردفان، واستمالت الفقراء في إدارة حكم البلاد، وإتجاههم إلى منح بعض القبائل ذات القوة حكماً ذاتياً، وسك عملة وطنية جديدة، وقد مثل هذا الإنقلاب انتصاراً سياسياً وعسكرياً ونفسياً للهمج.

ولقد صارت السلطة الفعلية بيد الهمج، حتى قدوم محمد علي إلى السودان بواسطة ابنه إسماعيل، وإستيلائه عليه عام ١٨٢١م، تُوفيَ أبولكيلك ١٧٧٤م.

٩ - يوسف أبو شرا

هنالك النيل الأزرق يجري، ويحمل الحياة والأمل، لا حدود لكرمه وجماله، وأيضاً غير بعيد منه ضيفنا في صفائه ونقائه، مثل ذلك النيل الدقاق.

هو الشيخ يوسف بن الشيخ محمد القنديل بن الشيخ عبد الله الطريفي بن الشيخ أبو عاقلة الكشيف بن الشيخ حمد النيل. وميلاد الشيخ يوسف في أبي حراز عام ١٧٢١م نشأ في أسرة تحيطها التقوى والعلم من جوانبها الأربعة، حيث حفظ القرآن الكريم، وهو لم يتجاوز التاسعة من عمره، وبعد ذلك درس علوم الفقه المختلفة، من أهمها مختصر خليل، والعقائد على أبيه، والذى كان يعده على نار هادئه لتحمل الأعباء، وكلمة ابو شرا من الألقاب التي عرف بها، بالإضافة إلى السلطان والمانجيل.

بعد وفاة والده تولى الخلافة، وعمره آنذاك عشرون سنة، ومكث في الخلافه أربعة وستون عاماً.

في العام ١٧٤١م وبعد أن تولى الخلافة، توافد عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب، وبلغ عدد الطلاب سبعة آلاف طالب، هذه الآلاف المؤلفة لابد لها من موارد رزق جديدة، حتى يتم إطعامهم، خاصةْ وأن الأراضي في إبي حراز مجدبة. لم يكن أمامه إلا أن يعبر النيل الأزرق غرباً، وهنالك أراضٍ خصبة فتمكن من زراعتها، وأسس مسجداً وخلاوي ومدينة قرآنية جديدة، وإتخذها عاصمة وخلافة للعركيين، وأختار لها إسم (طيبة) تيمُّناً بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، عرفت فيما بعد بطيبة الشيخ عبد الباقي، وهي مدينة موغلة في القدم، منذ أيام السلطنه الزرقاء، حيث يشتم منها عبق التاريخ، وهي تقع شرق النيل الأزرق، عند نقطة عبور مدني من الناحية الشمالية. انتقلت رحلة الشتاء والصيف هنا للشيخ يوسف، ولكن العبارة ليست سليمة بالضبط، فضع الخريف مكان الشتاء، وهنالك في طيبة يقضي بها أيام الخريف، وكذلك أيام الأعياد وخاصة عيدي الفطر والضحية.

والشيخ يوسف حكيماً يمتاز برجاحة العقل، وبالإضافة إلى عمله الديني، فهو مصلح إجتماعي قل أن يجود الزمان بمثله، حيث يعقد مجالس الصلح المختلفة لحلحلة القضايا المختلفة، وهو سد حصين، حيث أصلح ما أفسده الدهر بين العبدلاب والفونج والعنج. هذه الأعمال التي قام بها أكسبته صيتاً في المنطقة، حيث تجمع لديه كثير من الأتباع خاصة من قبائل الكواهلة.

إمتلاء المسيد على سعته بطلاب القرآن الكريم والعلم، وهو يدرس في هذه الحلقة عدة كتب، منها الرسالة ومختصر خليل، وهي من أمهات كتب المذهب المالكي، وهذه الكتب شائعة في السودان، وقد ختم مختصر الشيخ خليل ستين مرة. وقد قيل أنه كان ينفق أربعين أردباً من الذرة في اليوم من أجل المعيشة، وهذه الكمية من (البلدات) الخاصة به، وهو يزرع ويباشر العمل الزراعي مع تلاميذه، فيأخذ من الحصاد ما يكفي مؤونة الطلاب، أما

باقي القسمة فلا يحتاج إلى قوس حتى يضعه فيه، فهنالك الفقراء والمساكين وابناء السبيل والمحتاجين وغيرهم فكان يعطيهم عطاء من لايخشى الفقر.

لم يكن له أن يجلس هنالك ينتظر الهبات والصدقات والجرايات التى كانت تجود بها السلطنة الزرقاء عليه، فيده عليا. وله صفات خلقية حيث عرف بسماحة النفس والحلم وسعة الصدر والوفاء والكرم ولا يخشى في الحق لومة لائم.

من أشهر تلاميذه الذين أخذوا عليه الشيخ أحمد ودكنان والشيخ محمد نور ود نصّار.

قال سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي"لا نزكيه على الله، نحسب أن نفسه مطمئنة فقد ذهب إلى رحاب ربه بتاريخ ١٨٠٣م ودفن مع آبائه بأبى حراز وخلفه إبنه الشيخ محمد الزاهد.

١٠ - عبدالرحمن الرشيد

تشعبت الروايات كثيراً حينما نتحدث عن أحد من هؤلاء السلاطين الأماجد الذين حكموا دارفور، فإذا سلكت طريقاً ما، فإن هذا الطريق ربما يوصلك إلى متاهة، كأنه السلم والثعبان، ولكن حسبنا أن نبتعد عن طريق الثعبان مهما حصل الأمر.

السلطان أحمد بكر يحكم مملكه أكبر من الجزر البريطانية، وهمه وشغله الشاغل ولاية العهد، من يستطيع المحافظة على إرث الأجداد؟ ليس هنالك شخص غير إسحاق.

لم يلتفت إلى عبدالرحمن أحد، ولكن هل هو موجود حتى يتم الإلتفات إليه؟ ولكن دعونا نتعرف عليه، هو الأمير عبدالرحمن بن السلطان أحمد بكر بن السلطان موسى بن السلطان سليمان سولونق، نأتي إلى أمر الروايات بعضها قال أنَّه كان رضيعاً، والبعض الآخر قال إنَّه لم يولد بعد، وأنه شب يتيماً، وعرف بين الناس باليتيم.

على أنه بعد ذلك حفظ القرآن الكريم، وتعلم العلوم الدينية المختلفة، وعرف الحلال والحرام، وهو صالحٌ وتقيٌ عفيفٌ، لم يخض فيما خاض فيه إخوته، إذ أن معرفته بالشرع منعته من ذلك. كما أنه طاف مناطق كثيرة في دارفور، مما أعطاه معرفة بجغرافية المنطقة، وهو في ضيق من العيش، ولا ينسى لأحدٍ من معروف قدم له فيجازي ذلك الشخص، ويضاعف له العطية، فقد أورد التونسي رواية عن شخص يدعى محمد دردوق، رحب بعبدالرحمن وأكرمه، وذبح له كبشاً سميناً، قال له لقد عرفتك بحسن خلقك، وأبشرك بأنه سيكون لك شأن عظيم في البلاد. وبعد أن أصبح عبدالرحمن حاكماً لم يجاز دردوق جزاء سمنار، ولكنه أعطاه منصباً جليلاً، ولكن ما لنا ولحديث المناصب الآن، وهو الآن يبحث عن مكان آمن، مثله مثل عبدالرحمن الداخل، عاش طريداً وملك الأندلس بعد ذلك، أما أنت فحسبك أنك ملكت إقليماً يفوق الأندلس مساحة.

و بعد وفاة محمد بن أحمد بكر (تيراب) اندلعت في دارفور حروب أهلية، وتلك الحروب حول وراثة العرش، وكان تيراب قد عين ابنه إسحاق خليفة له، إلا أن إسحاق. في وادٍ، والأقدار فى وادٍ آخر، على أن هنالك رواية أخرى لا نهملها بل نعطيها حقها، أن عبدالرحمن حينما وصل بارا وجد السلطان في الرمق الآخير، فسلمه السلطان خاتم السلطنة، وأعلنه ولياً للعرش، ومات السلطان. وكان ذلك عام ١٧٨٧م.

أياً كان من شأن صحة هاتين الروايتين، فإن المؤكد أنه دارت حروب بين الطرفين، أما عبدالرحمن فقد كان يثق في نفسه تمام الثقة بأنَّه هو السلطان المنتظر، ومرد ذلك أن أطيافاً كبيرة من الدولة تقف معه، بما فيهم حريم القصر، هؤلاء هم أصحاب الصولة والصولجان، ليس هذا فحسب أضف إلى ذلك النبوءة التي سمعها من الفكي مالك الفوتاوي بأنه سيصير سلطاناً على دارفور. وأيَّاً كان نوع النبوءة فلها مثيلات في التاريخ الإسلامي، فإن

عبدالرحمن لم يجلس القرفصاء لكي يأتي له آصف بن برخيا حاملاً له عرش بلقيس، ولكنه وضع تلك النبوءة في يده الشمال، وقاتل بيده اليمين.

دارت حروب أهلية لم تدم يوماً ولا يومين، بل أكثر من ثلاث سنوات، تمكن فيها عبدالرحمن من الانتصار على ابن أخيه وقتله، ودان له إقليم دارفور، لا تحزن كثيراً أيها الرشيد فتاريخ الدويلات الإسلامية عادة ما يقتل الأخ أخيه، والأب ابنه، أين المأمون؟ بل أين المعتضد؟

أصبح عبدالرحمن سلطاناً، واصبح الرجل العادل، خرج للناس مباشرة، ثم أمر بإخراج ما في خزائن السلطنة، من ذهب وفضة، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، كأنه ابوالعباس السفاح، ولكنه ليس سفاح الدماء، ولكن الذي يسفح الدنانير.

وهمه الرعية، أبطل كل الجبايات غير الشرعية، ورفع المظالم عن الرعية، وأشاع الأمن، وصار الطريق آمناً (حتى أن المرأة كانت تسافر من أقصى البلاد إلى أدناها محملة بالحُلى والمتاع، لا تخشى إلا الله) وأظهر العدل التام، حتى كان يلقب بالعادل، ويضرب على الظالم بيدٍ من حديد، ولو كان من قرابته.

امتدت شهرته إلى أمد بعيد فصارت النسائم والهواء العليل تنقل سيرته، وأصبحت له شهرة عالمية، زار السلطنة عدد من العلماء والمرموقين، وأكرم وفادتهم ومنحهم الهدايا، وهو يعلم أن الإقتصاد عصب الحياة، ولذلك شجع على التجارة، وخاصة التجارة الخارجية بين السلطنة ومصر، وكذلك السلطنة وغرب إفريقيا. كذلك له علاقات مميزة مع سلطان الدولة العثمانية، إذ أرسل إليه هدايا قيمة من ريش النعام وسن الفيل. أمَّا السلطان فقد رد شاكراً، ومنحه لقب الرشيد، وصار مرادفاً للإسم الرسمي، وأن حجب الإسم في بعض الأوقات.

نم أيها السلطان مليء الجفون، سوف تعود دارفور كما كانت قوية بفضل أبنائها الكرام، وكانت الوفاة عام ١٨٠٢.

١١- الطيب ود البشير

ندخل مقام الشيخ الطيب ود البشير، مؤسس الطريقة السمانية بالسودان، وهي طريقة لها إنتشار واسع في أصقاع القطر، وخرجت من عباءتها الحركة المهدية في السودان، ألم يكن المهدي من أتباع تلك الطريقة؟.

ولد الشيخ أحمد الطيب البشير بن مالك بن محمد بن سرور عام ١٧٤٢م وذلك في بلدة أم مرّح شمال أمدرمان، وينتسِب إلى الجعليين، حفظ القرآن بها، وتعلم علوم الشريعة المختلفة، ثم انتقل إلى الجزيره اسلانج، ثم انتقل إلى مسجد الفقيه أحمد الفزاري في أم طلحة لطلب المزيد من العلم.

وحينما بلغ السادسة عشرة من عمره ذهب إلى الحج، حيث أكمل مناسك الحج، وفي مكة التقى بالشيخ إبراهيم الزمزمي، حيث تفقه على يده علوم الفقه خاصة الفقه الشافعي، ثم ذهب إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه و سلم) والمسجد النبوي، وهنالك قابل شيخاً من مشائخ الطرق الصوفية، وهو الشيخ محمد عبدالكريم السمان، ونشأت بينهما محبة خالصة، ليس بها غرض دنيوي، وتم لقاء دائم بينهما، خاصة في الروضة الشريفة، وسلك عليه الطريق السماني، وقد رحب به الشيخ السماني، وأكرمه وأنزله في داره المعروفة بالزاوية السمانية، وهو في رحابه مدة سبع سنين، وكانا خلال هذه الفترة يذهبان كل عام لأداء فريضة الحج.

ثم بعد ذلك لما تأكد الشيخ السماني أن الشيخ أحمد الطيب أهل لما أعطى له، ويستطيع أن يحمل تلك الأمانة، وجه بالتوجه إلى السودان، حيث أعطاه إذناً عاماً بنشر الطريقة السمانية هنالك في السودان .

رجع الشيخ أحمد الطيب الى السودان، رجع يعلم الناس على كتاب الله، وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مسجد جده الشيخ محمد سرور، فتقاطرت إليه الوفود من شتى البقاع، وله حلقات علمية، وحلقات أذكار يقيمها مساء كل يوم، وصباحه، ويكثر منها فيليلتي الإثنين والجمعة، بالإضافة إلى يوم الجمعة، وهناك بعض الأفارقة والعرب في هذه الحلقات.

ثم بعد ذلك قرر الشيخ الطيب الذهاب في زياره علمية إلى مصر، ثم الحجاز، حيث بدأ بزيارة الدامر، والشيخ حمد ود المجذوب، حيث دارت بين الرجلين مساجلات علمية، حيث كانا شيخين على مسافة زمنية متفاوتة: فالأول في مرحلة الشباب، والثاني في مرحلة الشيخوخة، كالأبيض الهادي والأزرق العاتي التقيا في مقرن الخرطوم "لا انفصلا ولا انحسرا .. ولا اختلفا ولا اشتجرا". ثم ماذا بعد؟

تابع النيل الخالد رحلته إلى مصر، وكان هو ينساب مثل ذلك النيل، حيث بدأ في (دراو) أول بلد حط بها الشيخ رحله، ثم توجه إلى (أسوان) حيث أقام بها أياماً كان له فيها أتباع،

ثم توجه إلى (قنا) حيث أقبل عليه الناس زرافات، وسلك الطريق عدد من الناس، أبرزهم السيد عبد الله خليفة الشيخ عبد الرحيم القناوي، ثم ذهب إلى بلدة (هوار) فأقام بها فترة، ثم ذهب الشيخ إلى (سوهاج) فاستقبله أهلها أحسن استقبال، وكان في مقدمة من عني بتربيته الشيخ شيخون الوزي، وقدمه على كثير من اتباعه، ثم انتقل إلى (أسيوط) حيث احتفى به أعيان البلد، وقد سلك الطريق عدد من المحبين أبرزهم الشيخ أحمد الأسيوطي. ثم بعد ذلك ذهب إلى القاهرة، حيث قابله جمع كبير من الناس هنالك، ونزل في جامع الأشراف، يرشد الناس، ثم بعد ذلك اتجه إلى (طنطا) وفيها زار الشيخ أحمد البدوي، والتقى بخلفائه، وتعرف عليهم، ومنها توجه إلى (الإسكندرية) حيث استقبل من مشايخ الطرق والعلماء أروع استقبال.

هذا وبعد حوالي عشرة أشهر قضاها الشيخ بمصر داعياً إلى الله، توجه إلى الحجاز، حيث زار قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وزار شيخه السمان، ونزل مع شيخه بالزاوية، وأقام الأذكار والأوراد، وقد قابل عدداً من الناس في بلاد الإسلام المختلفة، وتدارس معهم أمور الدين المختلفة.

ثم بعد ذلك توجه للحج للمرة الثامنة، في صحبة عدد كبير من إخوانه في الطريق، ثم بعد ذلك زار عدداً من العلماء على رأسهم الشيخ إبراهيم الزمزمي.

عاد إلى السودان عن طريق ميناء سواكن، البحر هنالك كان هادئاً، والسماء صافية، والرحلة سعيدة، وحينما شارف الدامر أرسل للشيخ حمد بن المجذوب يخبره بقدومه، وهذا الحدث له سرور عظيم عند الشيخ حمد، وهذا المقدم عيد لديهم، وتوثقت العلاقة بين الشيخين. وكان وهو في الطريق موطن حفاوة من القرى المختلفة، حتى وصل أم مرح.

وكانت هنالك في أم مرح وفي الجامع حلقة علمية، والشيخ أحمد الطيب يتولى بنفسه تدريس مختلف العلوم بها مثل التوحيد، الفقه، التفسير، علوم القرآن الكريم، الحديث النبوي وعلومه، البلاغة، النحو والتصوف. وكذلك كان يرعى خلوة للقرآن الكريم، ويتولى النفقة على كل الطلاب بالمسيد، وكذلك الأحباب والزوار، وقد توسعت القرية في عهده وزاد عدد سكانها. ويهدف إلى التصوف العلمي، وهو الذي يسير على الكتاب والسنة، بعيداً عن الأشياء التي غيرت جوهر الإسلام.

هنالك بعض المشائخ الذين أجازهم الشيخ الطيب، وهم منتشرون في بقاع البلد المختلفة، وبعضهم خارج السودان وهذه عينة بسيطة منهم، و هم الشيخ محمد التوم بن الشيخ بانقا، الشيخ القرشي ود الزين،الشيخ أحمد البصير، الشيخ يعقوب بن أحمد الصليحابي الأنصاري، الشيخ حسيب بن إمام الكوباوي، الشيخ عبد الله الصابونابي، الشيخ الأمين ولد أم حقين، الشيخ عبد الله ولد أبي الحسن العرمابي والشيخ النعيم ولد مضوي الترابي.

توفيّ الشيخ الطيب بأم مرح عام ١٨٢٣م وخلفه ابنه نور الدائم على الطريق.

١٢ - القرشي ود الزين

تلفت الإمام محمد أحمد المهدي يمنة ويسرةً، حينما طرده شيخه محمد شريف نورالدائم من الطريق السماني، أين يجد الغطاء الروحي؟ نعم، إنه هنالك في أرض الحلاوين، إن قربت المسافة أو بعدت لا يهم، المهم الوصول إليه.

اسمه محمد أحمد الفكي الزين الفكي علي ود رابح، الشهير بالشيخ القرشي ود الزين، شيخ المهدي الثاني، ولكن إلى حين الوصول إلي هذه النقطة نواصل الحديث عنه. وجده لإبيه هو الفقيه علي ود رابح، قد تزوج من الهلاليه ابنة الشيخ أبوسقرة، ودار جدال هناك حول تزويج هذا الغريب، مما جعله يرحل هو وزوجته إلى قرية أبوفروع، حيث وجد الترحيب هنالك، وأنجب ابنه الوحيد الزين، وتوفيّ ابيه مبكرا، فنشأ الزين يتيماً، تزوج في قرية مصطفى بالحلاوين، وأنجب ابنه الوحيد القرشي.

ولد القرشي بقرية مصطفى بالحلاوين، وكان ذلك عام ١٧٩٥م هنالك وجه شبه بينه وبين تلميذه المهدي، فى كثير من الإمور، ولعل من أهمها، أن والد القرشي قد مات وهو في سن السادسة من عمره، ويقال أن إسم القرشي الحقيقي هو محمد أحمد "نفس الملامح والشبه...والمشيه ذاتها وقدلتو" فسأله الشيخ الفادني عن جنسه، فرد بأنه قرشي، فأصبح الفادني يناديه بالقرشي، وأصبح التلميذ المهدي، وضاع الإسم الحقيقي المركب.

انتقل إلى قرية ود الفادني، وهي تقع بالقرب من المسلمية، وذلك من أجل حفظ القرآن الكريم، وذلك بمسجد الشيخ الفادني، وهو موضع إحترام وتقدير من شيخه الفادني، وذلك لأدبه وبديهته ونجابته. إلتقى القرشي بخلوة الفادني بكثير من مشاهير المشائخ في ذلك الزمن، منهم الشيخ إبراهيم الكباشي، والشيخ حمد النيل العركي.

أتم حفظ القرآن الكريم في هذه الخلوة، وتوجه إلي قرية ابوعشر لقراءة كتاب الرسالة، على يد الفقيه الأمين ود أم حمدين، كان القرشي خلقه ربانياً، وتقياً يخاف الله في كل أوقاته، وصواماً قواماً ومتمسكاً بشرع الله وسنة رسوله الكريم. ثم بعد ذلك ذهب إلى مستقره الجديد، وهي طيبة، أرض خلوية، فقام القرشي بنظافتها وإعدادها حتى أصبحت صالحة للبناء والإقامة، وأصبحت محل إقامته، وأسس بها مسجده وصارت تعرف بطيبة.

ألم أقل لكم أن القرشي يشبه تلميذه في كثير من الإمور، فقد سلك الطريق على شيخين، ألم تكن أنت نفسك الشيخ الثاني للمهدي؟ أما الآن فندع الشيخ الثاني لك، ونقبل على شيخك الأول، حيث أخذ الطريق من الشيخ أحمد البصير، وكان الشيخ أحمد يحبه ويجله، أما الشيخ الثاني فقد ظهر في شمال أمدرمان، وفي قرية أم مرح، وهو الشيخ أحمد الطيب البشير، الذي فاقت شهرته الآفاق، فقد سافرا سوياً إليه، الشيخ والتلميذ، وسلكا عليه الطريق، وأصبحا أخوين فى الطريق، وسلك على الشيخ القرشي عدد من (الطيبية)، ولعل من أبرزهم أبناء الشيخ نورالدائم، وخاصة ابنه الشيخ عبدالمحمود الشيخ نورالدائم.

ننتقل إلى محطة أخرى، وننزل فيها، قبل أن يسوقنا القطار إلى محطات ليست من وجهتنا. كان محمد أحمد المهدي أتعس الناس حينما تم طرده من الطريقة السمانية، ومحمد أحمد يحب هذه الطريقة، ولم تفلح المحاولات لإعادته إلى سلك الطريق، ولكن لابد وأن يكون هنالك حل، ركّب له جناحين مثل جناحي عباس بن فرناس، ولكن من عجيب الأمر أنها أوصلته إلى أرض الحلاوين، هنالك خلوة الشيخ، لا يهم أن يكون الشيخ متكئاً أو جالساً أو واقفاً المهم الآن سلك الطريق، وحدث هذا فعلاً، وأصبح من ناحية ثبوتية سمانياً، وأصبحت له مكانة خاصة عند شيخه القرشي، ألم يزوجه القرشي بنته النعمة؟ وظل يخدم شيخه الجديد، وكان في حاجة شديدة إليه كحاجة الأرض للأمطار، حيث يحمل العجين والوقود على رأسه، ومن مسافات بعيدة ويحب أبناء شيخه، ويتأدب معهم، ويسكن في قطية من القش في طرف المسيد.

توفيَ الشيخ القرشي إلى رحمة مولاه في قرية طيبة بتاريخ ١٨٧٨م.

أعطانا المخرج إشارة بأن العرض لم ينته بعد، ثم ماذا في هذه القطية الطرفية،وهنالك أهم لقاء دار في هذه المنطقة، حيث قدم على محمد أحمد الرجل الغريب، الذي عرف فيما بعد بالخليفة عبدالله التعائشي، والذى أراد الذهاب إلى محمد أحمد، حيث كان يعتقد أن هذا الرجل هو المهدي، فذهب عبدالله إليه في الجزيرة، ولكن محمد أحمد لم تكن فكرة المهدية تشغله كثيراً الآن، أما الذي يشغله فبناء قبة على قبر شيخه تخليداً لذكراه، دار اللقاء هناك، المؤكد أنهما تكاشفا في أمر المهدية، ولكن لم تحمل النسيمات هذا اللقاء، فظل أمر المهدية سرياً إلى أن تم الجهر به.

١٣ - المَك نِمر

قائد في ثياب نمر، ولكنه أسد هصور، هو المك نمر بن محمد ود نمر الجعلي السعدابي، وهو آخر ملوك الجعليين في القرن التاسع عشر.

لم يكن متاحاً في السودان فى ذلك الزمن إلا العلوم الدينية، حيث درس بالخلوة، وحفظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية المختلفة، على أنه عاش حياة بسيطة هادئة، ولولا حادثة حرقه لإسماعيل بن محمد علي، لما أهتم به أحد، على أن التعريف به يشمل في أغلبه تلك الحادثة.

هو حاكم قبيلة الجعليين، ومركز القبيلة في شندي، كان المك نمر طويل القامة، متخذ سمات الملك، ومنها أنه يرتدي فروه من جلد النمر في المواكب الرسمية، وبجانبه غلام يحمل مظلة يظلله بها، وله قصر مكون من طابقين على النيل، وله بالقرب من القصر حجرات أخرى لزوجاته.

على أن الأحداث متلاحقة، فقد اهتم محمد علي باشا بفتح السودان، وهو يعلم أن الإمبراطورية العثمانية لديها أمراض قلب مستعصية ، وأنها ترقد في غرفة (العناية المكثفة) وأن موتها مسألة زمن ليس إلّا، فما عليك أيها الباشا إذا استقطعت أجزاء منها، قبل تقسيم الميراث الشرعي، ولتكن تلك البداية بالحيطة الصغيرة، وهي السودان. وأرسل لها (أيي واحد) من أبنائك وليكن إسماعيل، فالذهب هناك، وبريقه قد يضيء لإسماعيل المناطق المظلمة في السودان، وكذلك الرجال فهم قوام جيشك الحديث.

تقدم جيش الغزاة الأتراك، لم يكن الجيش كله يلبس ملابس عسكرية، أنتم أيها العلماء لماذا جئتم؟ التسليم لسطان المسلمين أمر واجب الطاعة؟ أليس لكم أعمال أخرى؟ إصلاح تهذيب وتربية، أم أن علماء السلطان في كل زمان ومكان؟ تقدم إسماعيل من نصر إلى نصر، النوبة، الشايقية وانتصر في كورتي.

ثم بعد ذلك دخل في حمى الجعليين، وكان ذلك عام ١٨٢١م وقد رحب به ملك بربر، أين أنت أيها الملك نمر وسط هذه المعمعة؟ هل تجيد امساك العصا من المنتصف؟ أم أن العصا لمن عصى؟

فإن لم تستطع أنت الحضور لغرض في نفسك فأرسل ولدك، وهذا الذي حدث، ولكن الباشا له رأى آخر، يريد الملكين نمر ومساعد وبالفعل حضرا، وقدما فروض الطاعة، حتى وإن كانت إسميه فإن ذلك لا يهم.

واتجه إسماعيل بسهولة نحو سنار، أين هذه الخطابات الحماسية؟ "لا يغرنَّك إنتصارك على الجعليين والشايقية...فنحن الملوك وهم الرعية...أما بلغك أن سنار محمية ..." ذهبت هذه الخطابات في فضاء سنار الواسع، ودخل إسماعيل سنار واستسلم السودان للعهد التركي - المصري.

نسترسل بسرعة حتى لا يفوتنا اللقاء المحموم بين المك نمر وإسماعيل باشا، أشهر لقاء في تاريخ السودان، وبعد نشوة الفتح قرر إسماعيل العودة إلى مصر، وذلك لسوء طقس السودان، ومشاكل الفتح، كما أراد أن يستمتع بالإستقبالات التي تعدها له القاهرة، خاصةً وأنه حديث السن، وتعجبه هذه الأشياء.ولذلك قابل المك نمر ومساعد، وطلب منهم مطالب تعجزية، أوجزها نعوم شقير في أنه ضرب عليه جزية قدرها ألف أوقية ذهب، وألف جمل أصهب، وألف ناقة منتجة، وألف بقرة، وألف شاة، وألف عبد، وألف جارية، هل يملك الجعليون هذه الأشياء؟ المؤكد لا، ومع هذه المطالب إهانة بالغة لملك الجعليين، ومعه إبن عمه مساعد، هل وقف الأمر عند هذا الحد؟ لا إساءة أخرى، لا يتحملها ملك الجعليين، لقد رماه بالغليون، على أن الروايات بعد ذلك تشعبت، مثل التبغ الذي تبعثر من الغليون، أراد المك نمر الإنتقام حالاً، أما مساعد فقد أمره بالتريث، حدث هذا في حضرة إسماعيل، هل تحدثا بلغة الإشارة؟ أم بلغة يعرفانها سويا؟ أم بلغة البشاريين؟ كما في بعض الروايات. كان المك نمر ثائراً تخرج الكلمات من فيه كأنها حمم بركانية، أما مساعد فقد كان يعالج الإمور في هدوء وتؤدة.

على أن العرض المسرحي استمر، فقد كان الفصل الآخير من المسرحية، كان الجو مشحوناً بتوتر ما، ويقال أن المك مساعد قد قال للمك نمر: "يا زول أنت مجنون الحكاية ما بسووها كدى" كيف أيها المك؟ أفهمنا، وطمأنا إسماعيل أن الطلبات كلها مجابة في الغد، فقط عليهم اليوم تلبية واجب الضيافة و(الإكرام) ولو رجع التاريخ قليلاً إلى الوراء، لوجدا إمرأ القيس بالباب ولقال لهم :اليوم خمر وغداً أمر".

أين أنت يا ليوناردو دافينشي حينما رسمت لوحة "العشاء الأخير" قبل أكثر من ثلاثمائة عام، أما كان يدور في خلدك أن هنالك عشاءاً أخيراً بحق وحقيقةً. ودبرت المكيدة ليلاً، وجاء إسماعيل والجنود للعشاء وكانت هنالك رواكيب من القش، وطعموا و(شربوا) وانسل أحد أفراد المك نمر، وأشعل النار، وقضت على الأخضر واليابس. ومات إسماعيل وجنوده جراء صلفهم وغرورهم. وبعد حادثة الحرق هذه قام مجلس شيوخه بنصحه للخروج من شندي، وفعلاً حدث هذا.

وحينما علم صهر إسماعيل، وهو محمد بك الدفتردار بهذا المقتل، قاد جيشاً توجه به نحو النيل للإنتقام من قتلة إسماعيل، وقتل خلقاً كثيراً، ورجع إلا أنه عاد ثانية حينما علم بعودة المك نمر ومساعد، ثم لحق بهما واشتبك معهما فى عدد من المعارك أهمها معركة النصوب،و هزم الجعليين و قتل مساعد، أما المك نمر فقد انسحب إلى الحبشة، ورحب به ملكها، وكون هنالك مملكة، وكانت عاصمتها المتمّه، تيمناً بالمتمه التي هي في الغرب. كأنك عبدالرحمن الداخل الذي أنسحب من بطش العباسيين، وكون مملكة عظيمة في الأندلس، ونقل ثقافة الشرق إلى الغرب، أما أنت فقد نقلت ثقافة الغرب إلى الشرق. على أن المك نمر لم يعش كثيراً حيث مات عام ١٨٢٥م.

١٤ - مهيرة الشيخ عبود

فارسة طار صيتها في القرى والمدن، وأخذت شهرة خارج القطر بسبب شجاعتها ومقاومتها الحكم التركي المصري.

لم يكن السودان قبل عام ١٩٢١م وحدة متماسكة، ولكن كان كائناً هلامياً متشرذماً، حتى الدولة المركزية فيه، وهي دولة الفونج قد قسمت أمور الإدارة فيها للشركاء، فالفونج لهم حدود معلومة، والعبدلاب لهم حدود معلومة، أما الشمال فقد كان خاضعاً لمشيخات تدين بالولاء للعبدلاب، ومن هؤلاء قبيلة الشايقية، ذات القوة والمنعة والصولة في هذه المنطقة، وهي تقطن في أقصى الشمال، وهي منقسمة على نفسها، ومن أبرز ملوكها الملك عبود، والد مهيرة، والملك جاويش.

على أن دولة الفونج كانت في أيامها الأخيرة في صراعات بين الهمج والفونج، ونزاعات في سنار، وتحتاج لأيي شخص يحمل (طبنجة) ليس بالضرورة أن يكون محمد علي باشا، ولكنه على كل حال قدمت طلائعه بقيادة إسماعيل ابنه.

تقدم أيها الباشا، البلد مفتوحة أمامك، ليس هنالك شيء يقف أمامك، فالسلاح الناري له لغة خاصة.

تقدم اسماعيل لا يلوي على شيء، كانت الممالك تتساقط أمامه كأنها لوح ثلج ذاب في هجير تلك الصحراء.

تحرك إسماعيل عام ١٨٢١م وهو شاب صغير العمر يحب المغامرة. تحرك الجيش، ودخل ديار المحس والسكوت والدناقلة، دون أن يواجه أية مقاومة تذكر، فقد كانت قبائل صغيرة ومسالمة.

أين تذهب يا إسماعيل؟ هنالك الشايقية وما أدراك ما الشايقية، الشجاعة، القوة والحماسة، أين مهيرة بنت الشيخ عبود؟ سوف نأتي لك بعد قليل، تسامع الشايقية بأخبار الغزو (فجهزوا) السيوف والرماح، وكان القائد الميداني يدعى العقيد من كورتي، ولكن المعادلة غير موزونة، فقد قال السلاح الناري كلمته، واستشهد من الشايقية أعداداً كبيرة، ودمرت كورتي. وانسحب جيش الشايقية لدراسة خطة بديلة، وحينما (قعدوا) لمناقشة الخطة البديلة، وهنالك إحساس عام بإن العقيد يميل إلى الانسحاب، وهنا المخرج قد أخرج كل الممثلين من المسرح، وجعل عليه شخص واحد، هو أو هي مهيرة بنت الشيخ عبود، ندع المسرح قليلاً، ونرتاح مع سيرتها.

ولدت عام ١٧٨٠م في بلدة أوسلي، ومن ناحية النسب فهي مهيرة بنت عبود بن إزيرق بن زرقان، وهي تنتسب إلى قبيلة الشايقية، فرع السواراب وهنالك فروع أخرى للشايقية أهمها الحنكاب، وملكهم صبير، العدلاناب وملكهم شاويش، العمراب وملكهم حمد، وينتهي

نسب مهيرة إلى العباس بن عبدالمطلب، أما زوجها فهو دوانة بن حترة بن برحة العون الشايقي.

فليسمح لنا المخرج بالعودة إلى المسرح، عندما أحست مهيرة بميل العقيد إلى الإنسحاب بسبب وجود السلاح الناري، وهنا ظهرت ووقفت في منتصف المقاتلين، وهي تحرضهم على القتال وتتحدث عن شجاعتهم، وتقذف فيهم شعراً حماسياً، ثم كانت كأنها تتمثل الباشا اسماعيل أمامها " يا الباشا الغشيم قول لجدادك كَر ( ) " تقول أيضاً محرضة الشباب على القتال "يا فرسان أدفروا واحموا واطتنا... وإلا أدونا السيوف وهاكم رحاطتنا"

اشتبك الفريقان في معركة غير متكافئة، وانتصر السلاح الناري، على أن إسماعيل أعجب بشجاعة مهيرة، فأمر أن تحضر له وبأبي ثمن وتم أسرها، وذهبوا بها إلى إسماعيل، ودار حوار طويل بينهما ووجد شجاعة نادرة، تحدثت معه حديثاً لم يسمعه من قبل، واحتفظ بها حتى الصباح، حيث انحسمت المعركه لصالحه، فأمر أن يذهب بها إلى أهلها معززة مكرمة.

كان الملك عبود يتوقع عكس ذلك تماماً، لم يكن يتوقع من قائد شاب هذا السلوك غير المتناهي، فأقسم ألاَ يحارب هذا الشاب، وأن يبادله إحساناً بإحسان. خسر الشايقية المعركة عسكرياً، ولكن انتصروا سياسياً وهو الأهم.

لم تكن قط محلية، فلها في المحافل الأوروبيه حضور، "لم تحظ امرأة سودانية حسب تاريخ السودان الحديث المسجل، بإنتباه الأجانب، وذكرها على ألسنتهم كتابة وتوثيقاً مثلما حظيت المجاهدة مهيرة بت عبود شيخ بادية السواراب الشايقية" كما قال الدكتور عبد الله الشيخ سيد أحمد، لقد ذكر آلن مورهيد في كتابه الشهير "النيل الأبيض"، أن مهيرة كانت تنشد شعرها الحماسي وتتخلل أبياته بالزغاريد.

توفيت مهيرة في قرية أوسلي المجاورة لجزيرة مساوي ودفنت بها

١٥ - آمنة الشيخ عبود

أتى محمد علي باشا طارقاً لباب السودان، وطرقه طرقاً عنيفاً جداً، والباب رهيف جداً، ويحمل معه صكاً شرعياً من الإمبراطورية العثمانية لا يسمن ولا يغني من جوع، فتح السودان، وأراد استنزاف موارد السودان، وهذا لا يتأتى إلا بالتعليم.

كانت جهود نشر التعليم في السودان خجولة، وخاصة في عهد حفيده عباس باشا، الذي في عهده فتحت مدرسة الخرطوم، وناظرها رفاعة الطهطاوي، وقد أراد الباشا التخلص من هذه الشخصية المشاغبة بنفيه إلى السودان.

على أن السودانيين لم يركنوا إلى التعليم الحكومي، فهنالك الخلاوي تؤدي دورها بنجاح، وهنالك إمرأة، رقم مهم فى تاريخ التعليم الديني في السودان وخارجه، إمرأة لم تجد حظها من الذيوع والإنتشار، ولكن ما قامت به قد لا تستطيع الحكومات في ذلك الزمن القيام به.

هي آمنة بنت الشيخ عبود بن إزيرق بن زرقان، وهي تنتسب إلى قبيلة الشايقية، فرع السواراب، ولدت نهايات القرن الثامن عشر، في منطقة أوسلى.

وفي روايه أنها ولدت في كبوشية، قد تحدث عنها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي، وهو في طريقه إلى بلاد الشايقية، وأشار إلى جملة ما شاهده هنالك من مجاهدات هذه المرأة، وصوتها الذى بدأ بتعليم المرأة السودانية علوم دينها المختلفة .

أي صوت زار بالأمس خيالي؟
طاف بالقلب وغنى للكمـال
وأذاع الطهر في دنيا الجمال
وأشاع النور في صوب الليالي
أيها الشاعر العزيز عيسى جرابا لمن هذا الصوت؟
إنه صوتي أنـــــــا
أو تدري من أنـــــــا؟
أنا أم اليوم أسباب الهنا
أنا من دنياكم أحلى المنى

هي بنت شيخ الشايقية المشهور الشيخ عبود، وأخت الفارسة المشهورة مهيرة الشيخ عبود، والتي شاركت في واقعة كورتي ضد الأتراك، أما أمونة فقد تزوجت من أحد جنود الجيش التركي، وهو محمد الأزيرق، وهو سنجقاً في الجيش التركي "ومن المؤكد أنه كان للنساء دور بارز في إثارة حماس الرجال ودفعهم إلى القتال، ويلاحظ أن كل من مهيرة وأمونة كانتا أختان نشأتا في بيئة واحدة، إلا أن دورهما كان مختلفاً، فبينما ثارت مهيرة في وجه الجيش الغازي، غير أن أمونة تزوجت أحد أفراد هذا الجيش، ومن هنا نستنبط مدى

تفاوت مستوى الوعي بين النساء، مع أحادية الزمان والمكان" على حد قول الأستاذه نفيسة عبدالقادر، أما بقية شقيقاتها فهن غوالي، مرار، فاطمة الزرقاء.

كانت خلاويها في منطقة وادي بشارة، وقد حفظت القرآن الكريم، واهتمت بالتعليم حيث نذرت نفسها لهذا التعليم، وبدأت أولاً بابناء الأسرة، ثم ابناء القرى المجاورة، ثم عملت على فصل الجنسين، حيث كان هنالك خلاوي للأولاد، وخلاوي للبنات، وكذلك كان لها عدد من الداخليات، ثم بعد ذلك توجهت نحو الإقليمية والقارية، حيث إستجلبت معلمين من خارج المنطقة، وضربت شهرتها الآفاق، خاصة حجاج غرب إفريقيا، وكانو يعبرون دارفور، حيث كانت ملاذاً آمنا لهم، ولهم محطات مختلفة، كانو يأتون على كل ضامر، وبعضهم يأتى راجلاً، على أن أهم محطة عندهم هي، مسيد أو ملتقى أو دار لا أجد الكلمه المناسبة للمكان، ولكن المهم يجتمعون في دار السيدة أمونه، ماذا يجدون في تلك الدار العامرة بالتقوى؟ الطعام والأمن والكساء، أين الموارد؟ ولها مؤسسة زراعية متكاملة، ولديها أراض واسعة على النيل، ولها عدد من الذين يحسنون الزراعة، بالإضافة إلى زراعة المحاصيل الزراعية كانت تزرع (الذهب الأبيض) وبعد حصده يتم غزله بواسطة نساء الحي، وطالبات القرآن الكريم وإستخدمت نساجين من جهات المتمة والجبلاب، وبعد أن يتم نسجه توزعه كساء على الطلبة، وما زاد تتصدق به على الحجيج، خاصة وأن منطقة شمال السودان منطقة باردة في الشتاء، وجل همها الحجيج حيث تجمع جلود ذبائح النفقة، وتصنع منها نعال وتوزعه على الطلبه والحجيج.

لهتمت بالحجيج فقد نشروا إسمها في كل المناطق، وكانو يقولون: نحن نعرف مكة والمدينة وأمّونة، تنازل لها بعض الناس عن بعض أراضيهم، حتى تواصل الإنفاق على طلبة القرآن الكريم والحجيج، صارت منطقة شمال السودان كأنها جزء منها (حلة أمّونة، جزيرة أمّونة، سواقي أمّونة، نخيل أمّونة وترب أمّونة)

وقد حاول زوجها محمد الإزيرق وبعد تقاعده من العمل في العسكرية، مساعدتها فى الإنفاق، إلا أنها رفضت ذلك خشية عدم نقاء ماله، في مكان قريب منها، وزمان لا يبعد كثيراً، كان محمد أحمد المهدي بعد ذلك يتضور جوعاً حتى لا يأكل من طعام الأتراك.

كانت أمّونة تعيش عيشاً متقشفاً، وإلى جانب كبير من الورع والتقى والعفاف، وتخدم كتاب الله حتى وفاتها.

١٦ - حاج الماحي محمد

هو الحاج الماحي بن محمد بن الشيخ بن أحمد بن عبدالله، عام ١٧٨٩م هو بداية ظهوره إلى هذه الحياة الكريمة، هنالك في حمى الشايقية ظهرت شخصيتنا، كانت قرية الكاسنجر تفرد أشرعتها لتستقبل هذا المولود. وتقع هذه القرية المذكورة بالقرب من مدينة كريمة.

ومن العجائب أن شيخنا لا علاقة له بقبيلة الشايقية، فهو من بطون الجعليين، وأنه عاش معهم "ومن عاشر قوماً أربعين يوماً صار مثلهم" إلا إنه بعد تلك الإقامة معهم قد تطبع بأخلاقهم، وسجاياهم الكريمة، وصار أحداً منهم. حيث هاجر جدوده من قرية العقيدة جنوب الدامر إلى ديار الشايقية، منذ القرن السابع عشر الميلادي.

فقد تفتح منذ صباه يمتلك صوتاً جميلاً حتى (طمبور) الشايقية لم يدعه لهم، كأن هذه الآلة العجيبة لم تصنع إلا للشايقية، أو من حام حولهم، وله صولات وجولات في تلك الأغاني، حيث أكتسب شهرة كبيرة منها، وكان هنالك هاتفاً من أعماق نفسه التقيه كأنه يقول له (أخلقت لهذا؟) لم يكن حاج الماحي بعيداً عن جو المديح، فأبوه صديقاً مقرباً لمادح الشايقية الشهير علي ودحليب، وعلى الرغم من أن والده عمل بالزراعة وخاصة البستنة، وله ود مع أشجار الفاكهه والنخيل، ولكن له وداً أكبر من ذلك، فجوانحه تمتليء بالتدين فقد كان الشاعر علي ود حليب (ينقرش) بالطار وحاج الماحي هنالك منزو في ركن قصي، يسمع ويتأثر حتى ترك (الطمبور) واتجه إلى (الطار) وطار في أرض الله الواسعة، يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بشعر استخدم فيه اللهجة الدارجة المحلية.

اقتبس من القبيلة والمنطقة كل ما هو جميل، وحشد به شعره، فأخذ من الشايقية الحب والشجن والحنيَّة، وأخذ من الجعلين القوة والفتوَّة، ثم أخذ من قرية الكاسنجر والتي تتمتع بالهدوء، وجمال الطبيعة، وخضرة الزراعة، وبهاء الجزر النيلية، ذات المناظر(فطحن) هذا مع ذاك واستخرج هذه اللونية البديعة.

انتسب حاج الماحي في أغلب الروايات المذكورة إلى الطريقة الأحمدية، حيث سلك الطريق من الشيخ إبراهيم الرشيد، والشيخ إبراهيم من أشهر تلاميذ العلامة الكبير الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي المغربي.

ويسلك في مديحه الجانب التعليمي، حيث حشد مديحه بأنواع السيرة المختلفة، وكذلك تعليم وتبسيط الشعائر الدينية بطريقة بسيطة، والحج يتم عن طريق المشاة، أو عن طريق الدواب، حيث كان الشعراء يتفنون فى إكرام وتزيين تلك الدابة التي توصلهم إلى ما يريدون، انظر إلى أوصاف الجمل الذى يتمنى أن يجده ويحج به.

يا ربّي سَآئلك تقبل لى مطلـــب
تديني جملاً كَيِيلي أصهـــب

مو الدون قِصيّر وماهو المشقلب
أصهب بشاري طايع مـــؤدب
صدراً مفجَّج في شوفتو ترغـب
سَرجاً سناري محكوم مذهـــب
والفروة مِرعِزْ اتنيها واركـــب
فوقو إن رفعت من حينو جَلـــّب
قلتْ يا سلاماً أقبل وقبقـــب
تسمع مشيهو رجليهو طَب طـب
ينسف دوايرو بيناتا يلعـــب
ليهو المسافة تِنْصَر وتقـــرب
الماحي فوقو بي مدحو يطرب
هوّاي ومناي في أم سور وكوكب

عاصر شيخنا الحكم التركي - المصري ولعله شاهد بأم عينه فظائع العهد التركي، خاصة حملات الدفتردار الإنتقامية، التى قضت على الأخضر واليابس، وإن وجد أخضر، ورغم ذلك فلم يقف مكتوف الأيدي، بل له نوع من المقاومة، وله قصيدة مشهورة وهي قصيدة (التمساح) والرواية الشائعة أنها قيلت في تمساح سكن النيل، والتهم عدداً من الناس، وقد توسل حاج الماحي بعدد من الأولياء حتى يتمكنوا من القضاء على هذا التمساح، وهنالك رواية لها أهميتها، أن هذه القصيدة هي قصيدة رمزية، وأن التمساح مقصود به العهد التركي، وقد أسماه بعدد من الأسماء منها (الدود) (الصيدة) (الدابي)
توفيّ إلى رحمة مولاه عام ١٨٧١م.

١٧ - أحمد عوض الكريم أبوسن

ولاية الخرطوم تعاقب عليها (الصالح والفالح والناجح) أما الصفة الرابعة والتي تنتهي بنفس القافية، فلم تكن في زمنك أيها الأحمدي موجودة، أما الآن فله في خلقه شؤون.

أحمد عوض الكريم بن علي بن عوض الكريم بن محمد الإديغم بن عدلان بن نايل بن شاع الدين الشهير بأحمد بك أبوسن، وهو جمع بين هذه الصفات الثلاثة المذكورة أعلاه، وأضاف لها صفات وصفات. ولد عام ١٧٩٠م جمع بين الزعامة الدينية والسياسية والقبلية، إذ أن جده لأمه الشيخ الصوفي الشهير الشيخ يوسف أبوشرا بالإضافة إلى أنه من أسرة الزعامة التاريخية لقبيلة الشكرية، حيث عاشت هذه القبيلة شبه مستقلة، ولها حدود معلومة تقع بين نهر عطبرة شرقاً والنيل الأزرق غرباً.

أعطاه الله بسطة في الجسم والعقل، ألم يقل الرحالة الأمريكي جيمس هاملتون فيه "كان حضوره طاغياً، وطوله فارعاً، لقد وجدت الشيخ باسق القامة، مستقيماً كعصاة، وله عينان حادتا النظر، ولحية بيضاء تتدلى إلى وسطه" ولكن أيها الرحالة لم تكن تلك الإستقامة عند الشيخ حسية فقط، فهي استقامة أيضاً في أمور الشرع والحكم، ولكننا لا نتعجل أمور الحكم الآن.

قبل الدخول في دهاليز ولاية الخرطوم، نتجه إلى الشيخ وتعليمه، وكلمة تعليم في ذلك الزمن نوع من الترف، لم تكن هنالك مدارس نظامية، والتعليم هو تعليم ديني، والخلاوي تنتشر في أرجاء المعمورة، وتحفظ القرآن الكريم، وتعلم علوم الفقه، وهنالك كتب على شاكلة الرسالة والمدونة والمختصر تسمع هنا وهنالك، تعلم الشيخ أحمد تلك العلوم الدينية المختلفة.

ندع دولة الفونج وهمومها المتراكمة ونتجه نحو الشقيقة مصر،هنالك إسماعيل بن محمد علي باشا يستعد لفتح السودان. كانت كأنها نزهة قصيرة رغم (عكننات) قبيلة الشايقية فقد خرج منتصراً، وهل ينسى أحد تاريخ ١٨٢١م ؟. كان إسماعيل يفخر بأنه شاب صغير قد تمكن من فتح السودان، أما أنت فقد كنت شاباً أيضاً وتوليت زعامة قبيلة الشكرية، حيث أناب عن أخيه الأكبر محمد، حيث تمكن من توحيد قبيلة الشكرية، وقد جمع كل القبائل المتقاتلة في البطانة تحت إمرته، هذه المنطقة الساحرة الجميلة، وهذا الأديم كأنه بساط أخضر سندسي.

عمل في خدمة النظام التركي، ذهب إسماعيل باشا نتيجة لغضب الجعليين الذي ليس له حدود، أتت شخصيات على سدة الإدارة في مصر، وهنالك الوالي محمد سعيد يريد أن يعمل إصلاحات حقيقية في السودان، وأراد إحلال إدارة أهلية، كانت القبيلة هنالك كل الأراضي تحتها خضراء، فليس هنالك مانع في أن تعطيه الإشارة الخضراء، إلا أن محمد سعيد ضرب أخماس في أسداس وقرر تعيين الأرمني اراكيل بك كمدير للخرطوم وسنار وهو مسيحي.

حينما تم هذا التعيين لم تكن الخرطوم هي الخرطوم، كانت الأعاصير تملأ فجاج الأرض، رفضت هذه القبيلة هذا التعيين ومعها جيش جرار، يحملون أسنة رماحهم على أكتافهم، حدثت (مناوشات) بين الطرفين، لم تكن هنا معركة الطرف الأغر، فقد تم إستدعاء الشيخ أحمد على جناح السرعة إلى القاهرة عام ١٨٥٨م، حيث خضع للإقامة الجبرية لمدة ثمانية عشر شهراً، ثم تم العفو عنه بعد ذلك.

عام ١٨٦٢م كان فال خير على أحمد، حيث تم تعيين موسى باشا حمدي حكمداراً على السودان، وموسى يعلم تمام العلم بتلك القدرات المهولة التي يتمتع بها الشيخ أحمد، بالإضافه إلى أن موسى يعرفه مثل ما يعرف أصابع يده. لم تكن المنضدة بعيدة عن موسى حتى يصدر الفورمان بتعيينه مديراً على الخرطوم وسنار، أي عاصمة السودان القديمة والعاصمة الحديثة، يا إلهي! الخرطوم ملتقى النيلين، والجمال الآخَّاذ، أكثر من ثمانية مليون نسمة، أما الأحياء فالوالي نفسه لا يعرف عددها، لأنه في كل بضعة أيام هنالك حي جديد، ولكن آه، فقد نسيت أو تناسيت، فهذه هي الخرطوم الآن أما (خرطوم أبوسن الفيل) فبها أحياء الحكمدارية وحي المسجد وعدد قليل من الأحياء الشعبية وعدد سكانها حوالى ٢٥٠ ألف نسمة، أكثر من ثلاث أرباعهم من الأجانب.

وكان له كفاءة ومقدرة إدارية، كما أن المنطقة التي يحكمها كانت مستقرة إدارياً، ومن واجباته حفظ القبيلة متماسكة، وعليه التوفيق بين قبيلته والقبائل الأخرى والتي لها شراكة مع الشكرية في موارد المياه والمرعى، كما عليه حفظ الحدود بين السودان والحبشه فكثيراً ما كانت تقوم حرب (البسوس) بسبب أو دون سبب، ولكننا تجولنا كثيراً خارج الخرطوم، في الغفار والأودية والسهول والأنهار، فلندخل إذن مدينة الخرطوم، فقد كان عليه إدارة المدينة التي تتكون من (لحم راس) وفرض سلطان العدل هنالك، وقد فعل هذا بكل شفافية.

مدينة القاهرة هذه المدينة الحالمة شد لها ضيفنا الرحال من أجل بعض المواضيع المختلفة، ولكن سلطان الموت كان له رأي آخر... أيها الشيخ نم قرير العين وكان ذلك بتاريخ ١٨٧٩م.

١٨ - إسماعيل الولي

هنالك في عروس الرمال حيث الجمال والدلال والتلال والاطلال التي كم هيجت كوامن الذكرى، وحركت المواجد والأشواق.

الليل والمتع الخوالد فوق كثبان الرمـــــــال
والجدول الرقراق موّج سيره بعض الـــــدلال
والبهم ترتع في السهول، وتحتمي خلف التلال
وأنا أرف مع الهوى بين الأشَعة والـــــظلال

لك الله يا مدينة الأبيض، ولك الله أيها الشاعر المبدع، سعدالدين فوزي.

الشيخ إسماعيل بن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالرحيم، وهو بديري دهمشي جعلي عباسي، ولد بمدينة الأبيض، بتاريخ ١٧٩٢م وهو مؤسس الطريقة الإسماعلية بالسودان، وهو جد السيد إسماعيل الأزهري السياسي المشهور في تاريخ السودان.

وقد قدمت الأسرة من شمال السودان، شأنها شأن القبائل التي ارتحلت طلباً للرزق، وقد قدموا بالتحديد من منطقة منصوركتي، وهي تقع بالقرب من مدينة مروي، وتقول بعض الروايات أن والدته السيدة ملكة الدار كانت حبلى به عندما رحلوا، فوضعته في الأبيض، حتى يكون قد اشتمَّ رائحة الدعاش هنالك، ثم اختلطت هذه الروائح مع رائحة التبلدي، فيكون قد تنسَّم من طيب هذا البلد.

وقد عمل والده في التجارة، واستقر في حي الدناقلة، والذى عرف فيما بعد بحي القبة. ثم بعد ذلك توجه للدراسة من العلوم الدينية، حيث حفظ القرآن الكريم باكراً، ثم تلقى العلوم الدينية من والده، وكذلك من شيخ يدعى عربي ود مكاوي. ثم بعد ذلك بدأ في تعليم الناس علوم القرآن الكريم، والفقه بمدينة الأبيض، حيث دخل مناطق وعرة في جبال النوبة، خاصة مناطق جبال كندكرو وكندكيرا في جنوب كردفان، محافظة الدلنج، وعمل على نشر الإسلام فيها، حيث كان أول من عمل على تأسيس خلوة ومسجد في منطقة جبال النوبة.

في العام ١٨٢١م أتى الأتراك للسودان، وقضوا على دولة الفونج الإسلامية، ويبدو أن وجود الشيخ إسماعيل في منطقة جبال النوبة لم يرق لهم، وكان الشيخ قد سجن في الأبيض قبل ذلك، وقد عمل الشيخ إسماعيل أعمال كبيرة هنالك، حيث أدخل أعداداً كبيرة من الوثنيين في الإسلام.

وكان الشيخ إسماعيل (مشتغلاً) بتلاوة القرآن الكريم والصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وله نظام دقيق وصارم، يحيي فيه لياليه بالصلاة، وتلاوة القرآن الكريم، والإشتغال بالصلاة على النبى.

ثم بعد ذلك اتجه لسلك الطريق الصوفي، حيث سلك الطريق الصوفي على السيد محمد عثمان الميرغني المشهور بالختم، وهو مؤسس الطريقة الختمية، وتلميذ السيد أحمد بن

أدريس الفاسي، والراجح أن السيد محمد عثمان قد زار مدينة بارا، ثم زار مدينة الأبيض لبعض المهام الدينية المختلفة، في زياراته المختلفة لأنحاء السودان، ومصر والحجاز وشرق إفريقيا. ثم صار السيد إسماعيل خليفة للطريقة الختمية بمنطقة شمال كردفان.

على أنه لم يبق في الطريقة الختمية كثيراً، فلم يزد في الطريقة الختمية أكثر من سبعة أشهر، ثم بعد ذلك أسس طريقة خاصة به، عرفت بالطريقة الإسماعلية، وجدت ذيوعاً وانتشاراً في هذه المنطقة، وفي الأنحاءالمختلفة.

وفي عام ١٨٤١م قام بزيارة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم).

له عدد من المؤلفات، وهي أكثر من ست وسبعون مؤلفاً أبرزها، كتاب مزيل الإلتباس في عين غاية التسليم لهؤلاء الناس، وهو أول مؤلفاته، كتاب الواردات الملتمسة من الحضرة المقدسة، وهو كتاب لمولد الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، مشتمل على نزر من أخبار الرسول المختار، كتاب مفتاح باب الدخول في حضرة الله والرسول، وهو مجموعة صلوات على الحبيب المصطفى سيد الأنام موزعة على سبعة أسباع، كتاب العهود الوافية الجلية في كيفية صفة الطريقة الإسماعيلية، وهو كتاب يبين الطريقة من بيان أساسها وأذكارها وأسانيدها وفضلها وكيفية إستعمالها وأدابها وغير ذلك، كتاب مشارق شموس الأنوار ومغارب حسها في معنى عيون العلوم والأسرار.

على أنه بعد رجوعه من الحج دخل في خلوة، حيث اعتكف عن الناس، ولم يخرج لهم إلا في الضرورة، حتى أتت النهاية هنالك في مدينة الأبيض، حيث رقد هذا الجسد رقدته التي ليس لها بعد ذلك رجعة، وذلك بتاريخ ١٨٦٣م و تولى خلافته من بعده نجله السيد محمد المكي.

١٩ - محمد المجذوب قمر الدين

لكِ الله مدينة الدامر، هذا الجمال والروعة، هذ النيل الخالد يجري فتجري الحياة معه، ثم يأتي له نهر عطبرة فيرفده بالعطاء، فيتقبل النيل منه تلك الهدية، فيسيران متحابين قد ألِف كل منهما الآخر، فيصبحان روحين في جسد واحد، ويتجهان نحو مصبهما الأزلي في الشمال.

هو الشيخ محمد المجذوب بن الفقيه قمر الدين بن الفقيه الشيخ حمد بن الفقيه محمد المجذوب، وتاريخ الميلاد حوالي عام ١٧٩٦م هو ينتسب إلى قبيلة الجعليين المشهورة في تاريخ السودان، لم تكن الولادة في الدامر، ولكنها في المتمة معقل القبيلة، ثم انتقل مع الأسرة إلى الدامر، ومن ثم تم إحياء مدينة الدامر.

هنالك في هذه المدينة الحالمة حفظ القرآن الكريم في مسجدها، وهو آنذاك صغير في العمر، حيث لم يتجاوز التاسعة من عمره ثم بعدها انكب على علوم الدين المختلفة، خاصة علم الفقه، وقد اشتهرت الدامر بالعلم والصلاح حيث أخذ الفقه من الفقيه محمد الأزرق، وهو جد الأزارقة، وهي أسرة مشهورة في تاريخ السودان، ثم بعد ذلك أخذ الطريقة الشاذلية من والده الشيخ قمرالدين، وعمل بأورادها المختلفة.

ثم بعد أن أكمل دراسة العلوم الشرعية المختلفة ذهب إلى المدينة المنورة في صحبة السيد محمد عثمان الميرغني الختم و(السيدان) من أقطاب التصوف في السودان، وقد كان التصوف لديهما يسير بطريقة علمية بحتة، هي أقرب للكتاب والسنة، ومكث في المدينة المنورة تسع سنوات، وجلس فيها على كرسي الإمام مالك بالمسجد النبوي للتدريس. والشيخ محمد يتوقد ذكاءاً ونوراً، ولسانه لا ينطق ولا يقول إلا الحق، وقلبه يقظان نيّر البصيرة، ومنذ أن كان صغيراً يتشوق للإمور العلية، ولا تهمّه سفاسف الإمور. ويقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله، فقد كان حسن الخَلْق والخُلْق.

أما مجلسه فهو مجلس وقار وحكمة، كاني أرى الأمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وبالقرب منه الخليفة أبو جعفر المنصور، وهو يقول والإمام يستمع: "يا أبا عبد الله ضع الفقه ودوّن منه كتباً وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر، ورخص عبد الله بن عباس، وشوارد عبد الله بن مسعود، وأقصد إلى أواسط الإمور، وما اجتمع إليه الأئمة والصحابة" من المؤكد أن الشيخ محمد لم يؤلف الموطّأ، ولكنه وطّأ الناس على محبة الله ورسوله، وجليسه يجد عنده سكوناً واطمئناناً.

كان الخاصة والعامة يسارعون إلى مجلسه، وإذا جلس لتفسير القرآن الكريم أو الحديث النبوي تطيب ولبس أحسن الثياب، وأحسن ما عنده وتعمم، وقد اعترف له بالعلم عدد من الشيوخ والعلماء .

و له محبة في الرسول صلى الله عليه وسلم حيث نظم فيه عدداً من المدائح لعل من أهمها القصيدة المشهورة.

صببت دموعاً يشهد الحزن أنـــــها
أتت من فؤادٍ بالغرام متيّـــم
وليس له من ذي التيتم مشـــــرح
سوى أن يرى معشوقه فيسلّـم
يقول لي المعشوق لا تخشَ بعدَ ذا
حجاباً ولا طرداً فعهديَ متَمـــَم
حلفت يميناً أنّ قلباً يحبكـــــــم
عليه عذاب النارِ قطعاً محـــرم
فكيف بمن قد شَامكم كلّ ساعـة
فهذا يقيناً في الجنان ينعـــــّم
لساني تحيات تليق بقدركـــــــم
أكرّرها في حيكم وأهمْهـــــــم

وله العديد من المؤلفات ومن أهمها:

رسالة (المنسك الأبهج في مشاعر العمرة والحج) ورسالة (الحزن والقبض) و (بغية المريد السالك) و (الوريقات النافعة) ورسالة (في مصطلح الحديث) ورسالة (السنة المحمدية في بيان القواعد الدينية) ورسالة (العقد الاسنى) ورسالة (المظاهر الإبليسية) ورسالة (شمس نهار التجلّي) و (المعجز الوجيز من أحاديث الرسول العزيز).

كان يؤلف ويؤلف ويكتب ويكتب كأنه يعلم أن هذا العمر هارب منه، فلتكن الأعمال الحسنة. انتقل إلى رحمة مولاه وهو في عز الشباب، وكان ذلك في عام ١٨٣١م.

٢٠ - العبيد ود بدر

هنالك أناس تكون الحكمة وجوامع الكلم على طرف اللسان، فينثرونها مثل الطيب المعتَّق، فتنتشر بين الناس مثل اشتعال النار في الهشيم.

هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن موسى المعروف بالشيخ محمد ود بدر، أو العبيد ود بدر، أو العبيد ود ريَّة، ولد بقرية الحوَّارة جهة شندي عام ١٨١١م. حيث ينتسب إلى المسلمية البكرية، كما يلتقي نسب أسرته بالشيخ حسن بن حسونة والشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي.

كانت أمه ريَّة بنت علي الحسانية الكاهلية، هي كل شيء في حياته، فصارا متلازمين لا فكاك بينهما، حتى في التسمية أصبح ينسب لها، حيث قادته إلى طريق العبادة، حيث كانت تطمع في تحقيق بشارة تواترت عندها، بأنها سوف تنجب ابناً يكون مثل علم وسَمْتَ الشيخ حسن ود حسونة.

الأحباب هل ندخل على الشيخ وهو بلباس العباءة والكوفية؟ وبجواره الألفية والمصلاية أم ندخل عليه وهو يلبس دروع القتال؟ وبجواره السيف والرمح، ولكن هل يتجزأ الدين؟ كله وحدة واحدة.

تعلم علوم الشريعة على يد الشيخ أحمد بن عيسى الأنصاري، حيث سمَّع مختصر خليل عليه ثلاث مرات، وكذلك حفظ القرآن الكريم.وفي صغره يجاهد نفسه بالعبادة والسياحة في القفار والصحارى والآكام والجبال والأودية. ومع تلك السياحة الروحية، له سياحه علمية، إذ كان يغشى حلقات العلماء ليتلقى العلوم الشرعية منهم.

وفي ١٨٣٨م تمكن من أداء ركن خامس الخمسة، إذ تشرف بزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي تلك الزياره قابل السيد محمد عثمان الميرغني الكبير، وهو ينوي المجاوره( ) ألا إنَّ الميرغني أمره بالرجوع، لكي ينتفع به أهل السودان.

بعد أداء مناسك الحج، أخذ الطريق القادري على الشيخ عوض الجيد بن الحسن، ثم لزم مسيده في(أمضبَّان)، التى عرفت بعد ذلك بأم ضواً بان، وهي تقع جنوب شرق الخرطوم، حيث عمل على انفاق الطعام، وتعليم الناس القرآن الكريم، وعلوم الفقه المختلفة، وذلك عام ١٨٤٨م.

ننقل الأن مسرح الحدث هنالك حيث الشيخ المجاهد، ولكن اسمحوا لي أن أرجع قليلاً إلى الوراء، الشيخ في ذلك الزمن الذي أتحدث عنه لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، حينما شاهد بأم عينه تلك الحملات الجائرة التى قام بها الدفتردار، والتي عرفت بإسم حملات الدفتردار الانتقامية، والتي قامت انتقاماً لمقتل إسماعيل باشا في شندي، بواسطة الجعليين عام ١٨٢٣م، كان اليافع آنذاك تسجل ذاكرته القتل والدمار والفظاعة التي قام بها الأتراك، وذلك اليافع أو الشيخ فيما بعد قد كون فكرة حية عن الحكم القائم بالسودان، كان هنالك

وميض نور يتلألأ من (الشروق) كما ذكر الشيخ عثمان دان فودي، لم يكن ذلك النور إلا الإمام محمد أحمد المهدي.

تحرير الخرطوم نقطه مهمة في تاريخ السودان، والشيخ العبيد يستعد هو واتباعه لحصار الخرطوم. أرادت بريطانيا إرسال غردون باشا (كمحترف أجنبي) لإخلاء السودان، وتعلم أن غردون يعرف السودان جيداً كما يعرف أصابع يده الواحدة، حاول غردون تحييد عدد من الشخصيات المهمة، ومن ضمنهم الشيخ العبيد، كان الشيخ العبيد يحلق في أجواء أخرى، لم تكن الحور العين بعيدة عن مخيلته، وهو في سن لا تسمح له بالمناورة، فقد كان يحمل على (عنقريب) أمَّا الأتباع فقد أتوا من كل الاتجاهات، كما قام الشيخ العبيد باستدعاء ابنائه إبراهيم والعباس، حتى يكونوا نواباً عنه في بدء الحصار، وقيادة المعارك، كما أمر بإنشاء معسكر في أم ضواً بان، وذلك لاستيعاب جحافل المجاهدين.

يقولون: "أن أول الغيث قطرة" ولكن انهمر الغيث بعد معركة الحلفاية، حتى أن غردون لم يجد مظلة لكي يحمي بها نفسه، حيث تمكن أنصار الشيخ العبيد من الاستيلاء على حامية الحلفاية العسكرية. حاول غردون فك الحصار المضروب عليه، فقد كانت رئتيه تحتاجان إلى هواء نقي، وله عينان تراقبان الأحداث، فالأولى تراقب فك الحصار عن الخرطوم، أما الثانية فكانت تنظر إلى ذلك البحر الهادي هل وصلت حملة الإنقاذ أم لا؟.

توزعت قوات الشيخ العبيد على مناطق الخرطوم المختلفة، وذلك بغية إحكام الحصار عليها، قوات إبراهيم العبيد، والشيخ المضوي عبد الرحمن قد نزلت لحصار الخرطوم من جهة الشمال، أما الشيخ العباس العبيد فقد نزل بجهة الجريف لحصار الخرطوم من الجنوب، أما الشيخ عبد القادر ود أم مريوم فقد كان في جهة الكلاكلات، أما الشيخ محمد الأمين ود أم حقين فقد قاد الحصار من جهة شمال أم درمان، فقد تم الاحاطة بغردون من جميع الاتجاهات احاطة السوار بالمعصم، إلا أن السور في بعض الأماكن رقيق بعض الشيء، فانتصر غردون عند الجريف وبري، ولكن المنتصر لم يكن منتصراً والمهزوم لم يكن مهزوماً.

تم تجميع القوات للتوجه نحو المعركة الفاصلة في أم ضوأبان، كان المجاهد السبعيني هنالك في عريشه يدير المعركة، حيث يبشرهم بالنصر، في شهر سبتمبر ١٨٨٤م كان الانتصار الخالد، والذي هو بمثابة المناظر الأولى لفيلم (تحرير الخرطوم) أمَّا أنت يا غردون بعد تحرير الخرطوم،فلك القصر أو القبر، أما الأولى فهيهات، أما الثانية فنعم، ولكن لا أحد يعلم أين مكانه.

المخرج يخبرنا بإستحالة إكمال فيلم (تحرير الخرطوم) لأننا سوف نقف دقائق ودقائق حداداً ونتوشح بالسواد، وذلك لانتقال الشيخ العبيد إلى رحمة مولاه قبل تحرير الخرطوم بشهرين ١٨٨٥م.

٢١ - الحسن الميرغني

ندلف إلى شخصية لها حضور ديني وإجتماعي في المنطقة، هو الحسن بن السيد محمد عثمان الميرغني بن محمد أبو بكر بن عبدالله المحجوب، والذين يرتفع نسبهم الى الحسين بن علي.

ونبدأ، حيث بدأت الحكاية برؤية منامية للسيد محمد عثمان، بأن هنالك سيدة شريفة الحسب والنسب في منطقة بارا بغرب السودان، وعليه أن يتزوجها لأن نسلها منه سوف تكون له مكانه في السودان. وبالفعل ذهب، وتزوجها، وغادر وحملت الشريفة منه، وولدت له الحسن الميرغني وذلك حوالي ١٨٢٠م.

وبعد أن شب عن الطوق، وأصبح في ريعان الصبا كان دائم السؤال عن والده، حيث ألح على والدته كثيراً لكي يسافر إلى والده، حيث تحرك ركبهم الى أن وصلوا الخرطوم، وقد جمعه لقاء مع الشيخ إبراهيم الكباشي، حيث دخل خلوة في مسيده، ثم بعد ذلك واصل السفر، ومعه في الرحلة والدته وأخواله حيث توجه إلى مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، ثم الطائف حيث يسكن والده، ثم بعد ذلك رحل السيد محمد عثمان من الطائف إلى مكة المكرمة، ونشأ بجوار الكعبة المشرفة، ومنزلهم أول التكايا الميرغنية.

حفظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة على يد الشيخ محمد دلائل الخيرات، وتعلم العلوم الدينية المختلفة، وفي المدينة خليفة والده، ويدعى السيد أسعد، فعَّرف به أهل المدينة وهو محبٌ للعزلة كثير الذكر والصوم، حيث ظل مرافقاً لوالده فترة في الحجاز.وفي تلك الفتره وجد الحكم التركي - المصري على السودان، وقد أوصاه والده بعدم مخالطة الحكام، والبعد عنهم، ثم بعد ذلك عاد السيد الحسن إلى السودان عبر أريتريا، واستقر في كسلا، ولما وصل كسلا ازدحم الناس على بابه، وهذا لا يرضي الحكام أصلاً، ولكن مع ذلك أستمر الحال على ما كان عليه، وله نشاط ملحوظ في نشر الدعوة خاصة في مناطق الأنقسنا، وجبال النوبة، وقام بجولات شملت كل أقاليم السودان.

على أنَّ حدثاً مهماً، قد حدث، قرب الحكومة منه، أو قربه من الحكومة، لا يهم، المهم الموضوع، وهو أحداث ثورة الجهادية السود بكسلا عام ١٨٦٥م وأسباب الثورة تأخير المرتبات، وقسوة معاملة الضباط لهم، وتمكن الثوار من احتلال مدينة كسلا لمدة ست وعشرون يوماً، وحاصروا الأهالي في منازلهم. كما قتلوا بعض الضباط والجنود، ولم يكن في مقدور الحكومة القضاء عليهم بالقوة، لأسباب كثيرة، قد يكون من أهمها كثرة الضحايا خاصة من المواطنين.

على أن الحكومة تلفتت يُمنة ويسرة، علها تجد حلاً سريعاً لتلك المعضلة، نعم هنالك حل وليكن ما يكن، سلاح الحيلة، أليس للسيد الحسن الميرغني مكانة دينية مرموقة وسط هؤلاء الجنود؟ ألا نستفيد منه؟ أجل، وتمت الوساطة ومعه شخصية أخرى؛ آدم بك العريفي، الذى

كان محبوباً وسط الجنود لشجاعته. وتدخلت الوساطة، والشق الأول أن يرمي الجنود سلاحهم، أما الشق الثاني أن تعفو الحكومه عنهم، "وهل يوجد الغدر إلا في الحكومات؟" نفذ الجنود ما طلب منهم، ولكن، آه، لقد غدرت الحكومة، وإن لم تفعل ذلك فليس هذا من أصلها، فقد قتلت بعضهم رمياً بالرصاص، وحبست آخرين حبساً مؤبداً مع الأشغال الشاقة.

نرجع قليلاً للتعريف بالطريقة الختمية

هي طريقة صوفية دخلت السودان من شبه جزيرة العرب، وذلك في أخريات القرن الثامن عشر الميلادي، أي هي طريقة حديثة نوعاً ما، وترجع تسميتها بالختمية، لمؤسسها السيد محمد عثمان الميرغني الشهير بالختم. كما أنَّ مؤسسها منحدر من الدوحة النبوية، وهذا يعطيها (صك دولي) حيث أن السودانين متعلقون بأهل البيت. وتنتشر هذه الطريقة في أماكن واسعه كمصر، أريتريا، وكذلك في كل من شرق القارة الأفريقية، وغربها وأوسطها وشمالها.

أما عن صفات السيد الحسن، فإنه على كامل الصفات، يتهلل وجهه بالسرور، ويبتهج حينما يلاقي أتباعه، وكذلك كل من يلقاه يباشره بالطلاقة والبشاشة، حَسَن الأخلاق ليّن العريكة، وكثير التواضع، يهتم بالفقراء والمساكين، ويجلس معهم، كثير البكاء والتأوه خصوصاً عند تلاوة القرآن الكريم.

شُيّد ضريح السيد الحسن الميرغني بعد وفاته، على شكل قبة، حيث يقصده الاف من أتباع الطريقةللتبرّك، وقد خلعوا أحذيتهم عند دخولهم الضريح، وذلك لأنه يعتبر عندهم مكاناً مقدساً، وحول الضريح سياج خشبي، حيث يمسك هؤلاء الأتباع به، وهم يقرؤون أدعيتهم عند هذا الضريح، والذي أصبح قبلة لأتباع الطريقة الختمية في السودان، وتعقد في المسيد حوليات سنوية.

كانت وفاته عام ١٨٦٩م ودُفن في ضريحه في مدينة كسلا.

٢٢ - آدم بك العريفي

أن تكون الرجل الثاني أو حتى الثالث في إدارة حكم استعماري جثم على السودان فترة طويلة فهذا يعنى أنَّك تتمتع بمواهب نادرة، حتى لو كنت الثاني أو الثالث لفترة محدودة، حتى لو فى الأحلام.

هو آدم بك العريفي، من بقّارة دار حامد، ولد في بدايات العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، نشأ في هذه المنطقة، وتعلم العلوم الدينية المختلفة.

كانت العسكرية تجري في عروقه حيث دخل فيها، شارك في حروب داخلية وكذلك حروب خارجية، حيث شارك في الحرب التي دارت بين الدولة العثمانية وروسيا، أو ما عُرف بحرب القرم ١٨٥٤ - ١٨٥٦م وهو ضابط فى الأورطة التاسعة والتي شاركت في تلك الحرب .

أما الحدث الذي ارتبط به هو ثورة الجنود السود في كسلا، عام ١٨٦٥م، وكانت الحكومة ترى الحل عند العريفي، أين العريفي؟ أحضروه الآن ولو من تحت (طقاطيق) الأرض، إنه محبوب وسط الجنود، وضعت الحكومة معادلة آنية، أيها الجنود، ضعوا هذه الأسلحة في مقابل أن تعفو عنكم الحكومة، ولكن كان أستاذ الرياضيات لا يفقه شيئاً عنها، فلم يتمكن من حل المعادلة، وسيق بعض الجنود إلى ساحة الإعدام رمياً بالرصاص، أما من كان محظوظاً فله السجن المؤبد مع الاشغال الشاقة، هنيئاً لكم بها، كأن لسان حال الحكومة يقول لآدم "دع عنك هذه (العريفية) إلى الأبد، فإنَّ رتبة اللواء جاهزة لك".

خاض بعد تلك الدفعة المعنوية عدداً من الحروب مع الجيش المصري والتركي في داخل البلاد وخارجها، حيث تدرج في الرتب العسكرية حتى ترقى إلى رتبة القائد العام وذلك عام ١٨٧١م.

أتى الحكمدار جعفر باشا مظهر إلى السودان في أعقاب ثورة الجهادية لإصلاح الأحوال السياسية والعسكرية، ولكنه حين قدَّم إستقالته عام ١٩٧١م؛ زاد الحال سوءاً في السودان، حاول الخديوي إصلاح وترميم الشقوق، فأدخل مركزية جديدة فى السودان، التجديد سنة الحياة، قسم السودان إلى قسمين. بحري السودان وقبلي السودان وضم الأخير مديريات: الخرطوم، سنار، فازوغلي، البحر الأحمر وكردفان، وعيّن عليه أحمد ممتاز باشا، إلا أنَّ الخاتمة كانت أسوأ من البداية، حيث أتّهم بالفساد المالي والإداري، وفرض ضرائب غير قانونية. وصدر الأمر للعريفي بأن يتم إعتقاله، ويحل محله في إدارة قبلي السودان. أيها العريفي ماذا تنتظر؟ اذهب إلى قصر الإمارة، وأعدل بين الناس أيها القوي الأمين، ورعيته تثق به تمام الثقة، وذلك لنظافة يده وشجاعته وعدالته.

لم يستمر كثيراً في منصب كهذا، إدارة أكثر من نصف السودان لابد أن تكون قريباً من تركيا ومصر، على أنَّ الخديوي إسماعيل قد (ساط) الأمر مرة ثانية، وعدل إلى النظام المركزي، وعين الشركسي إسماعيل باشا أيوب حكمداراً على السودان، ثم بعد ذلك تعاون

العريفي مع الحكمدار الجديد للعمل لإنقاذ حملة محمد البلالي، والذي دخل في حروبات مع الزبير باشا، ولكن هذه الحملات فشلت، وقتل البلالي.

فى عام ١٨٧٢م تمت إعادة العريفي ليكون قائداً عاماً للجيش، بعد ذلك أمره الحكمدار إسماعيل بالتوجه نحو القلابات واحتلالها، حيث تمكن من احتلالها في عام ١٨٧٣م وواصل صعوده في درجات السلم الوظيفي والعسكري، حيث أصبح نائب الحكمدار، وظل يخدم حكومة العهد الثنائي التركي - المصري إلى أن وافته المنية في خواتيم القرن التاسع عشر الميلادي.

٢٣ - الزبير باشا رحمة

لك الله يا ابن رحمة، من يعمل على نشر العقيدة الإسلامية يتعرض للتشهير والتحقير "واذا كانت النفوس كباراً ...تعبت في مُرادها الأجسامُ"..

تعب جسدك الهزيل بين القاهرة وجبل طارق، لأن النفس كبيرة، ولكن ألا نتعرف على ما حصل؟

هو الزبير باشا رحمة، ولد بجزيرة واوسي بالقرب من الجيلي، في١٨٣١م ووالده رحمة ود منصور ود علي الذي يتصل نسبه إلى العباس بن عبد المطلب. وهم ينتسبون إلى قبيلة الجعليين.

بدأ بتعلم العلوم الموجودة، وهي العلوم الدينية، حيث تعلم بخلوة الجيلي ثم خلوة الشيخ أبوقرين ثم كُتاب الخرطوم، ونسخ المصحف الشريف بخط يده وحفظه، وأخذ علوم الفقه المختلفة على مذهب الإمام مالك، وهو متمكن في اللغة العربية، ووضح هذا من الرسائل المطرزة التي كتبها لزعماء القبائل إبَّان وجوده في مصر.

بدأ في عام ١٨٥٦م أول رحلاته التجارية، حيث جاب بحاراً وأنهاراً وقِفاراً، ودخل أماكن مجهولة، حيث سافر مع ابن عمه محمد عبدالقادر، الذي يعمل في خدمة التاجر المصري علي أبوعموري، وعمره لم يتجاوز الخامسة والعشرون، ثم توسعت التجارة بينهما، حتى صار له وكيلا.

عاد الزبير إلى الخرطوم، وبدأ بتأسيس تجارة خاصة به، قوامها العاج والجلود النادرة، وحتى الذهب والفضة، كما شملت تجارته الجنوب، والعالم العربي، الذي انفتح عليه، تعامل مع كبار التجار العرب، وقُدرت أرباحه الشهرية في تلك الفترة، بإثنى عشر ألف جنيه سوداني.

ثم دخل إقليم بحر الغزال، واجتمع حوله عدد من التجار، وكان هو الزعيم عليهم، حيث تمكنوا من هزيمة زعماء قبائل بحر الغزال في عدد من المعارك المختلفة، حوالي مائة وعشرون معركة حربية، وتمكنوا من السيطرة عليها تماماً، وذلك في عام ١٨٦٥م وجعل (بَايَه) عاصمه له، وعرفت فيما بعد بديم زبير. وكوَّن لنفسه جيشاً شديد البأس، عرف بال(بازنقر)، وطبق أحكام الشريعة الاسلامية.

وقد توسعت تجارته، مما استوجب تأمين طرقها في كردفان، عقد اتفاقية مع مشائخ الرزيقات، لفتح طريق دارفور، مقابل رسم معين يتقاضونه منه. ولهذا الطريق أهمية إستراتيجية، بعد الرقابة التي فرضت على الطريق من قبل الخديوي إسماعيل، ولذلك قصده تجار الرقيق خوفاً من الحكومة.

نقض الرزيقات العهد الذي بينهم وبين الزبير، وتمكنوا من مهاجمة قوافله، حاربهم الزبير، وانتصر عليهم عام ١٨٧٣م ثم تداخلت سلسلة من الأحداث، أدت الى أن يقوم الزبير

بمحاربة السلطان إبراهيم حسين، سلطان مملكة الفور، وبعد عدة معارك استطاع الزبير تحقيق النصر الحاسم عليهم في موقعة (منواشي) في إكتوبر ١٨٧٤م والتي إنتهت بمقتل السلطان إبراهيم، ودخول الزبير الفاشر وسقطت سلطنة الفور.

تسلمت إدارة الحكم التركى - المصري إدارة دارفور، بأعتبار أن سلطان تركيا خليفة للمسلمين، ثم حدث خلاف بين الزبير وبين الحكمدار اسماعيل أيوب حول الضرائب، ورؤية الزبير أن ياخذ الذكاة الشرعية لا غير، فكتب الزبير للخديوي إسماعيل يستأذنه في الحضور لمصر لعرض الخلاف عليه.

جاء خطاب الزبير للخديوى على طبق من ذهب، هذا الصيد الثمين يريد أن يقع في الشرك بمفرده، ماذا ننتظر؟ وجهوا الدعوة بسرعة له، هذا الشخص خطر على الخديوية، لقوة شخصيته، فذهب إلى مصر وتم إحتجازه، ولم يسمح له بالعودة إلى السودان، وذلك عام ١٨٧٥م.

أي رجل هذا! وهو في منفاه الإجباري يحرك الأحداث، حيث دارت حرب بين روسيا وتركيا، وإستنجد الباب العالي بمصر، فقاد الزبير أحد الفرق، وقوامها أربعة ألف مقاتل، وكان برتبة لواء، واستطاع بخبرته دك تحصينات العدو، ولكن الجو البارد أثّر على صحته حيث أرسل إلى (الاستانة) وتم علاجه، وتمكن من مقابلة السلطان عبدالحميد، والذي أنعم عليه برتبة الفريق، والنيشان العثماني الثالث.

عند تكليف الحكومة الإنجليزية لغردون باشا بمهمة إخلاء السودان ١٨٨٤م جمعه لقاء عاصف مع الزبير في القاهرة، حيث رفض الزبير مصافحة غردون "... لن امس اليد التي تلوثت بدم فلذة كبدي" ويقصد ابنه سليمان الذي تمرد على الحكومة، وبعد نقاش، أقرَّ غردون بأن الأمر فيه مأساة، وقدم غردون إقتراحاً بإصطحاب الزبير إلى السودان، وتعيينه حاكماً عاماً على السودان، ولكن الوزارة البريطانية لم تستجب لذلك. وانتصر المهدي بعد ذلك، وقتل غردون باشا.

ويبدو أن الحكومة البريطانية شكت في اتصال الزبير السري، وتخوَّفت من ذلك الرجل الأعزل، حيث تم استدراجه إلى الاسكندريه، من ثم تم نفيه إلى جبل طارق، وفي تلك الفتره كتب مذكراته الشخصية لمجلة (مراجعات معاصرة) والتي تصدر من لندن. في ١٨٨٧م أعيد الزبير إلى مصر وبقي بها حتى عام ١٩٠٢م.

ثم عاد إلى السودان بعد القضاء على الثورة المهدية، وعاش بمدينة الجيلي يرعي شؤون قبيلته، ويشرف على أملاكه الواسعة، ثم عاد إلى مصر في عام ١٩٠٥م ورجع إلى السودان في عام ١٩١٢ م وبقيّ في السودان حتي وفاته في ١٩١٣مودُفن في مقابر الجيلي.

٢٤ - محمد أحمد المهدي

هذا الرجل وفي خلال أربع سنوات، فعل أشياء تعد في خانة المستحيلات، وبالإرادة والتخطيط السليم فعل ما يصبو إليه.

هو محمد أحمد بن عبدالله بن فحل، ولد في جزيرة لبب في منطقة دنقلا عام ١٨٤٣م وأسرته من الدناقلة، وتنسب إلى الأشراف، وهذا أعطاه خصوصية فريدة لعبور مطبات لا تعبر لولا هذه الوثيقة الثبوتية.

إشتهرت أسرته بصناعة المراكب، وعندما شحت الأخشاب في هذه المنطقة انتقلت الأسرة إلى بلدة كرري شمال أمدرمان. حيث تُوفيَ والده وهو طفل ثم كفله شقيقاه محمد وحامد، ثم انتقلت الأسرة للإقامة في مدينة الخرطوم حيث توفيت والدتهم زينب بنت نصر.

له شغف بالعلم، ومن المؤكد أنَّ شقيقيه قد ذللا له العسير، وفرشا له الطريق بالورود، وقد يكون أنهما لمحا النجابة فيه، حيث التحق بخلوة الفقيه الهاشمي بكرري، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة. ثم انتقل إلى قرية كترانج بالجزيرة وشيخها الأمين ود الصويلح، حيث درس عدداً من العلوم الشرعية.

ثم حصلت له نقلة مهمة في تاريخ حياته، حيث تسامع بشهرة خلاوي الغبش، والتي فيها ما لذ وطاب من أنواع الثقافات المختلفة، وشيخها الشيخ محمد الخير عبدالله، ولعله مع الهدوء النفسي والروحي الذي نعم به هناك، وسماعه لعبارات تدخل ذهنه لأول مرة، على شاكلة الغزالى، ابن تيميه، ابن حجر، ابن رشد ومحي الدين بن عربي، لعله قد داعب ذهنه الوقاد كذلك الهدى والهداية والمهدية وأشياء من هذا القبيل.

لانغفل حدثاً أو أحداثاً تمت في فترة الخلوة، قد شكلت شخصيته من بعد، وقد كانت رسائل (شبه مشفرة) وجهها للحكومة في وقت مبكر، حيث رفض أكل طعام الحكومة الذي كان يعطي للخلاوي فيما يعرف بنظام (الجراية)، نقل هذا الحدث للشيخ محمد خير، ولكن الشيخ لم يغضب من ذلك، ومع ذلك كله خصص له طعاماً من ساقيته الخاصة، وهنا من (حقنا) أن نتساءل ليس بالهمس، ولكن بالجهر، هل هنالك شيء ما؟ هل أسر التلميذ بشيء ما للأستاذ، ويدعم هذه الفرضية أن الأستاذ محمد خير قد تولى عمالة الشمال بعد ذلك.

وبعد ذلك أكمل الجانب العلمي بنجاح، ولم يتبقى له إلا جانب الحقيقة، أو علم التصوف، هل اختياره للطريقة السمانية، وشيخها الشيخ محمد شريف نورالدائم حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريق مجرد صدفة؟ لا أعتقد فالصدفة لا تتكرر كثيراً، فقد تكون فكرة المهدية (معشعشة) في رأسه منذ خلاوي الغبش، ودعم هذه بدخوله في طريقة شعبية، مالنا ولهذه الفرضيات، ولكن الشيء المؤكد أنه سلك الطريق على الشيخ محمد شريف نورالدائم، عام ١٨٧١م حيث أظهر في الطريق عجائب وغرائب، فأجازه الشيخ في الطريق، وسمح له بالذهاب لكي ينتفع به الناس.

ذهب وتزوج بنت عمه فاطمة بنت الحاج، فحاول أن يعمل بالتجارة ثم الإحتطاب، أخلق لهذا؟ ثم لحق بإخوته في الجزيره أبا، وقام ببناء خلوة ومسجد، ولمع اسمه. وظل يتردد على شيخه، وحسنَ له منطقة النيل الابيض، فأقام شيخه خلوة في العراديب، وهي بين الكوة وأبا حتى يصبح بالقرب منه.

ثم بعد ذلك حصل الخلاف الشهير بين محمد أحمد ومحمد شريف، وهناك عدة أسباب: ولعل أقواها اختلافه معه لإحتفاله بختان أبنائه بصورة لم يتقبلها تلميذه الزاهد، فطرده الشيخ وأقصاه، وهنالك أيضاً غيرة شيخه عليه، أو لدعوة المهدية، خاصة وأن الشيخ قد ذكر في قصيدة الرائية ما يفيد بأن محمد أحمد أعلمه بأمر المهدية، وهذا يعضد فكرة أن المهدية (معشعشة) في خياله منذ خلاوي الغبش، وليست وليدة اللحظة في منطقة طيبة، وقد يكون القرب الجغرافي له أثر في ذلك الخلاف.

المهم تجاوز محمد أحمد محطة الحزن كثيراً، ولم يلعن الظلام، ولكنه أوقد شمعه لكي تضيء له نوراً من طيبة بالحلاوين، وذهب إلى الشيخ القرشي ود الزين، وكتب له (بدل فاقد) وأعاده إلى سلك الطريق السماني. وبعد فتره تُوفيَ الشيخ القرشي ود الزين، فقرر بناء قبة عليه.

والآن توالت الأحداث كمطر في عز الصيف، والمخرج يخبرني بأن الزمن قليل، ومع هذا النسيم العليل نقول: إنه أسَر لعبدالله بأنه هو المهدي المنتظر. خرج إلى كردفان مرتين، والثانية هي الجهرية، حيث أسر بدعوته، وكتب خطابات لعدد من الزعماء بهذا الشأن. تسامعت الحكومة بخبره، وأرسلت له وفد بقيادة أبي السعود لإقناعه عن التخلي عن تلك الأفكار، فرفض ذلك.

كان لابد من المواجهة، ودارت معركة أبا في أغسطس ١٨٨١م، وفيها حقق المهدي إنتصاراً يحتاج له كثيراً، وتيقن بأن الحكومة ستكون وراءه مهما كان الثمن، ولذلك قرر في اليوم الثانى الهجرة إلى قدير، والدافع الديني والجغرافي له أثر كبير في تلك الهجرة.

ثم كانت حملة راشد بك أيمن في قدير، وبفضل التخطيط السليم، وجسارة رابحة الكنانية، والتي كشفت له خطة العدو تمكن من تحقيق النصر. ثم انتصر على الشلالي في قدير، وذلك في مايو ١٨٨٢م وقد غنم المهدي غنائم كثيرة، وكسب كسباً معنوياً.والهزيمة الوحيدة له، والموجعة حينما هاجم الأبيض، في الجمعه ٨ سبتمبر ١٨٨٢م وفيها فقد عشرة آلاف، ولكنه رتب أوراقه سريعاً، وكون فرقة الجهادية (حَمَلة السلاح الناري) تحت قيادة حمدان أبوعنجة .

في ٥ نوفمبر ١٩٨٣م نجد حدثاً عظيماً، لم تكن معركة شيكان أم المعارك فحسب، ولكنها طريق لاتجاه واحد عنوانه الخرطوم. أبيدت الحمله إبادة تامة، وقتل القائد هكس. كانت خيبة كبيرة لبريطانيا، حتى أن اللورد فيتز موريس علق على ذلك في جلسة مجلس

اللوردات البريطاني نوفمبر ١٨٨٣م "لم يفن جيش بهذه الطريقة منذ أن هلك جيش فرعون في البحر الأحمر".

ثم التوجه نحو الخرطوم، وتحريرها ومقتل القائد غردون باشا فى ٢٦ يناير ١٨٨٥م والإستيلاء على السودان، وإقامة حكم الشريعة الإسلامية.

أما آن لهذا الجسد المكدود أن يستريح، بعد أن حقق ما يصبو إليه وأكثر، بلى لقد أتت الخاتمة، حيث تُوفيَ في أم درمان في يوم ٢٢ يونيو ١٨٨٥م. خلفه الخليفة عبد الله بن السيد محمد الملقب بالتعايشي.

٢٥ - الخليفه عبدالله التعايشي

سفر عظيم، قاد سفينة السودان في بحر أمواجه متلاطمة، تحيط به أربعه دول إستعمارية من العيار الثقيل، ولكن كان الربان ماهراً في القيادة، فتفادى هذه بتلك، ورغم ذلك لم يسلم من شرك الإنجليز.

مالنا ولمسك العصا من النهاية، فالحكاية من البداية، هو عبدالله بن محمد بن علي الكرار الشهير (بتورشين) وتعني الجاموس البري، المعروف بالقوة، وأمه من قبيلة التعايشة، والتي نسب إليها، أما جده فحفيد القطب الواوي التونسي. إفتتح الشيخ محمد خلوة لتحفيظ القرآن الكريم، وصارت لها شهرة، وأراد الذهاب لأداء فريضة الحج، ومعه الأسرة، وواصلوا سيرهم إلى أن وصلو دار الجمع، ومنطقة ابو ركبة فتوفيّ هنالك ودفن بها.

والآن مهلاً نفتح صفحات الكتاب لكي نتعرف عليك أكثر، ندلف لك بهدوء، ونقرأ، ولد في بلدة المقدود من نواحي رهيد البردي، حوالي عام ١٨٤٦م، وهو يذهب إلى (الخلاء) متأملاً، وهذا حال العظماء، وقد سيطرت عليه فكرة المهدية و(عشعشت) في ذهنه، حتى خال كل من (هَبَّ ودَبَّ) أنه المهدي المنتظر، وله موقف مع الزبير باشا، فله نزاع مع الرزيقات، وجاء الرزيقات لعبد الله لكي يكتب لهم (حجبات) تقيهم شر سلاح الزبير الناري، ولكن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن، حيث انتصر الزبير ووقع عبدالله في الأسر، وكاد يعلق في حبل المشنقة، ولكن لكل أجل كتاب. ويبدو جلياً أنه معجب بالزبير باشا والإنتصارات التي حققها، حيث كتب إليه قائلا: "رأيت في الحلم أنك المهدي المنتظر وأني أحد اتباعك فأخبرني إن كنت مهدي الزمن لأتبعك" فرده الزبير.

هنالك في بحر أبيض، برز نجم محمد أحمد بن عبدالله، وصارت تشد إليه الرحال، ويبدو أن عبدالله قد سمع به، وقرر الذهاب إليه، في رحلة طويلة مكتوب عليه أن يمشيها، قد أوردها الكاتب عمر علي قسومه في كتابه الرائع عن الخليفة، والخلاصة أنه حينما وصل الجزبرة أبا، وجد محمد أحمد قد فارقها إلي طيبة، لبناء قبة على قبر شيخه القرشي ود الزين. وقد وصل لمحمد أحمد فى حاله يرثى لها، وحكى له (الرؤيا) أو (الرؤية) وكان محمد أحمد قد أباح له بأنه المهدي المنتظر، وأمره أن يكتم ذلك حتى الوقت المناسب.أيها المخرج لملم لنا أطراف الحديث سريعاً فالأحداث متلاحقة والزمن محدود، هيا، قل.

بدأ محمد أحمد في عام ١٨٨١م بنشر دعوته السرية ومن ثم الجهرية، وحقق انتصارات سريعة ومباغتة، أدهشت الكل قبل أن تدهش محمد أحمد نفسه، وفي هذه الظروف بدأ نجم عبدالله في التوهج. وبعد أن هاجر المهدي إلى قدير، عين أربعة خلفاء له، وعبد الله أولهم، ثم قسم رايات الجيش إلى ثلاث رايات، وأكبر الرايات من نصيب عبدالله، وبعد تحرير الخرطوم عين المهدي سبعة أمناء، يمثلون مجلس وزراء وعبدالله رئيساً لهم .

وتم تحرير الخرطوم، ولم يعش المهدي كثيراً حتى ينعم بهذه الإنتصارات حيث تُوفيّ عام ١٨٨٥م. هل كان المسرح خالياً؟ المؤكد لا، فقد كان عليه شخوص يتطلعون إلى الخلافة، ولكن شخصية عبدالله أعدت على نار هادئة، فإختيار المهدي له بمثابة (جواز سفر دولي).

تُوفيّ المهدي في وقت مبكر في ٢٢ يونيو ١٨٨٥م كانت كل الأنظار نحو الخليفة والذي قبض على السلطة بيدٍ من حديد، وعليه أن يبرهن أنه مهدي جديد، ولكن هل عباءة المهدي تشبه عباءة الخليفة؟ فتلك (سكروتة) أما هذه اقل منها، ولكن مع هذا واصل العمل المنوط به بنجاح، وأخضع الحاميات في كل من سنار وكسلا.

وكذلك قضى على تمرد الأشراف، وهم أبناء عمومة المهدي، وزعيمهم محمد شريف، فشرع الأشراف في تدبير مؤامرة في عام ١٨٨٦م والأخرى عام ١٨٩١م وفي كلتيهما تمكن من القضاء عليهم. وكذلك قضى على الثورات القبلية بسهولة ويسر، وساعده على ذلك أنها كانت متفرقة، ولم يكن لها هدف مشترك.

عمل بعد ذلك على نشر المهدية في الخارج بدأ (بالحيطة الصغيرة) وأعني الحبشة، وحقق إنتصاراً سريعاً، ومع ذلك أزال صولجان يوحنا، وكانت إيطاليا المتربصة بتلك المنطقة، قد شكرت الخليفة كثيراً في سرها، فما المانع في أن تشكره في العلن.

هنالك محطة توشكي ١٨٨٩م هل كان الخليفه في كامل إدراكه السياسي والعسكري حين أرسل هذا الجيش لفتح مصر؟ أم أنه (كان مغيباً)؟ أم له هدف آخر تحدث عنه المحللون، لا نريد أن ندخل فيه، ومع ذلك يبقى ود النجومي قائد الحملة بطلاً خالداً "...ولذلك فان خيل الكفرة تبدو سريعة، وليس عندنا خيل قوية لمطاردتها..." تعلم كل هذا وتقاتل، لك الله أيها القائد! وقد كانت الهزيمة.

جاء الوقت سريعاً لدخول عالم معركة كرري ١٨٩٨م فقد كان الوقت غير كافٍ للتجهيز لتلك المعركة، قد يكون غير كافٍ لنا لسرد أحداثها، ولكن نقلل من تلك (الفضفضه)، وجهت للخليفة ضربة قاضية من الداخل، حينما تمرد عليه الجعليون في الشمال، ولم تكن أصلا العلاقة على بعضها، ودارت نكبة المتمة بين الجعليين بقيادة عبدالله ود سعد، وجيوش الخليفة بقيادة محمود ود احمد،

إنتصر الخليفة، لا..هزم الخليفة، فالقاتل والمقتول ابناء الوطن الواحد، وهزم محمود ود احمد في النخيلة في ٨ أبريل ١٨٩٨ و وقع في أسر الانجليز.

ثم كان الصدام في معركة كرري الجمعة ٢ سبتمبر ١٨٩٨. وندع ونستون تشرشل المراسل الحربي آنذاك لعدد من الصحف البريطانية أن يصور لنا المشهد "...وقد رفرفت فوقهم الراية الزرقاء – راية الخليفة عبدالله – عالية لا تخطئها عين الناظر ...وقد كُتبت على كل منها آيات من القرآن. لقد أعطت دقة انتظامهم واصطفافهم المستقيم .. مشهداً بديعا

متفرداً للناظر .. وهو ما جعل هذا الجزء من جيش الخليفة يشابه لوحة (نسبج بايو) الشهيرة والتي كانت تصف الجيش النورماندي الغازي لبريطانيا".

انسحب الخليفه بعد الهزيمة في كرري غرباً، حيث لحق به الإنجليز في أم دبيكرات، يريدون نهاية هذا القائد بأية صورة، وانتهت الحكاية في ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩م، وإفترش الخليفة فروته في بطولة إيمانية نادرة، واستشهد ومعه عدد من القادة، وأمر ونجت قائد الحملة أن تعزف الموسيقى الحزينة، وتم إطلاق ٢١ طلقة مدفعية إجلالاً وتعظيماً لهم.

٢٦ - عبدالرحمن النجومي

قائد ملهم، قاد دفة المعارك في أحلك الأوقات، انتصر في البعض، وهزم في أخرى، ومع ذلك لم يقلل منه شيء.

هو عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن عبدالرحمن محمد إدريس الشهير بالأمير عبد الرحمن ود النجومي، ولد في قرية مويس ريف شندى ولاية نهر النيل، عام ١٨٥٤م وعائلته تنتمي إلى قبيلة النافعاب، وهم ينتمون إلى الجعليين، كما عاش المهدي يتيماً فقد عاش هو كذلك، فقد مات أبوه وهو رضيع، حيث رضع من والدته زينب بنت إبراهيم حفيدة الشيخ خوجلي أبو الجاز، رضع منها القوة والفتوة وفوق ذلك الكرم والمحبة، وانتقلت به والدته إلى حي الصبابي بالخرطوم بحري، حيث درس في خلاوي جده الشيخ خوجلي أبو الجاز مبادئ الدين.

ثم حصلت له نقلة مهمة، حيث انتقل إلى خلاوي الغبش، هنالك التقى بشخصية مهمة غيرت مجرى حياة عبدالرحمن، لم تكن تلك الشخصية إلا شخصية محمد أحمد المهدي، حصل بينهما تعارف وصداقة، ومن المؤكد أنهما تحدثا طويلاً عن الأوضاع القائمة في السودان، اضطرت عائلته للهجرة من قرية مويس بريفي شندي، بعد مقتل إسماعيل باشا ابن محمد علي باشا، عند غزوه للسودان عام ١٨٢١م، فراراً من انتقام صهره محمد بك الدفتردار، والذي قاد حملات قضت على الأخضر واليابس في السودان.

ثم قابل محمد أحمد مرة أخرى، والنجومي متجه في رحلة تجارية إلى جنوب السودان (الفردوس المفقود) وذلك في أغسطس ١٨٨١م حيث بايعه، وانخرط في سلك المهدية.
أعجب به المهدي، وهاجر معه إلى جبل قدير بجنوب كردفان مع خمسمائة من الأنصار، عينه المهدي أمير الأمراء، وقائداً عاماً لقوات المهدية.

إختصرنا الشخصية سريعاً حتى لا تفوت علينا أحداث موقعة شيكان، والتي أحدثت تغيرات كثيرة في المنطقة، كنت أنت البطل الأهم فيها، ومعك قواد آخرون لا يُخفى دورهم.
بداية المعركة من بداية إستعداداتها، حيث من المؤكد أن (العرق) في التدريبات يوفر الدم في المعارك، كما يقول أهل الشأن، علم المهدي من مصادره المختلفة أن الجنرال وليام هكس باشا، سوف يقوم بحملة كبيرة هدفها القضاء على الثورة المهدية.

تم تدريب الأنصار على إستعمال السلاح الناري، والذي تم الإستيلاء عليه في حصار الأبيض، فالمهدي رجل مراحل، وهذه مرحلة السلاح الناري، أما أنت أيها السلاح الأبيض فلك المعاش.

لم تكن خطة شيكان في غاية التعقيد، ولكنها سمن على عسل، حيث احتوت على عدة محاور، والحرب النفسية لها دور بارز في تلك المعركه، أين المياه؟ أيها القائد هكس، فقد

طمرت الآبار، وتم إخلاء القرى وأصبحت أثراً بعد عين، أين الراحة؟ هل تجد لها سبيلا؟ ألم يتكفل ود أبو قرجة وأبو عنجه بقيادة قوات المناوشة؟

لا نريد أن نغوص في تلك الخطة المحكمة، فنحن نكتب كتاباً تعريفياً فقط، ولكن نعطي بعض الإشارات، وقد تضمنت الخطة الآتي: قصف حمدان أبوعنجة الليلي لكسر روح المقاومة عند قوات هكس، ثم مفاجأة قوة العدو بإيقاعها في كمين، وذلك حتى يحدث لها بلبلة، وينتشر الرعب في صفوفها، والهجوم على القوة المعادية من خلال ثلاثة محاور: الأمامي والأيمن والأيسر.

وفي صبيحة ٥ نوفمبر ١٨٨٣م، ذلك اليوم الخالد في التاريخ الوطني، كنت أنت أيها الأمير يعقوب في الجانب الأيمن، أما أنتأيها الأمير موسى ود حلو فقد كنت في الجانب الأيسر، أما أنت يا هكس فقد فقدت كل شيء، فالأرض ليست أرضك، والسماء تنظر لك بشيء من الريبة.

وانتهت المعركة، حيث حقق المهدي انتصاراً كبيراً، وفقد هكس حوالي ١٣٠٠٠ قتيلاً، وهو ضمن القتلى، وأسباب إنتصار الأنصار على هكس كثيرة، ولكن أي مؤرخ لا ينسى البراعة العسكرية الفائقة التي تمتع بها عبد الرحمن النجومي.

وبعد ذلك نأتي إلى موقعة أخرى كنت فيها الباز الأشهب، تحرير الخرطوم، هل قدمها لكم غردون على طبق من ذهب بسياسته الهوجاء؟ أم كنت أنت الذي أنرت الطريق؟ كلاهما وأشياء أخرى قد اجتمعت فقادت إلى فتح الخرطوم، وهنالك الشيخ العبيد ود بدر لاعب إرتكاز مهم في منتصف الملعب، لم تكن وحدك ومعك على الأطراف الشيخ مضوي عبدالرحمن، والشيخ الأمين ود أم حقين، ولتوحيد القيادة عين أبو قرجه مشرفاً على الحصار، كانت الروح المعنوية عالية جداً، حتى أن الهزيمة في معركتي بري ثم الجريف غرب كانتا مثل سحابة صيف.

أرادت بريطانيا إنقاذ غردون المحاصر بحملة إنقاذ بقيادة ولسلي، وبالفعل تحركت وهزمت الأنصار في ابي طليح، وأصبحت متجهه نحو الخرطوم، وهنا لعب الزمن دوراً، حاسماً، أيهما يصل أولاً لغردون؟ وكنت أنت أيها المهدي، وجيشك بقيادة أمير الأمراء ود النجومي، وفي يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥م دخل المهدي الخرطوم، واستولى عليها وقتل غردون باشا، وحرسه في ظروف غير واضحة.

لم يعش المهدي كثيراً، ومات بعد ستة أشهر من فتح الخرطوم، وتلقفت ود النجومي يد أخرى هي يد الخليفة عبدالله التعائشي.

كانت نهاية البطل هنالك في توشكي، نتابع الأحداث ونزيد إيقاع السرعة، وصل ود النجومي بربر في نوفمبر ١٨٨٥م وبرزت فيها عدة مشاكل منها إنعدام التجانس، وقلة المؤن، وسوء أحوال النقل، وهو يهدف إلى الوصول إلى موارد المياه في أرقين، والجنرال

البريطاني ودهاوس يتابع أخبار الحملة وسيرها أول بأول، فسبقها في الوصول إلى أرقين، ودارت معركة وخسرها ود النجومي وانسحب جنوباً إلى تلال أرقين.

وهنالك رأي من بعض الأمراء، الإنسحاب جنوباً، لعدم تكافؤ الفرص، إلا إن ود النجومي رفض ذلك قائلا: "لن أعود إلا محمولاً على الأعناق" ودبت الخلافات واختلط الحابل بالنابل، وهرب عدد من الجنود، وكتب ود النجومي إلى الخليفة بالحالة المزرية التي وصلت إليها الحملة "إن الأنصار الذين معنا قد مسهم الضرر الشديد وإن الجوع الحال بهم قد أضناهم وأذهب قواهم...و كثيرون منهم ماتوا جوعاً" ثم تقدم ود النجومي شمالاً، والجنرال جرانفيل يتابع أخبار الحملة أول بأول، وكتب إلى ود النجومي يأمره بالإستسلام "إن الخليفة أرسلكم للهلاك، فإن تقدمت تجد جيش الإنجليز متعطشاً لدمائكم، وإن عدت فقوات حلفا جاهزة لإبادتكم، وإن بقيت مكانك متّ من العطش، فلا أمامك إلا الإستسلام" لم يهتم ود النجومي بهذه الرسالة كثيراً، فلك أيها القائد إحدى الحسنين.

تحرك ود النجومي نحو توشكي ودارت المعركة هنا في ٣ اغسطس ١٨٨٩م وأستشهد ود النجومي هنالك كبطل خالد.

٢٧ - عثمان دقنة

ولد عثمان دقنة حوالي عام ١٨٤٠م والده أبوبكر دقنة، ولقب دقنه يأتي من إسم الأسرة، وهي أسرة شهيرة في شرق السودان، تنتمي إلى قبيلة البشاريين، وهم فرع من قبيلة الهدندوة. والأسرة تحترف التجارة، وهي الحرفة السائدة في تلك الفترة، وله أخوان عمر وعلي وابن عمه أحمد، وكانوا يعملون في التجارة بين سواكن وجدة، ويبدو أن هذه التجارة قد أتت أكلها، ويبدو كذلك أنه وجهت لهم تهمة الإتجار بالرقيق، وهي تجارة رائجة في ذاك الزمن، ووصمة عار في جبين الإنسانية.

و في عام ١٨٧٧م تم القبض على عثمان دقنة وأخويه عمر وعلي وابن عمه أحمد، بالقرب من مرسى الشيخ برغوث، حينما إعترضته سفينة إنجليزية، تعمل في مراقبة تجارة الرقيق، بمساعدة المصريين والأتراك، ويبدو أن الخديوي اسماعيل كان جاداً وإلى أبعد الحدود في إيقاف تلك التجارة، وحكم عليه وعلى أخويه وإبن عمه بالسجن، ولم يتم الإكتفاء بذلك بل تم تصفية أعمالهم ومصادرة ممتلكاتهم، وضاع الجمل بما حمل، لم يكن أمراً هيناً أن تفقد جميع ما تملك بين عشية وضحاها.

لم يمر هذا الأمر مرور الكرام عند عثمان دقنة، حيث حاول أن يفرغ شحنة غضبه على الحكومة التركية، فحاول أن يجاهر بالعداوة للحكومة التركية، ثم بعد ذلك خرج من المدينة. هل حينما خرج كان منكس الرأس؟هؤلاء القواد يتوقعون كل شيء حتى الموت، ومع ذلك ذهب إلى محطة جديدة، وبدأ من لا شيء، حيث ذهب إلى بربر واستقر هنالك وتزوج، وبمساعدة أصهاره تمكن من العوده إلى التجارة مرة أخرى.

ظهرت شخصيه المهدي، والإنتصارت الساحقه التي حققها، ليس هنالك فضاء يحجب هذه الأنباء، ليس هنالك فواصل مدارية أو مرتفعات أو جبال أو أودية تحجب أنباء المهدي وإنتصاراته، سمع ذلك القائد الثائر بذلك، وخاصة أن لعثمان دقنة أخ قد ذهب قبله، ولعله مات في حصار الأبيض، وخاصة أن عثمان دقنة يحتاج لقائد عسكري وديني ملهم حتى يستطيع أن يحقق أحلامه، ألم ينضم إلى ثورة أحمد عرابي من قبل؟ ولكن ذلك القائد هُزم، وهو لا يريد الهزيمة فعاد الحبيب المنتظر.

قرر الذهاب إلى المهدي فتوجه إليه وذلك عام ١٨٨٣م والمهدي في كردفان، وبايع المهدي، وعينه المهدي أميراً على شرق السودان. والمهدي يعلم بأن الشرق عصيٌّ، فإذا أراحه هذا الفتى منه، فإنه يكون قد حقق المطلوب، خاصة وأن المهدي في ذهنه شيء واحد، هو الطريق إلى الخرطوم.

عاد عثمان دقنة للقيام بتلك المهمة العسيرة، فجال المناطق يحثها للثورة وللجهاد في سبيل الله، ومن يستشهد فله الجنة والحور العين (يرومون الشهادة أو حياة ... على الإيمان والخلق الرصين) ولم تجد دعوته آذاناً صاغية، هل زامرُ الحي لا يطرب؟ ولكن حدث

شيء غَيَّر مسيرة الدعوة هناك رأساً علي عقب، وقد يكون فيه الغرابة والطرافة معاً، وذهب ذات يوم إلى زيارة فقيه ورع له مكانه بين الناس، وهو الشيخ الطاهر المجذوب، وهو من عائلة المجاذيب بالدامر الشهيرة بالعلم والصلاح، وبعد أن دخل عليه قدم له أحد منشورات المهدي، وقرأه بتمعن شديد ثم قبل المنشور، ثم دخل غرفة أخرى واستبدل ملابسه الأنيقة بملابس عادية، ثم أشار إلى عثمان بالجلوس في كرسيه الوثير، وجلس هو على الارض أمامه خاشعاً، فقد آمن بالمهدية. والقصة لا تقدم ولا تؤخر كثيراً، فهي قصة درامية أكثر من كونها تاريخية، فالمؤكد أن الشيخ الطاهر قد آمن بالمهدية، وهذا أعطى الدعوة شحنة روحية ومعنوية وحسية.

والبدايه من مدينة سنكات، ولها أهمية إستراتيجية، وهي تحت قيادة ضابط يدعى توفيق، فهاجم عثمان دقنه المدينة برجالهالأقوياء كما وصفهم الشاعر الإنجليزي كبلينج "بشعر رأسك الخشن الأشعث الهائج" وكان توفيق قوته فى السلاح الناري، ولذلك هُزم عثمان دقنة، وجُرح و ارتد من المدينة.

كما تعرض لهزيمة أخرى في معركة قباب، في سبتمبر ١٨٨٣م، ورغم ذلك تمكن من قطع طريق التلغراف بين سواكن وكسلا، وأخيراً سقطت سنكات، وضمها للمهدية في فبراير ١٨٨٤م كما ضم طوكر في نفس ذلك الشهر وذلك العام.

وهنالك سواكن ترقد حصينة، لا يعنيها الذي حصل من شيء، ولها حامية بريطانية تحرسها. تمكن عثمان من قطع طريق سواكن- بربر- الخرطوم، أرسلت الحكومة قوة بقيادة فالتين بيكر لهزيمة عثمان دقنة، ولكنها مُنيَت بهزيمة مجلجلة، ثم أرسلت الحكومة حملة أخرى، والقائد هذه المرة جرهام، وذلك لإنقاذ طوكر، وعلى الرغم من الإنتصارات المحدودة التي حققتها الحكومة، إلا أنها انسحبت إلى سواكن الحصينة، وعادت طوكر وسنكات للمهدية.

ثم بعد ذلك شارك في صد حملة الإنقاذ التي أتت لإنقاذ القائد غردون باشا من الأنصار، بقيادة لورد وليسلي، حيث عمل على قطع الطريق عليهم حتى لا يصلوا إلى غردون في الخرطوم.

تتابعت الأحداث سريعاً، فتم فتح الخرطوم، وقتل غردون، ولم يعش المهدي كثيراً، ومات بعد ذلك، بايع عثمان دقنة الخليفة عبد الله بعد وفاة المهدي.

في ديسمبر، ١٨٨٨م تلقى ضربة قاصمة من فرانسيس غرينفيل، في سواكن، حيث بترت ذراعه في معركة طماي. وبعد معركة أم دبيكرات واستشهاد الخليفة انسحب عثمان دقنة نحو الشرق.

وبعث برساله إلى الهدندوة ليتم تهريبه إلى الحجاز، ووصل خبر وجوده إلى الإنجليز، وأعلنوا عن جائزة لمن يدل عليه، وعن طريق وشاية أسر الأمير، ونقل إلى سواكن في عام ١٩٠٠م ثم نقل إلى سجن رشيد، ثم سجن وادي حلفا، طلب من الحكومة البريطانية السماح

له بالحج، رفضت أولاً ثم وافقت، وحج عام ١٩٢٤م واستقبل هنالك بحفاوة، ظل بقية حياته صائماً نهاره وقائماً ليله "كمساة في الصلاة لهم خشوع....وعند الحرب أشبه بالأتون" حاول ملك بريطانيا جورج الخامس مقابلته، ولكن دقنة رفض مما إضطر الملك إلى الذهاب إليه بنفسه، فأدار له عثمان دقنة ظهره، فأخرج الملك سيفه وحيا البطل الأسير.

وفي يوم ١٧ديسمبر ١٩٢٧م تُوفيّ عثمان دقنة في وادي حلفا، وحينما غرقت وادي حلفا بسبب بناء السد العالي، تم نقل جثمانه الطاهر ليدفن في مدينة أركويت عام ١٩٦٤م.

٢٨ - حمدان ابوعنجة

هو حمدان بن أحمد سعد الدين بن عزالدين ولقبه أبو عنجة، و جده عزالدين داعية إسلامي، وشيخ يدرس علوم الدين في العباسية تقلي، حيث هاجرت الأسرة هنالك، وينتمي إلى أسرة الحمر، وهنالك قول آخر أنه ينتسب إلى قبيلة المندله، وهي إحدى قبائل النوبة، سواء هذا، أم ذاك، فالمهم في النهاية، أنه بطل لا يشق له غبار.

هاجر المهدي إلى قدير، هنالك ذهب إليه حمدان، وبايعه ولنشأته الدينية أثر في تلك البيعة، جلس معه أخذ البيعة، ويعلم علم اليقين أنها ليست بيعة فحسب، ولكنه شريط طويل من التضحيات، وهذا الشريط يتراءى أمامه ليس في الحلم، ولكن في اليقظة، إنها مشروعات فتى، شيء من الممكن، وبعض المستحيل، دعونا الآن نغوص في أعماقه.

حقق المهدي إنتصارات متوالية، الجزيرة أبا، راشد والشلالي، كانت خطة اللعب واحدة، ولكن هنالك في الأبيض، أتت رياح عاتية، حجبت الإنتصارات، ولو إلى حين، أيها السلاح الأبيض ادخل المتحف، ودع الخطة تتغير، أين حمدان؟ أليس له خبرة بالسلاح الناري؟ فليكن هو قائد فرقة الجهادية.

هلم بنا إلى شيكان سريعاً، أعد هكس جيشاً قال عنه بصلف وغرور: "أن جيشه كان قادراً على دك الأرض بأحذيته، ورفع السماء بسناكي البنادق!" ولكن ظلت الأرض هى الأرض، والسماء كذلك، لأنها بنيت بقدرة الواحد الأحد.

على أن أخبار الحملة كلها كانت أمام المهدي، بفضل الجهاز الإستخباراتي بقيادة حمدان أبو عنجة، ومعه أبوقرجة، على أن الخطه بسيطة ومحكمة تتمثل في إستدراج الجيش إلى غابة شيكان، وحرمانه من الإمداد، كما كلف عدداً من القواد من بينهم حمدان بالقيام بحرب الاستنزاف، وإقلاق منام الحملة، ودفن الآبار.

أنك طالما سمت العـدى ذلا
وذكرك في المحافل يرفع
ما وجهت رايات نصرك وجهة
إلا وبالظفر المؤكد ترجـعُ

وجرى الصدام، تم إحكام الكمين، حيث سيختبيء رجال أبوعنجة تحت أشجار غابة شيكان، و دور حمدان قصف قوات هكس ليلاً، في عملية عرفت بليلة حمدان، وذلك عشية يوم الأحد ٤ نوفمبر ١٨٨٣م لكسر روحها القتالية.

صلى المهدي الصبح وخاطب الجموع "من تأخر منكم ليصلح نعله، لن يدرك الترك أحياء" أين يصلح النعال يا إمام، وأنت تعلم أن المعركة لم تستمر أكثر من ربع ساعة، وأبيدت الحملة تماماً، وانتصر المهدي.

ماذا بعد شيكان؟ مزيداً من الإنتصارات، الطريق نحو الخرطوم، أين حمدان؟ هل تغيب الشمس والنهار مشرق؟ قرر المهدي محاصرة الخرطوم حتى تسقط، وحضر بنفسه على رأس قوه بلغت ٦٠ الف مقاتل، وعسكر في ديم أبي سعد، وقد حقق الأنصار عدة إنتصارات أولية، قاد حمدان أبو عنجة هجوماً مباغتاً على أم درمان، وإستولى على حصونها الأرضية المعروفة بالطوابي، تذكر بعض الروايات أن غردون والذي كان محاصراً في الخرطوم زرع بعض الألغام، ولكن عبقرية حمدان تفتقت، حيث اقترح إطلاق قطيع من الأبقار في المكان حتى تنفجر المفرقعات، وتحدث ثغرة يمكن أن يمر من خلالها الأنصار إلى أهدافهم، وفعلاً قد كان، وتم الإستيلاء على الخرطوم، ومقتل غردون باشا في ٢٦ يناير ١٨٨٥م.

لم يعش المهدي كثيراً، مات بعد ستة أشهر من فتح الخرطوم، ولكن هنالك الخليفه يسد قرص الشمس، ولكن الواضح أن هنالك (تململ) من الأشراف أقرباء المهدي.

الأمير محمد خالد زقل، وهو من الأشراف، قد استولى على مناطق دارفور عام ١٨٨٤م، وأصبح حاكماً لها، وعينه عليها المهدي، فلما توفى المهدي جاهر الأشراف، بمعارضتهم للخليفة عبد الله، أراد الخليفة عبدالله عزل قادتهم، فإستدعى الأمير محمد خالد زقل إلى أم درمان، ولكن الخليفة جمع وطرح، ولأنه يحفظ جداول الضرب جيداً، فقد علم بأن قدوم هذا الجيش إلى أمدرمان يرجح كفة ميزان القوة، أين أنت يا أبو عنجه مرة ثانية؟ فأمره بالتحرك نحو الأبيض لإعتقال زقل، وكانت (توم أند جيري) حاضرة هنالك في بارا، فتم إعتقاله وإرساله إلى أمدرمان.

كان على حمدان أن يعود الى أمدرمان، أما الخليفة فعليه حرارة الإستقبال، هنالك حشود بشرية لإستقباله هو وجنوده، وصل أبوعنجه على رأس جيش كبير، وقد إستقبله الخليفة بحفاوة بالغة، وتم ترتيب إستقبال كبير له في المدينة، ثم تم تنظيم عرض عسكري كبير في منطقة كرري "وكانت الرايات بمختلف أشكالها وألوانها ورموزها ترفرف في الهواء .. وأشعة الشمس تنعكس متلألئة من عدد لا يحصى من رؤوس الرماح.. لقد كان عبد الله في ذروة مجده وقوته" قد لا تصدق أن هذه العبارة قالها ونستون تشرشل، في كتابه (حرب النهر) وهذا الجيش مرسل إلى الحبشة، مدعوماً بتعزيزات عسكرية كبيرة من أم درمان.

هنالك إستفذاذات ومناوشات بين الأحباش والخليفة، وقرر الخليفة حسم الصراع مع الأحباش، وأرسل هذا الجيش لدحر الأحباش، تحرك حمدان من القلابات إلى غندار بجيشه المذكور، وحينما وصل هنالك وجد قوات ضخمة من الأحباش "إذ هم من كثرتهم لا أول لهم يُعرَف ولا آخر يُوصَف...وشرعنا في ضربهم بغاية الحزم وشدة العزم" هكذا قال حمدان لخليفته، وتمثلت خطته في ضربهم بالسلاح الناري، وإستنزاف زخيرتهم، لتبدأ بعد ذلك عملية الإقتحام، ثم بعد ذلك تمكن من هزيمتهم في ١٨ يناير عام ١٨٨٨م ودخل قندار العاصمه التاريخيه للحبشة، "دخلنا قُندر (غندار) يوم الإثنين وجُلنا فيها يميناً وشمالاً

فأعجبنا بما شاهدناه من القصور الشامخات" كثرت خطاباتك للخليفة يا حمدان، ولكن رغم هذه القصور، فقد تركت قندر كما تسميها، والواضح أن الطقس، والأمطار لها دور في رحيلك.

لم يكن رحيلك من الحبشة فقط، ولكن كان الرحيل الأبدي، لقد مات حمدان بشكل مفاجيء خلال حرب الحبشة عام ١٨٨٨م بعد إصابته بمرض ألمَّ به، قيل أنه الكوليرا أو التيفود، أو تناوله جرعات كبيرة من الأدوية البلدية بغرض العلاج من تلك الأمراض، أو الإجهاد من كثرة الحروب، أو شيء آخر، وخلفه الزاكي طمل.

٢٩- الزاكي طمل

الزاكي طمل هو أحد قادة المهدية البارزين، وينتسب إلى قبيلة التعايشة، وهو ينتسب بنسب وصهر للخليفة عبدالله، ألم تكن مفاصل الدولة والشرايين والأوردة منهم؟ ولكنه لاتثريب عليه، فقد أظهر أغلب القادة المنتسبين إليه كفاءة نادرة.

تم تعيينه من قِبّل الخليفة عبد الله عاملاً على كل من فشودة والقلابات، حيث انتصر على جيوش الإمبراطور يوهانس وقتله، ثم أرسله الخليفه جنوباً، لكل مهمة أنت لها، حيث قضى على تمرد الشلك الذين رفضوا دفع الضريبة، وأعلنوا استقلال قبيلتهم عن المهدية، حيث تمكن من الإنتصار هنالك.

كانت أمور الشرق تحت كفالة حمدان أبوعنجة، ولكن إذا تركه الأحباش فالموت سلطان، على أن بعد وفاة حمدان اشتد صراع حول قيادة الجيش بين الزاكي طمل والأمير أحمد ود علي، فقد إجتمع رأي المستشارين على تعيين الزاكي طمل، وذلك عام ١٨٨٨م على أن حمدان حقق إنتصارات متوالية على الأحباش، فالتركة قاسية عليك، فلا بد من الإنتصار، كما أن الأحباش كانوا يغيرون بسبب أو بغير سبب.

أراد ملك الحبشة الثأر، قام بجمع حوالي ٢٠٠ ألف جندي يلبسون المسوح والصلبان، هل ميدان الحروب الصليبية هنا؟ وفيهم أكثر من ٢٠ الف من الخيالة، وتوجه نحو منطقة القلابات، وبنى الزاكي حول القلابات زريبة كبيرة، وهي إستحكامات دفاعية، وهو سور كبير من أعواد وفروع أشجار شوكية لعرقلة تقدم القوات الأثيوبية، ومحاولة منعها من التقدم حينما تريد أن تقتحم الزريبة، وقوة الزاكي بمقياس جيوش المهديه آنذاك كبيرة، أما بمقياس ميدان الحرب فقليلة، فهي حوالي ٧٢ ألف جندي.

اندلعت المعركة وتمكن الأنصار من إصابة الإمبراطور إصابه مميتة، وذلك في مارس ١٨٨٩م فتشتت قواته، ولاذت بالفرار، واستولى الأنصار على غنائم لا تحصى ولا تعد، من بينها تاج الإمبراطور.

أما النهاية أيها الأسد في عرينه، فلم تكن سعيده ماذا فعلت؟ تواترت الروايات هنالك في مطبخ الخليفة، ماذا حدث؟ هل أنتِ أيتها الثورة المهدية، مثل الثورة الفرنسية تأكلين بنيك، الواضح أن الوُد مفقود تماماً بين الزاكي وبين الأمير أحمد ود علي، منذ تفضيل الخليفه للزاكي على الأمير أحمد، فقد تم تدبير وشايه ضده، وأبلغوا الخليفه أن الزاكي أصبح يتصرف في ولاية كسلا كأنه ملك، لقيت هذه الوشايه أذناً صاغية عند الخليفة، تم إستدعاؤه على الفور، وحينما حضر أمر الخليفة بالتحقيق معه في التهم الموجهة إليه، برئاسة القاضي أحمد علي، على أن الزاكي دحض كل التهم الموجهة له، إذن فلتكن هنالك تهمه أكبر، كل الحكومات حينما تريد أن تسوق شخصاً ما لحبل المشنقة تلجأ إلى (الخيانه والتخابر) ولكني هل قلت المشنقة، ليتها كانت، هذه هي من الترف، وهذه التهمة تتمثل في الإتفاق مع الطليان

على بيعهم كسلا، والقاضي أحمد ود علي موجود، يدبر ويخطط وإكتملت كل (الحُبكة) وشهد الشهود باليمين، وتمت الإدانة وحبس في سجن الساير.

مكث في السجن حوالي ثلاثه أشهر، حتى أتى الخبر الحزين بوفاته، هل كل سجين يمكث في السجن ثلاثة أشهر يُتوفّى؟ خاصة وأذا كان السجين لم يبلغ من العمر عتيا، أم أن للسجن لغة أخرى؟ يقال أنه منع عنه الأكل والشرب، لمدة طويلة، وهذه تعرف بالموت صبراً، وكان الحراس يسمعون صوته الخافت وهو يقول: "موية...موية...موية" وذلك بأمر من القاضي أحمد ود علي.

على أن الروايات قد تضاربت حوله، هل الخليفة محيط بهذا الموضوع؟ بعض الروايات تقول أن الخليفة حينما علم بهذا الموضوع، أمر أن يُسقى أحمد علي من نفس الكأس (على نفسها جنت براقش) وقيل أن الخليفة قال فيه: "هو الذي هزم جيش الطليان وقهره، إنه ليس بالرجل الهيّن الذي لا يؤسف على موته بهذه الصفة"

في زمان موغل في القدم، ومكان آخر، لكأني أسمع صوتاً كهذا الصوت الذي فيه وهن، إبن عمار هنالك في إشبيلية، كان صديق العمر لملكها المعتمد بن عباد، ووزيره فيما بعد، لقد نكبه المعتمد وعذبه، وسجنه، وقتله بيده، أمَّا أنت أيها الزاكي فقد كنت محظوظاً، فقد حزن الخليفة لموتك.

٣٠ - رابحة الكنانية

من أين نبدأ؟ من المهدي أم من الكنانية؟ كلاهما داخل القوس، ولهم قوة دفع ليست رباعية، ولكن بها، إيمان وتقوى، كلاهما خطان يسيران في اتجاه واحد، يمران بالغابات والبوادي، ثم يسيران سيرهما نحو جادة الطريق.

المهدي إسم كبير في تاريخ المنطقة الإسلامية، تعرف كل تفاصيله وخفاياه، أما أنتِ يا رابحة الكنانية، فلا يعرف عنك إلا الحروف الثلاثة عشر، فإن زادت المصادر شيئاً فالإسم كامل، وبعدد من الروايات المختلفة، مستقاه من أجانب، كأنه فرض علينا أن نعرف تاريخنا من الأجانب، مع أنه تاريخ قريب جداً، لا يزيد عن قرن واحد، لكِ الله أيتها الكنانية! هنالك زرقاء اليمامة يعرفون عنها حتى عيونها، "سبحان المعبود" أما شجرة الدر، فإن تاريخها يملأ مجلدات ونشرات وبحوث، كأننا نستحي من تاريخ هؤلاء (المهيرات). هل هي رابحة بت علي ود مرعي، على حسب الرواية الفرنسية؟ أم هي رابحة بت حسن ود زايد على حسب الرواية السودانية؟

انطلق محمد أحمد من طيبه الشيخ القرشي، لا يلوي على شيء، تعرف على طبيعة المنطقة، ودرسها جيداً، ثم جاء الجزيرة أبا، وكتب خطابات، وعلمت الحكومة بحقيقة (الدرويش) إنه عندها أصغر من النملة في الفيافي، لكنها أرسلت له وفداً، ولم يهتم محمد أحمد كثيراً بالوفود، أقفل أذنيه، وأغمض عينيه، والحكومة تعتقد أنه لا يساوي لديها جناح بعوضة، وأنه سوف يتم أحضاره إلى الخرطوم شاء أم أبى، وفي قيوده، وأرسلت له حملة في الجزيره أبا، كان الإستهتار واضحاً على الجنود، كانوا يعتقدون أنها سياحة لا أكثر من ذلك ولا أقل، ولكن إنقلب الوضع تماماً، فهي هزيمة تسير بذكرها الركبان، أيها المهدي ليس لك وجود بعد ذلك في الجزيرة أبا، وهاجر المهدي إلى قدير، رمى أكثر من عصفور وبحجر واحد، هنالك دوافع دينية وعسكرية وسياسية وإستراتجية.

نرجع قليلاً لكِ أيتها الكنانية، قبل أن نواصل العدو معك، قبيلة كنانة وهي قبيله لها حضور في تاريخ السودان، وتاريخ المهدية بالأخص، وهي قبيلة عربية، وهي من أهم القبائل التي ناصرت الإمام المهدي، وكذلك يوجد من أهم شخصياتها علي ود حلو الخليفة الثاني للمهدي، والذى لم يختلف فيه إثنان، وأهم مناطقهم مناطق سنجه وسنار وكذلك أجزاء من شمال كردفان وجنوبها وجزء من منطقة تقلي ومدينة كنانة بالنيل الابيض ومصنع السكر الشهيربها ومناطق أخرى.

أين أنت أيها المهدي؟ نريد أن نعرف أخبارك، ولكن ليس لدينا رجلان سريعتان مثل رجلي رابحة، إذن فلنحسن الهرولة، هنالك في قدير معك قوة الطبيعة، بما فيها الوديان والهضاب، وأيضاً معك البشر، وأدم أم دبالو والكنانية.

رحل المهدي إلى منطقه حصينة تدعى (بطن أمك) على أن جنين الثورة كان يكبر، داخل البطن، كما أن (القابلة) على وشك الحضور إليك حتى يتم وضع هذا الجنين على يديها.
نستأذن القراء الكرام للذهاب إلى فشودة، ومديرها راشد بك أيمن، الذى حاول أن يكسب مجداً شخصياً بالقضاء على المهدي، خاصة وقد وردت إليه تقارير أمنية (مضروبة) على أن الحمى تفشت بين الأنصار، وأنه قد أضناهم الجوع، فقرر أن يسابق الزمن ويرسل حملة سرية للقضاء على المهدي، ولكن أيها القائد لو كشف لك الحجاب قليلاً، لكنت رأيت من هو الذي يسابق ومن الذي يعدو.

كون راشد جيشاً قوامه ٣٥٠ من الجنود النظاميين، وألفاً من الشلك، على رأسه كيكون، تحرك راشد من فشودة بتاريخ ٩ ديسمبر ١٨٨١م وقد جعل أمر هذا الجيش سرياً حتى يستعمل سلاح المباغتة، ويهزم المهدي.

الطريق من فشودة إلى قدير يمر بجبل فنقر، تم حصار الجبل حتى لا تنقل أخبار الحملة.
أين أنت أيها الكنانية؟ نعم أنا في مكان ما، وهي في هذا المكان تستمع وتسجل و ترصد (رادار متحرك) لم تكن تحتاج إلى أي (قيقا) لأن الذاكرة أقوى من تلك، وانتهت من مرحلة الحفظ، وبدأت المرحلة المهمة، التى لولاها لما حقق المهدي إنتصاره، والذي صارت تذكرة الركبان.

إنطلقت بعد ذلك في مرحلة العدو، كانت تفوق العداءة المغربية (نوال المتوكل) ولو رأتها تلك العداءة لإنسحبت لها من جميع السباقات، وهي ترى أن تلبس حذاء يربط بشريطين على الساق، حتى يخفف من سرعة المشي، ثم (لفت) ردائها في وسطها حتى تكون فى حشمتها الدينية، ووقارها الموروث، وتجوب تلك الفيافي، والوهاد والغابات والوديان، كانت الأسود والنمور والضباع تعلم أنه ليس لها منها نصيب، فلتعد إلى طرائدها المعلومة.

وصلت المهدي ليلاً، طلبت لقاء المهدي على جناح السرعة، خف المهدي إلى لقائها، أخبرته حاسته العسكرية أن هنالك خبراً ما، من تلك المرأة.

قصت عليه جميع ما حصل من أمر الحملة، وحتى توقيتها المتوقع، وهو مع صلاة الصبح وكان ذلك بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٨١م.

خرج المهدي إلى غابة بالقرب من قدير، في ثمانية آلاف مقاتل، ينتظر قدوم الحملة فاشتبك الفريقان، وإنتصر المهدي إنتصاراً مدوياً، وهُزمت الحملة وقتل راشد وكيكون.

تضاربت الروايات بعد ذلك في مصير الكنانية، لا يهم ذلك كثيراً أو قليلاً، فقد أدت المطلوب منها

٣١ - محمد عثمان أبوقرجة

كان المهدي يعتبر أن الأتراك ضالون ومضلون، وأن الله اذهب عنهم ثوب الملك، وكذلك الخلافة العثمانية، ورغم ذلك لم يجد حرجاً في أن يستعير منهم بعض الألقاب، أليس أمير البرين والبحرين لقب تركي؟ أم أنَّ العبارات تصلح لكل زمان ومكان.

هو الحاج محمد عثمان الشهير بأبي قرجة، ولد فى (حفير مشو) في شمال السودان، وهو من الدناقلة، وقد نزحت الأسرة إلى مدينة القطينة. ثم سكن هو في قرية إسمها (أم غنيم) مسافة عشرة أميال شمال الفشاشويه، وهي تقع على الضفة الغربية للنيل الأبيض، عمل مع الزبير باشا في التجارة، وشارك معه في حروبه المختلفة، واكتسب خبرة، إذن فالحرب بالنسبة له مجرد تمارين رياضية.

عندما ظهر الإمام المهدي هنالك يعلن دعوته، كان أبو قرجة من الأبكار، أعجب المهدي بمواهبه وعينه أميراً في جيشه، ولقبه أمير البحرين والبرين (الإقليم الأوسط) وادخره للأوقات العصيبة، وحتى اسماه (رجل المهام الصعبه) في أعوام ١٨٨١م شارك في معارك المهدية في جبال النوبة.

هنالك في شيكان هُزم هكس، قبل أن يُهزم، حطم إبو قرجة معنويات الجيش الغازي. تحركت قوات الغزاة حتى الخرطوم، ومنها إلى الأبيض، كونت فرقة بقيادة أبوقرجة مهمتها (هزار على خفيف) مع الحملة، كان (الهزار) جاداً، ولم تستمتع الحملة بدفء الليل، والحملة تسير في مناطق وعرة، لا تعرف لها سبيلاً، فإذا أسفر الصبح فليست هنالك مياه، قد طمرت الآبار، ورحلت القرى، أين المفر؟ البحر أمامكم والعدو خلفكم، ولكن حتى هذه لا تنطبق عليهم، فاذا أمامهم بحر، فهم سعداء، فالعدو ليس له وجهة معينة، فهو في جميع الإتجاهات، حقق أبوقرجة المطلوب وزيادة، أما الباقي عليك أيها الامام، وهل تبقى باقٍ؟

تاريخ ٥ من نوفمبر ١٨٨٣م تاريخٌ خالدٌ في ذاكرة الوطن، دعني من تاريخ الإنقلابات العسكرية، استدرج الأنصار القوات الغازية إلى غابة شيكان، وأظهر الأنصار براعتهم العسكرية، وحققوا إنتصاراً، وكسبوا كسباً مادياً ومعنوياً. شارك أبو قرجة في أعوام ١٨٨٣ - ١٨٨٤م في حروب المهدية في النيل الأزرق.

تقلد أبو قرجه في المهدية مناصب سياسية رفيعة، وتولى مهام إدارية وإقتصادية مهمة، حيث شجع الناس على الإنتاج، كما قام ببناء نظام محاسبي وإحصائي للدولة.

والآن نأتي إلى حصار وتحرير الخرطوم، قررت بريطانيا سحب جيشها ووحداتها من السودان، من ينفذ تلك المهمة؟ أنت يا غردون، ولكن الثالثة ثابتة، فقد نجوت في الأولى والثانية أما هذه فلا.

أراد غردون مغازلة الأمام المهدي بخطاب رقيق، وكسوة، على أن المهدي كأن قلبه قُد من صخر، ليس هذا وقت العواطف، إنه وقت العمل، رد المهدي بخطاب أكثر من جاف، أغلق غردون هذا الباب، وصمم على محاربة الإمام المهدي.

أصبحت الخرطوم محاصرة من جميع الإتجاهات، وهنالك أنباء عن تحرك حمله لإنقاذ غردون، والمعركه معركة زمن، من يكسب الزمن فهو الذي يستولي على السلطة، يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥م هو تاريخ تحرير الخرطوم، أما الأمام الصارم العقيدة والإرادة قد إبتسم قليلاً، ومن يضحك أخيراً يضحك كثيراً.

أرسل الخليفة عبد الله بعد أن تقلد السلطة ابوقرجة إلى سواكن للإشراف على التعمير هناك، ولكن خلافاً نشب بينه وبين عثمان دقنة، فتم إستدعاؤه إلى أم درمان، ثم أرسله الخليفة إلى كسلا، وكذلك نشب خلافا بينه وبين الأمير مساعد قيدوم، وتمت إعادته مرة أخرى إلى أم درمان.

أيتها الثورة المهدية، ما هذا التكريم الفخيم لهؤلاء الأبطال؟ كان الصراع بين الخليفة عبدالله والأشراف قد بلغ ذروته، فقد أتخذ الخليفة قاعدة من ليس معنا فهو ضدنا، أمر الخليفة بأجراء تحريات مع أبوقرجة حول مزاعم اتصالاته مع الأشراف، تمت إدانته، وتم نفيه إلى الرجاف بجنوب السودان. هل كنت في خاطر ودالرضي حينما قال:

صب يا دمعي لا تكون جاف
ويا قلبى البقيت رجـــــــاف
البدر الخفا الأنجـــــــاف
اليوم شرف الرجـــــــــاف

على أنه في السجن لم يربع يديه، ويقعد مع القواعد، حيث اهتم برعاية سجناء المهدية هنالك. كانت القوات البلجيكية أرحم من أولي القربى، فقد أطلقت سراح أبوقرجه.

ثم توجه إلى دارفور في ضيافة السلطان علي دينار، الذى أكرم وفادته، وهنالك الأمير محمد خالد زقل، وبقى ابوقرجة ثمان سنوات. ولكن السلطان علي دينار إنقلب على الامير محمد خالد زقل وأعدمه، ماذا يحدث أيها الساسة؟

لم يستطع ابوقرجة بعد ذلك المكوث هنالك، فذهب إلى قريته أم غنيم، ولم يمكث فيها طويلاً فقد أعياه مرض الدرن، ثم ذهب إلى أم درمان حيث تُوفيّ فيها في سنة ١٩١٣م.

٣٢ - عبدالقادر ود حبوبة

معركة كرري هي لطمه قاسية على الخدود، أفلت دولة المهدية، ولكن هل من سبيل إلى إعادتها، حاول ايَّها البطل، فعلى أيةِ حال لك إحدى الحسنيين.

هو عبد القادر محمد إمام إدريس (ودحبوبة) وحبوبة هي إسم الشهرة للأسرة، وبها إشتهر عبد القادر. ولد حوالي الأربعينات من القرن التاسع عشر، بقرية قوز عبدالسلام، في بيئة أثرت على تكوين شخصيته، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ذهب إلى منطقة الشرفة الحلاوين، ومكث مع شيخه الشريف أحمد طه، والمنطقة بها تجمع قبائل مختلفة، وزعامة المنطقة السياسية والإدارية عند الحلاوين، أمَّا الناحية الروحية فكانت عند الشيخ القرشي ود الزين، اسم له دلالات خاصة، وزاد من دلالة الإسم مقدم الإمام محمد أحمد المهدي عليه، على أننا لا ننسى الشيخ أحمد ود البصير العلم في تلك المنطقة.

نذهب إلى منطقة أخرى، ولكن لا نبارح أرض الحلاوين كثيراً، هنالك نلمح محمد أحمد المهدي، هل يبني في قبة؟ أم يبني في جيل جديد مشبع بالإيمان؟ بنفس الخفية التي دخل بها عبدالله التعايشي، دخلت أنت وحدك، دار لقاء بينك والمهدي، لم تكن القبة لولي صوفي فحسب، ولكنها هودج للأحبة يتفاكرون فيه.

أعلن المهدي دعوته السرية والجهرية، وخاض معارك لم يكن ود حبوبة بعيداً عنها، حيث حارب مع شيخه الشريف أحمد طه في الشرفة، وقد قاد الشريف الشرفة نحو حياة جهادية جديدة حتى أصبحت قبلة للمجاهدين، والمعارك بينه والأتراك كر وفر، وأرسلوا إليه ينصحونه بالإستسلام، فقال قولته المشهوره: " دعوا النصيحة فإني قد أوقدت ناراً - يعني نار الجهاد - وأريد أن أتدفأ بها" وهنالك في المدفأه معه ود حبوبة، وقد حارب معه في ثلاث معارك، وأهمها معركة قرب فداسي.

وهو من مستشاري المهدي، وبعد انتقال المهدي وتولى الخليفة السلطة، وهو من المقربين إلى الخليفة، خرج هناك إلى الحبشة مع أبوعنجة، كان الإنتصار، عمت الأفراح لعله الفرح الأخير.إلى أين؟ مصر هل بهذه البساطة؟ ذهب مع جيش ود النجومي، ومعركة توشكي، والهزيمة الموجعة، تم أسره بمصر، لم يكن بمفرده، معه شقيقاه عبدالباقي وحسين، ومعهم أمهم والتى إستشهدت هنالك، أما هو وشقيقاه فقد خرجا من الأسر بمساعدة تاجر مصري.

عاد ود حبوبة إلى السودان، وجد الخليفة في الرمق الأخير، ووجده يجهز في دفاعاته، لا يوجد رأس حربة في الفريق، فالكل مدافع، وكانت كرري، لم يشارك فيها ود حبوبة لأسباب صحية، انتهت كرري وبعدها أم دبيكرات، انتهت المهدية، هل من عودة ثانية لها؟ حاول أيها القائد.

نتابع المحاولة، ذهب ود حبوبة إلى منطقة الحلاوين، وقلبه (مكتول كمد) ماذا يحدث هنالك؟ جاهلية أخرى؟ إرتداد عن فكر المهدية، وله مجلس اجتمع حوله عدد من الأنصار، وهو ذو شخصية محبوبة، طالب بإنهاء الوضع القائم، وإقامة حكم إسلامي.

كان المهدي يبني في قبة شيخه في طيبه، أما أنت فحسبك منها رواكيب أمام المحيريبة، وقرب ودشنينة لكي يتجمعوا فيها، ويقرأون الراتب، لم يقصّر العمده عبدالله مساعد، وبينه وود حبوبة جفاء، وهنالك بعض (المتوركين) يذهبون إلى الحكومة، ويبلغونها بالأحداث، أرادت الحكومه أن تحتفظ (بشعرة معاوية) مع ودحبوبة، ولكن من جانبه يجذب بشده، لا يهمه ماذا يحصل، امَّا الوفود الرسمية والشعبية تذهب إليه لكي تثنيه عن عزمه، أمَّا هوفي واد آخر، لعله قد شم ريحة الجنة، فقد قرر أن يرحل من منطقته، ويذهب قرب التقر، وقد قرر قطع الشعرة نهائياً، وقتل أي مستعمر يأتي له، كانت الخطابات تترى عليه، من جانب الحكومة، ولكن الحكومة قررت أن تلاقيه، حيث طلب المفتش ملاقاة ود حبوبة فى منطقه حددها له، ومعه شخص، وألاَّ يكون معه سلاحاً، وذلك من أجل التفاوض، ولكنه رفض.

علم ود حبوبة من مصادره أنه سوف يأتيه مونكريف المفتش الإنجليزي، ومحمد شريف المأمور المصري، وعمل ترتيباته المختلفة للقضاء عليهم، انتشر الخبر حتى النسيم والرياح لها دور في نشر الخبر، أن هنالك مقتلة عظيمة، على أن عدداً من الوسطاء تجمعوا ومنهم أقارب لود حبوبة، والمأمور نفسه مع الوسطاء.

أفسد المفتش الإنجليزي كل تدبير، لم تكن هنالك شعرة معاوية ولا يحزنون، والجو فيه غيوم كثيفة، جاء المفتش الانجليزي هائجاً، ومعه حارسين، وقد رفض الوساطات، ورأى إنها مذلة ومهينة لحكم قائم، ولم يسلم محمد شريف من غضبه، وقرر أن يذهب فوراً إلى ود حبوبة، هل يستعجل حتفه؟

هل ندخل هنالك؟ وإذا لم ندخل فكيف نكمل الأحداث، ذهب الإثنان سوياً ومعهما حارسان من الهجانة، أين أنت يا ود حبوبة، ألم يستدرج صلاح الدين الأيوبي الصليبيين إلى طبرية، في معركة حطين، وعندما جاء الصليبيين إلى هنالك، قال قولته المشهورة: "جاء ما نريد" فقد جاء لك الصيد الثمين، فما أنت فاعل؟ دخلا على عبدالقادر، وأجلسهما على عنقريبين، هل هذا هو الإكرام؟ لا لم يأتِ بعد، نصمت قليلاً لكي نكمل الرواية، كان هناك نقاش هاديء، ثم عنيف، ثم هجم ودحبوبة على المأمور وقتله، وبعدها تم قتل المفتش (بتريد اللطام... أسد الكداد الزام ..هزيت البلد ...من اليمن للشام) نفس النسيم والرياح نقلت الخبر.

عزمت الحكومة القضاء على الثوار، وأرسلت أورطة ١٣ من مدني، بقيادة موكين ولكن الأنصار هاجموهم ليلاً، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، وهنالك واحد من الأنصار قد كشف عن نفسه بصورة غير مقصودة، فأستيقظ مكوين، وأطلق النار بصورة عشوائية، فقتل أعداداً كبيرة من الجانبين، بعد ذلك انسحب الأنصار. طلب ونجت حاكم عام السودان من ودحبوبة

أن يسلم نفسه، وكانت الحكومة قد أعلنت عن جائزة لمن يدل عليه، وقرر هو أن يسلم نفسه، وذهب بحماره إلى الكاملين، ولكن مجموعة أحاطت به، وسلمته إلى المركز.

ماذا في المحكمه هنالك؟ جرت محاكمته في الكاملين يوم ٧ مايو ١٩٠٨ أمام القاضي بيكوك. فأثبتت عليه تهم القتل ومحاربة الدولة، وحكمت عليه المحكمة بالإعدام شنقاً، ونفذ فيه حكم الإعدام يوم ١٧ مايو ١٩٠٨ بسوق حلة مصطفى، كان يبتسم للموت في شجاعة نادرة، والنساء من حوله يزغردن لشجاعته، وقد دفن بالقرب من قرية مصطفى قرشي.

٣٣ - الخليفة محمد شريف

قربه المهدي كثيراً حتى زوجه بضع منه، وهو منه كمنزلة هارون إلى موسى، ثم حينما امتد خيط المهديه طويلاً، زادت العقد في الخيط، وبعد أن كان فى أول الخيط، تدحرج كثيرا إلى آخره، ولكن أليس آخر الخيط له قوة كقوة أول الخيط؟

هو الخليفة محمد شريف حامد، ابن عم المهدي، دخل منذ صباه المهدية، شهد مع المهدي أغلب المعارك، لم تفته شاردة ولا واردة، حيث شهد معركة الجزيره أبا، راشد، الشلالي، الأبيض، شيكان وتحرير الخرطوم.

بعد ستة أشهر من تحرير الخرطوم انطفأ ذلك الشعاع، الذى يحمل الضوء إلى بقاع كثيرة، ولكن هنالك وميض يضيء، لم يكن مثل الشعاع الأول، ولكنه كان يؤدي المطلوب.

الخليفة عبدالله لم تكن له قدسية مثل المهدي، والتسليم بزعامته صعب، وهو يعلم ذلك. وهنالك خطان متوازيان لا يلتقيان البتة، وهو في طرف الخط الأول، أما الثاني عليه الأشراف، وزعيمهم محمد شريف. على أن الأشراف اضطروا إلى مبايعة الخليفة لأن قوتهم العسكرية خارج العاصمة. على أن الخليفة يعلم بضعف موقفه، فعمل إجراءات مختلفة قوى فيها من مركزه.

تمرد الأشراف على الخليفة عبدالله المرة الأولى عام ١٨٨٦م، وراسلوا قريبهم محمد خالد زقل للحضور إلى أمدرمان في قوة عسكرية، ولكن الخليفة علم بذلك، وأمر حمدان أبوعنجه بالقبض عليه، وتم ذلك وتم سجنه.

ثم كان التمرد الثاني، حيث اجتمع الأشراف عام ١٨٩١م في قبة الأمام المهدي، حاملين سلاحهم في شكل انتفاضة مسلحة، وكاد أن يقع صراع دموي، إلا أن الخليفة حكم صوت العقل، هذه الدماء يجب أن تجري في عروقها إلى أجل غير مسمى، فأمر رجاله ألاَّ يهاجمو الطرف الآخر، وهنالك علي ود حلو الخليفة الثاني للمهدي، وكل تجعيده منه تحكي عن وقار وهيبة وحكمة، حيث توسط علي ود حلو بين الجانبين، ووصل إلى اتفاق وافق فيه الخليفة عن العفو عن المشتركين في تلك المؤامرة، وأن يجعل محمد شريف من أهل المشورة، ويخصص له ولأسرة المهدي راتباً معلوماً من بيت المال، في مقابل ذلك أن يسلم الأشراف سلاحهم للخليفة، وأن يطيعوا الخليفة.

هذه الاتفاقيات وضعت لتنقض، هذا هو منطق السياسة، فقد تطاير ورق الاتفاقيات من أمام مِنْضَدة الخليفة، ولم يهتم الخليفة بجمعه كثيراً، فله أمور أهم من تلك، فبعد عشرون يوماً فقط تم نقض الاتفاق، وأرسل الخليفة عدداً من قادة الأشراف لفشودة، هنالك الزاكي طمل ليتم إعدامهم. أغضب هذا الخليفة شريف فانقطع عن صلاة الجمعة والجماعة، تعبيراً عن سخطه، أيها الفارس المبجل، لقد ابتلعت الطعم فلا فكاك من السنارة. انتهز الخليفه عبدالله هذه الفرصة النادرة للتخلص من محمد شريف، فجمع في سنة ١٨٩٢م مجلساً من

العلماء، وحكموا على محمد شريف بالسجن، فظل في السجن حتى حينما علم الخليفة عبدالله بتحركات الأعداء لإنهاء دولة المهديه، أطلق سراحه ليتفاكر مع الجميع.

هو أطول يوم في تاريخ السودان الجمعه ٢ سبتمبر ١٨٩٨م الساعة الثامنة صباحاً، توقفت القلوب عن الخفقان، توقفت عملية وصول الدم من مقره إلى مصبه، الكل قلبه معلق بهذه الآله العسكرية الرهيبة، أيها الخليفة ليت أن الساعة التي كانت لديك متأخرة عشر ساعات لتغير كل شيء، وهؤلاء جبناء لا يستطيعون القتال في الظلام. انتهت معركة كرري قبل أن تبدأ، كانت هزيمه للمهدية ونهاية الدولة، ولكن رغم ذلك أعجب الغزاة بمقاومة الأنصار "وكانت القذائف تتساقط بكثافة فوق رؤوسهم، ولا تلبث أن تصنع فجوات ضخمة وسط صفوفهم، مثل حقل قمح أعمل صاحبه آلات الحش الهائلة في وسطه، وفي أطرافه... " انتهى كل شيء، لم يبق شيء، قررت البقية الباقية الإنسحاب التكتيكي، والخروج إلى هذا الهواء الطلق. أما الخليفة عبدالله فقد خرج فى المجموعة الأولى، أنت تعرف دربك جيداً لا شأن لنا بك الآن، فلنتابع المجموعة الثانية، وهي بقيادة الخليفه شريف وابناء المهدي عبدالرحمن، الفاضل وبشري، وعددهم ثمانية، وبها عددية كبيرة من العوائل والعجزة والأطفال، وقد قرروا الذهاب إلى الجزيرة أبا، ولكنكم تطلبون المستحيل، فسياسة فصل الجسد عن الرأس سياسة إستعمارية قديمة، حيث قرر القبض عليهم، وإرسال الخليفة محمد شريف وابناء المهدي والسيدة مقبولة والدة السيد عبدالرحمن إلى حلفا لفترة قصيرة، ثم أطلق سراحهم عام ١٨٩٩م.

ثم سمحت لهم السلطات الإستعماريه بالإقامة الجبرية في قرية الشكابة، جنوب مدني، حتى يستطيع (رادار) الإنجليز مراقبتهم، وعندما تقاطر عليهم الأنصار انزعجت الحكومة، لا بد من التصفية الجسدية.

فى صباح ٢٧ اغسطس أي بعد عام من المجزرة الأولى، جرت المجزرة الثانية، كأن دم الإنجليز موضوع في (ديب فريزر) حيث وصل جنود الإحتلال، وأطلقوا النار على الأنصار، فسقط سبعة عشر شهيداً، ثم جرت محاكمات عسكرية، وتم إعدام الخليفه شريف والفاضل وبشرى رمياً بالرصاص، ثم قذف بالجثامين في نهر النيل، حتى لا تصبح لهم قبور تزار.

كان ملوك العرب قديماً حينما تفرض عليه حرب يقول "من القصر إلى القبر" أما أنت أيها البطل فلم تدخل القصر، ولكن دخلت سجن الخليفه (من السجان إلى الإعدام).

٣٤ - علي دينار

علي دينار إسم له رنين خاص، ليس رنين الدينار، ولكن رنين الذهب الخالص، حكم إمارة دارفور حكماً إسلامياً، لا تشوبه شائبة، وحد الإقليم، امتدت علاقاته خارجياً، ويرسل كسوة الكعبه سنوياً.

هو السلطان علي دينار بن زكريا بن محمد الفضل بن عبدالرحمن الرشيد، والذي ينتهي نسبه إلى السلطان سليمان سولونق المؤسس الأول لسلطنة دارفور الإسلامية. ولد حوالي عام ١٨٦٠م حيث توفي أبوه وتركه صغيراً، وهو وحيد والديه، وله أخت واحده، فكفله أخواله، تعلم العلوم المختلفة، وحفظ القرآن الكريم، تعلم فنون القتال المختلفة: كالقتال بالحراب، والصراع مع أصحابه، فشب فتى فيه القوة، بالإضافة للكرم والشهامة، هل في باله آنذاك إعاده عرش آبائه، خاصة وهو سليل أسرة حكمت هذا الأقليم لفترة من الزمن.

تمكن الزبير رحمة من السيطرة على إقليم دارفور، وتسليمه للأتراك كهدية قيمة، جرّت عليه عواقب وخيمة، ثم سقطت دارفور في يد الأنصار ١٨٨٤م نظم الفور فيها عدداً من حركات التمرد، وساعدهم على ذلك حدوث زلازل وبراكين في دولة المهدية، واحتياج الخليفه عبدالله لمحمود ود أحمد عامله على دارفور لحسم التفلتات الداخلية، ومغامرات الإنجليز الخارجية. وفي هذه الفترة ظهرت شخصية علي دينار السياسية.

والخليفه كثيراً ما يرتاب في نوايا البعض

فيأخذ بعضهم تحفظاً، وهذا ما فعله مع علي دينار، حيث شك في نواياه، وذلك في عام ١٨٩٥م واستبقاه في سجن الساير، وبقي فى هذا السجن حتى قبل معركة كرري بيوم واحد، أي في يوم الفاتح من سبتمبر ١٨٩٨م انسحب من السجن، ومعه ثلاثمائة من أتباعه، وحينما أصبح صبح ذلك اليوم لا يوجد سجن، ولا سجان، ولا سجين، وذهب هو وأتباعه إلى الفاشر، وحينما علم أبو كوده بمقدم علي دينار انسحب تاركاً له "الجمل بما حمل"، ولكن لم يكن الجمل طائعاً لهذه الدرجة، فهنالك مكر الإنجليز الذين أرسلوا واحداً من أسرة الكيرا، ويدعي إبراهيم علي، هل يستطيع أن يقف في وجه علي دينار؟ الشيء المؤكد أنه لا يستطيع، واستطاع علي دينار أن يهزمه، وذلك في ٢٦ يناير ١٨٩٩م و بذلك استولى على هذا الإقليم

لم يرد علي دينار معاداة الإنجليز، وهو في منطقة بها كثير من التجاذبات السياسية والقوة الاستعماريه الحديثة، فهنالك الفرنسيون في الغرب، أما البلجيك فهم في الجنوب، وهم على مرمي حجر منه، ومع هذا وذاك يوجد السادة الجدد، ولذلك استكان للإنجليز.

كتب علي دينار إلى كتشنر معترفاً بسلطة الإنجليز عليه، ومن حسن حظ علي دينار أن الإنجليز لا يريدون الدخول في هذه الدهاليز ومطباتها الكثيرة، ولذلك اعترف به الإنجليز

سلطاناً على دارفور، في مقابل أن يرفع علمي الحكم الثنائي الإنجليزي - المصري، وأن يدفع مبلغ خمسمائة جنيه سنوياً للإنجليز.

واجهت علي دينار جملة مشاكل تمكن من حلحلتها تارة بالعقل، وأخرى بالقوة فالوسطية التي تمتع بها هي التي أبقته ردحاً من الزمن، في هذا المحيط المتلاطم الأمواج، فحامية الأنصار في مدينة كبكابية تمكن من السيطره عليها، بعد شدٍ وجذب، وكذلك تعدي بعض القبائل على حدوده، و لم يكن الفرنسيون بعيدين عن هذه المعمعة.

اهتم علي دينار بعلاقاته الخارجية، وله علاقات مع السلطان العثماني السلطان عبدالحميد، والملك الليبي السنوسني، والمجاهد عمر المختار، والذي استنجد بعلي دينار طالباً إمداده بالأسلحة، ولعلي دينار مصنع يوفر الأسلحة التقليدية، وهو قوميٌ ولم يكن متعصباً وقائد جيوشه شايقيٌ، ولقبيلة الشايقية خبرة كبيرة في العمل العسكري، والقاضي إدريس الدنقلاوي يتولى القضاء، والشيخ عبدالماجد الفلاتي يتولى إمامة مسجد الفاشر. وحتى زواجه الكثير كان من مختلف القبائل المختلفة.

أما في مجال الأقتصاد فلم تكن دولته في مصاف الدول الغنية، ولكنه كان يُسير الدولة وله عملة محلية تعرف بردينا.

لم يكن محمل علي دينار لكسوة الكعبة حدثاً عادياً، بل هو نموذج للتكامل والتكافل الإسلامي. حيث كانت النساء يتبرعن بالذهب للكسوة ومعها أغذية. وأهم ما في المحمل صرة الحرمين، وهي عبارة عن عشرون كيلو من الذهب الخالص، هديه لخدمة الحرمين، ويقام احتفال كبير لوداع المحمل، كما قام بحفر الآبار لسقاية الحجاج، والمنطقه والآبار تعرف الآن (بأبيار علي) خارج المدينة المنورة قام بحفرها علي دينار .

و له أعمال كثيرة تدل أنه لم يكن تقليدياً، أوردتها حفيدته سعاد مزمل علي دينار في لقاء أجرته معها صحيفة الرايه القطرية، أنه أول من أنشأ حديقة حيوان في إفريقيا، وفي مدينة الفاشر، وكذلك قام بتشجير مدينة الفاشر.

لا نريد أن نسترسل كثيراً فالموائد عامرة عنده بما تشتهي الأنفس، ولكن الزمن يدنو إلى النهايه، هل نهاية المقال، أم نهاية السلطان، كلاهما واحد.

توترت العلاقات بين علي دينار والحكومة، إذ تشككت الحكومة في نواياه، ثم ازدادت العلاقات سوءاً بقيام الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ - ١٩١٤م حيث إنحاز إلى أعداء بريطانيا، وله مكاتبات مع السلطان العثماني.

وقررت الحكومة القضاء عليه، وكانت المعركة الحاسمة في برنجية في ٢٢ مايو ١٩١٦م ثم انسحب علي دينار من الفاشر. ثم بعد ذلك استشهد أثناء خروجه في يوم ٦ نوفمبر ١٩١٦م بعد أن إستخدم الإنجليز سلاح الطيران.

ياسبحان الله! أعدت لنا مشهد الخليفة عبدالله بكل الكاميرات المختلفة.

٣٥ - عبدالمحمود نورالدائم

هنالك في الجزيرة، وبالقرب من مدينة الحصاحيصا، ولا تبعد كثيراً عن مدني العاصمة الثانية للسودان، تقع مدينة طابت الشيخ عبدالمحمود، المدينة والشيخ أصبحا مترادفين، ليس هنالك ولو (شولة) عابرة تستطيع أن تفصل بينهما.

هو الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب ود البشير، والشيخ أحمد الطيب مؤسس الطريقة السمانية في السودان، ولها حضور في مصر، أثيوبيا ونيجيريا، وبلاد أخرى.

ولد الشيخ عبد المحمود بمنطقة أم طريفي شمال الجيلي بالخرطوم عام ١٨٤٥م نشأ وعين والده الشيخ نورالدائم لا تفارقه طرفة عين، لأنه لمح فيه النجابة، حيث تم إلحاقه بخلوة لحفظ القرآن الكريم، وآنذاك في السادسة من عمره، حيث أتم حفظ القرآن الكريم، وبعد وفاة والده الشيخ نورالدائم، واصل حفظ القرآن الكريم على أخيه الشيخ الصديق، وأتم حفظه على الشيخ القرشي بن الزين. ثم بعد ذلك اتجه إلى علوم اللغة العربية، العقيدة والفقه حيث درسها على الشيخ محمد ود زروق.

على أن الطريق إلى أرض الحلاوين لم يكن بعيداً عليه، فقد شد الرحال إليها، ويوجد الشيخ القرشي ود الزين فى طيبة، فقد سلك عليه الطريق الصوفي، ثم بعد ذلك انتقل إلى الجزيرة في منطقة أم دبيب عام ١٨٧٧م، وعرفت بهذا الإسم لكثرة الحيات بها، وبها عدد من القبائل إلا إن أهمها الخشوماب، وقد رحبوا به، وتوافدت أعدادٌ كبيرة منهم، والتي أسس فيها قرية طابت التي تعد الآن من بين أكبر مدن ولاية الجزيرة.

كان صدره ممتلئاً بالعلوم عذب المنطق، فصيحاً إذا تكلم أخذ بمجامع القلوب، وهو في عزلة عن الناس، وهمه الوحيد إصلاح آخرته، معمّرٌ لأوقاته بالذكر وتلاوة القرآن الكريم. وجواد سخي ولا يقابل السيئة إلا بالحسنة، ويعفو عمَّن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، حسن الخلق، لا يشبع جليسه من مجالسته، فمن خالطه لا يصبر على فراق مجلسه، ومجلسه مجلس وقار وسكينة.

اتسعت دائرة تأثير الشيخ في المجتمع الإسلامي، في السودان وخارجه، فهنالك كم هائل من مشائخ الطريقة السمانية الذين تمت إجازتهم بواسطة الشيخ، فاذا تتبعت (مسالك وممالك) الصوفية في السودان فإنك تجد تلميذاً من تلاميذه، وقد أوجب على تلاميذه أن يلتزموا العلم رواية، ودراية، ورعاية، ونشراً والحرص على العطاء العلمي في مختلف مجالات علوم الإسلام، ولا يسعنا إلا أن نعطي أمثله قليلة من هؤلاء التلاميذ.

أما من خارج السودان، الشيخ أحمد بن الشيخ محمد حسن السمان، أما من أسرته فمنهم الشيخ البشير بن الشيخ عبد الرحمن البكري، الشيخ قريب الله بن الشيخ أبي صالح، وهنالك تلاميذ ممن أخذوا عليه الشيخ محمد أحمد كبيش، الشيخ عبد الدافع ود مضوي بن

محمد الأغبش، الشيخ حامد بن عطا الله (جبل أولياء) الشيخ علي بساطي، الشيخ محمد بن الشيخ مضوي بن المدني، الشيخ الحسين بن إبراهيم محمد الأغبش، الشيخ عبد الماجد بن الشيخ الطيب الفكي عبد الله، الشيخ أحمد محمد الكمن، الشيخ علي بن الشيخ القرشي ود الزين، الشيخ محمد الشيخ أحمد المقابلي بالعيلفون، الشيخ مصطفى الحفيان بن إبراهيم العامري (أم دقرسي) ، الشيخ عثمان الفكي عمر (النويلة)، الشيخ إبراهيم أحمد عبد الله الجليلابي (وادي شعير)، الشيخ خوجلي بن أحمد سليمان (بُري)، الشيخ مركز الدين بن الشيخ مضوي (الشوق) شمال غرب الأبيض.

يعتبر الشيخ عبد المحمود أول من أرخ ووثق للطريقة السمانية في السودان، ولديه أكثر من ثلاثة وثمانون مؤلفاً، في مختلف تخصصات الدين الإسلامي ومن أبرزها، رياض الشقائق في حديث أشرف الخلائق، تحفة الطالب وكنز المطالب، الأحكام الفقهية من مذهب إمام دار الهجرة النبوية، الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة، رياض الخيرات في مولد سيد السادات، النصرة العلمية لأهل الطريقة الصوفية والروض البهيج في مدح جناب نبي الرحمة والتفريج. تُوفيّ الشيخ في طابت فى ١٩١٥م خلفه ابنه الشيخ الجيلي.

٣٦ - قريب الله أبوصالح

هو الشيخ قريب الله الشيخ أبي صالح ابن الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية بالسودان، ينتمي الشيخ قريب الله إلى السيد العباس رضي الله عنه.

ولد بأم مرح عام ١٨٦٦م، حفظ القرآن الكريم فى خلوة والده الشيخ أبوصالح بأم مرح، و(جو) الأسرة هنالك معطون حتى النخاع بالجمال والتقوى والأريحية، هذا النيل المعتق يفصل بين أم مرح والجيلي، فقد عبر هذا النيل للذهاب إلى خاله الشيخ أحمد أبو قرين بالجيلي، لإكمال حفظ القرآن الكريم هنالك.

وهو مثل الباز الأشهب يحلق في أجواء مختلفة، فقد تنقل في أماكن مختلفة، حيث تنقل بين أمدرمان، الجيلي، أم مرح، مليط، مصر، الحجاز وغيرها ،وتنقله طلباً للعلم والمعرفة والسياحة الروحية.

وفجر الوصل يطلع بعد ليـــــل
وتطلع بعده شمس الضحى
وتنقشع الهموم بكل فـــــــج
وتنزاح الشدائد بالرخـــــاء
وأعياد السرور تعاد دومـــــــاً
عليك بلا انصرام وإنقضـــاء
وتأنس بالجمال بكل حـــــــال
وتنعم صحبة بالأوليـــــــاء
وتسمع من شذى الأطيار معنى
يشوق الروح منك إلى اللقاء
وأنفاس النسيم تهب دومـــــاً
تحثك للنهوض بلا تنـــــــاء

هنالك حادثة له إهتمت بها الكتب كثيراً، وحدثت هذه الحادثة أيام الحكم الإستعماري، كان الإنجليز يحترمون الإسلام ظاهرياً، أو على الأقل إسلام الشعائر والمناسبات، أما الإسلام العملي والعلمي فهم بالتاكيد ضده، ولكن هل هنالك شخص يتجرأ على إقامة الشعائر الدينية داخل قصر الحاكم العام؟ ولكن أمهلني قليلاً حتى أستجمع أنفاسي، وأحكي لكم ماحدث، كان اللورد اللنبي يملأ الأرض ضجيجاً، ويدير بلاداً أكبر من الجزر البريطانية، ومصر في جيبه الأمامي، أما السودان فحدث ولا حرج، ويضعه في أي جيب من جيوبه، أما إذا حضر زيارة إلى السودان فالكل (إستاند باى) إلا من هداه الله، ولكن والحمد لله هنالك كثيرون قد هداهم الله، ندع الحديث عن الهداية، ونرجع إلى اللورد، في أبريل ١٩٢٢م أقيم حفل شاي بمناسبة زيارة اللورد اللنبي المندوب السّامي البريطاني بمصر، حضرها عدد من الزعماء الدينيين

وزعماء العشائر، ثم بدأت الإحتفالات عصراً، هنالك الظل يمتد ممشوق القوام، ويماثل في امتداده قدر كل شيء، لا يزيد في ذلك ولا ينقص، مما يعني دخول وقت العصر، ولكن الجميع مشغولون بالإحتفالات، وهنا انسل الشيخ خلسة كأنه يقول للظل قف مكانك، ولا تزيد قيد أنملة، ثم ذهب وأذن لصلاة العصر ،ولم يصل معه إلا الشيخ عثمان زياد سر تجار مدني، وقد أشاد به الشيخ قريب الله:

فإن له في الدِّين غَيرةُ صَادق
ولم يكْترث فيها بزيد ولاعَـمْرُو
ولم يخش في الله لومة لائمٍ
إذا حَيْعَل الدَّاعِي لمكتوبة العَصر

وقد قال الشيخ قريب الله قصيدة عصماء عرفت (بقصيدة القصر) وهي نوع من المقاومة المكبوتة ضد المستعمر.

ثم اتجه الشيخ إلى العلم والتصوف العلمي والعملي، فهو مُحِب لله ورسوله، وله في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) مدائح كثيرة.

وفي سعدي وفي سلمي وليلي ولا يرضى بصحبة من سواه
اذا ذكر الحبيب ونحن جمـــع ترى كلاً له وصف عـــراه
فمنا من تمايل بإهـــــتزاز ومنا من تساقط من عـــلاه
ومنا من يذوب كذوب شمـــع لأن جوى المحبة قد صـــلاه
من يحن حنين ثكـــــــلى ترق له الحجارة لو تـــــراه

حيث سلك الطريقة السمانية على الشيخ عبدالمحمود نورالدائم، كما سلك عدة طرق أخرى منها الطريقة الشاذلية، وقد سلكها على الشيخ عليش، كما سلك الطريقة الخلوتية، حيث أعطى إجازتها من الشيخ أبوبكر الحداد، كما له إجازة من الشيخ محمد ماضي أبو العزائم في الشاذلية العزمية.

أتى العام ١٩٣٦ وهذا العام يتقدل في مشيته، والشيخ رابط الجأش يتهيأ إلى لقاء الواحد الأحد.

وأحبب لقاء الله جل جلاله
إن رمت تخرج من سراب البيد
الله يفرح إن فرحت بقربه
فأغنم رضا ذى الحمد والتمجيد

٣٧ - عبدالباقي المكاشفي

شيخ عظيم من رواد التصوف في السودان، دخل القلوب من الباب الكبير، باب الزهد والتقشف والبساطة، وركّن كل مغريات الحياة المختلفة، فأصبح علماً في بلادي، ألم بنسب بعضهم التصوف إلى الصوف.

هو الشيخ عبد الباقي الحاج عمر بن الشيخ أحمد المكاشفي بن الشيخ محمد الهارب، وينتهي نسبه إلى السيد الحسين بن علي بن أبي طالب من جهة أبيه وأمه أيضاً، كان الحاج عمر له صداقة مع الشيخ التوم ود بانقا.

تزوج الحاج عمر من ابنة رجل ركابي يدعى أحمد أبوالقاسم، وللشيخ التوم ود بانقا دور في هذا الزواج، وثمرة هذا الزواج إنجاب ابنه عبدالباقي، وذلك عام ١٨٦٧م بقرية ودشمبلي ريفي سنار، ثم انتقل إلى قرية المكاشفي.

حفظ القرآن الكريم بمسجد الشيخ حمد النيل، حيث تفتحت عبقريته، وتعلم على أخيه أحمد الحاج عمر، ودرس على جماعة من العلماء، منهم العالم المشهور محمد البدوي شيخ الإسلام، وحفظ متن الرسالة للقيروانى، ومختصر خليل، وموطأ الإمام مالك بن أنس. وأصبح حجة في العلوم اللغوية والشرعية. أخذ الشيخ المكاشفي الطريق على يد الشيخ عبد الباقي الأبيض، المعروف بأبي الشول، حفيد الشيخ عبد الباقي النيل.

على أن الحكومة تخوفت أن يثور عليها كما ثار أخواه من قبل أحمد المكاشفي وعامر المكاشفي، والحكومة تتوجس كثيراً من الطرق الصوفية في البداية، ولذلك طلبت منه الحكومة أن يرتحل من قرية المكاشفي إلى منطقة المناقل، حتى ينفصل عن أتباعه، لكن الحكومه لا تعلم أن قوة الجذب ليست لها مكان معين، والمغنطيس يجذب في كل مكان، وكذلك أنت يا أبا عمر، قوة جذبك ليس لها حدود، وكانت له قوة وفراسة، وله عدد من الألقاب منها على سبيل المثال لا الحصر النادر، الحفيان، الرشيد، أبو الكل، أبو الهمال، الكشَّيف وكحل الجلاء وكذلك كنيات منها أبوعمر، أبوالجيلي، ابوالتقي، أبوالطيب، أبوالمهدي، أبوموسي وأبوالفاتح، على أن كثرة الاسماء من عظمة المسمى.

افتتح خلوة هنالك في الشكينيبة لتدريس القرآن الكريم وعلوم الفقه، وصارت هذه الخلوة (تشد إليها الرحال) هذه المنطقة النسيم فيها عليل، والسماء صافية، ولكن الأرض لم تكن كذلك، وهنالك مياه عظيمة عرفت (بالحفير) تتجمع فيها مياه مباركة من السماء لتسقي الزرع والضرع، وهو يحضر دروس الفقه معهم، في تواضع وزهد عرف عنه، ويجيب عن الأسئلة، وهو موسوعة متحركة في جميع العلوم، أمَّا الأموال التي تأتي له من الفقراء، أو الزوار، أو من أي جهة أخرى، فلم يكن يتصرف فيها، بل يوزعها ميمنة وميسرة في سخاء وأدب نبوي، ألم يمت صاحب الرسالة ودرعه مرهونة.

عمت شهرته الآفاق، وأتى إليه المريدون من جميع أنحاء السودان، وأقام عدداً كبيراً من الزوايا للتدريس والإرشاد، في أنحاء القطر المختلفة، وكذلك في البلاد العربية.

له أقوال كأنها الدَّر المنظوم، أو كأنها لوحة سريالية تشاهدها لحظة الغروب، أو الشروق لا يهم الوقت، المهم المشاهدة والإستمتاع، لا أريد أن (أخربش) ريشتي فيها حتى لا أفسد النص، ولكن أضعه كما وجدته "ينبغي للفقير أن يكون: أوسع الناس صدراً، ضحكه تبسماً، وإستفهامه تعلماً، مذكراً للغافل، لا يؤذي من يؤذيه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، قليل الأذى، ورعاً من المحرمات، بِشره في وجهه، حزنه في قلبه، مشغولاً بفكره، مسروراً بفقره، لا يكشف سراً، ولا يهتك ستراً، حسن الأخلاق، لين الجانب، طويل الصمت، جميل النعت، صبوراً على من أساء إليه، لا يكون عنده جحود، أمين على الأمانة، بعيد عن الخيانة، خلقه الحياء، كثير التحمل، كثير الصلوات والصيام، لا سَبَّاباً ولا مُغتاباً لا نَمَّاماً ولا ذمَّامّاً، ولا حسوداً ولا كنوداً، له لسان مصون، وقوله موزون، وقلبه محزون".

له عدد من المصنفات في جميع علوم الدين المختلفة، منها منظومة (تعالى الرب) تحدث فيها عن التوحيد، ورد فيها على أهل البدع، وتحدث فيها عن عقائد أهل السنة، وكذلك له أرجوزة التوحيد، تحدث فيها عن التوحيد الخالص، والإعتقاد السليم، ومعنى الشهادتين.
ثم ألف الشيخ المكاشفي في الفقه المالكي، منظومة الجنائن المغروسة على حياض السنة المحروسة، وتتحدث عن الفرائض، حتى يتمكن المسلم من أداء فرائضه على الوجه السليم.
و له ديوان المديح في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك قصائد في النصح والتوجيه والتربية والإرشاد، وله كذلك النصائح التسع في السلوك والإرشاد، وقد جمع خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم تعريفاً بقدره الشريف.

انتقل الشيخ المكاشفي إلى رحمة مولاه عام ١٩٦٠م في قرية الشكينيبة ودفن جوار مسجده.

٣٨ - عبيد حاج الأمين

كلية غردون التذكارية صرح من أجل أن يتذكر الناس غردون، ولكن انقلب السحر على الساحر، فأصبح الناس يتذكرون هؤلاء، كم هائل منهم،إستفادوا من هذه العطية، التى لم يعطنا لها الإنجليز حُباً وكرامة.

من هؤلاء عبيد حاج الامين، ولد بأم درمان ووالده من الهاشماب، درس مراحله الدراسية بأم درمان، دخل كلية غردون، ونتيجه لإتجاهاته السياسية تم فصله من كلية غردون، ثم ذهب إلى عطبرة حيث عمل في وظيفة مفتش تحت التمرين في السكك الحديدية، ولكنه ترك قلبه في أم درمان، وذهب بجسده إلى الشمال، وكانت العيون ترصده، فتعرض إلى مضايقات فترك العمل، ثم جاء أم درمان، حيث قلبه النابض، وعمل في مصلحة السجون، ثم بعد ذلك غاص في عالم آخر، مصلحة البريد والبرق، قسم الترجمة، كانت تعج بالمعلومات كأنها العم قوقل، كان عبيد يتكلم مثل ما يتكلم الإنجليز، ولكن لا يفكر مثل ما يفكرون، بل له تفكير آخر، وأصدقاء آخرون، عرفات محمد عبدالله، محجوب عثمان، صالح بطرس، سليمان كشه، أحمد عثمان، هؤلاء هم في خاطره دائماً، أصدقاء العمر.

أتى العام ١٩٢٠م، وهنالك مدينة أمدرمان، ترقد غير بعيدة عن النيل، وتنتظر عملاً ما، أصبحت مصطلحات الطائفية وتوابعها، خارج نطاق الخدمة "وهيكلاً تبعتهُ الناسُ في سرفٍ...كالسامرى بلا عقلٍ ولا دين" كما قال البنا.

ظهر هؤلاء (الأفندية) خريجو كلية غردون في هذه الظروف، نشأت جمعية الإتحاد السوداني، وعبيد قائدها ومفكرها والدينمو المحرك لها، وكان من أبرز أعضائها توفيق صالح جبريل، محي الدين جمال أبوسيف، سليمان كشة وإبراهيم بدري وتعتمد على العمل السري وإسلوب المنشورات .

و بدأ الصراع المستتر بين مصر وبريطانيا يظهر بسفور، كان المثقفون قلوبهم مع مصر، والجمعية ترسل بعض أعضائها للدراسة في مصر، ومع إتساع الوعي القومي، وهبوب رياح الثورات العربية خاصة في مصر، لم يعد النشاط السري كافياً، الجمعية نفسها لم تكن متماسكة الذرات، فبعضها رمال تسفيه الرياح، والآخر طمي يحمل الخير والنماء، فنشب صراع بين من يدعو إلى السرية، ومن يدعو إلى العلنية، على أن المخابرات البريطانية هي من صبت الماء في ذرات الرمل والطمي، فجعلت كل ذرة تذهب في اتجاه، فكان انقسام الجمعية، وظهور جمعية اللواء الأبيض.

على أن هذا الإنقسام خير لهم، ولسان حالهم كأنه يشكر المخابرات البريطانية، هنا بدأ عبيد في توسيع الجمعية، والتي عرفت باللواء الأبيض، واتصل بعلي عبداللطيف، وأصبح رئيساً للجمعية، وعضوية صالح عبدالقادر وحسن صالح المطبعجي وحسين شريف، كان لدخول علي عبداللطيف شحنة معنوية هائلة داخل الجمعية.

عمل عبيد على تنظيم الجمعية، وخبرها قد إنتشر في الإقاليم، إنتشار النار في الهشيم، وهو يعمل على تنظيم الأقاليم، وجعل لكل مركز من الأقاليم رئيساً، وهذا الرئيس يجمع الإشتراكات ويرسلها المركز.

بدأت الجمعية جانباً مهماً من جوانبها، وهو جانب المنشورات، أين المطبعة؟ هنالك عبدالله خليل موجود، لقد أهداهم المطبعة، ليس هذا فحسب، ولكن معها قبل ذلك إنسان بلحم وشحم، هو علي عبداللطيف كما فى بعض الروايات، والمنشورات تلك توزع في المناسبات الإجتماعية، ولها فعل السحر وسط المواطنين، خاصه الطبقة الوسطى، ومن المفارقات أن هذه المنشورات كانت ترمى وسط مكاتب الإنجليز.

العام ١٩٢٤م له أحداث مهمة في تاريخ السودان، حيث قامت جمعية اللواء الابيض منتصبة القوام، ولدت باسنانها، كانت هذه الأسنان عصية على الجميع، تقطع وتتطحن في آن واحد، حَرَّكت جمعية اللواء الأبيض الأحداث بعد ذلك في السودان، قامت أول مظاهرة في السودان بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٢٤م ثم مظاهرة، بعد يومين من ذلك التاريخ، ثم مظاهرة أخرى، بعد خمسون يوماً من تلك المظاهرة، حيث خرج طلبة الكلية الحربية، وتوجهوا إلى منزل علي عبد اللطيف، وأدوا له التحية العسكرية، والمظاهرات تبدأ بمتوالية عددية ثم تتحول إلى متوالية هندسية.

بعد ذلك تم إعدام ثلاثة ضباط، وشكلت محاكمات علنية لمحاكمة قادة اللواء الأبيض، علي عبد اللطيف وعبيد، وقد أفحم محاكميه وبالصوت العالي، وقد قال لهم: " أنكم تستطيعون أن تحاكموني ... لكنكم لن تستطيعوا الحكم عليّ ... فإن هذا للشعب وللتاريخ " وكان (مصنع التعليب) جاهز لكل حكم، وتم نفيهم إلى واو في بحر الغزال، وظل في السجن حتى وفاته في ١٩٣٢ موتم دفنه هنالك.

٣٩ - بابكر بدري

ولد الشيخ بابكر بدري عام ١٨٦٣م بقرية قنفيذ بمنطقة أبي حمد، وهي أحد جزر الرباطاب، وأحاطت به الشدائد منذ ميلاده، فأبويه كانا فقيرين في الأرزاق والعلم، وبعد حوالي خمس سنين من ميلاده، حصلت مجاعة عامة، ثم بعد ذلك انتقلت الأسره إلى مدينة رفاعة.

ثم بدأ في مدينة رفاعة ينال حظه من التعليم، تعلم أنت أيها الشيخ، نل أي قسطٍ من العلم، حتى تتجه نحو المعركة المفروضة عليك، ليس فيها (سيف ولا رمح) ولكن (قرطاس وقلم).

التعليم السائد آنذاك تعليم ديني، وعماده هي الخلاوي المنتشرة في أرجاء المعمورة، فقد دخل أولاً خلوة القاضي الطيب برفاعة، ثم بعدها تحول إلى خلوة الفقيه أحمد حامد الشهير بالكراس، حيث استمر في هذه الخلوة حتى وفاة الكراس، ثم حفظ القرآن الكريم، وعمل بقراءة العلم على الفقيه يوسف أحمد نعمة "وقد أثرت عليه تربية والدته تأثيراً شديداً، بدرجة لم يقارن بها أثر والده عليه" كما قال في كتاب حياتي، حيث أن حياته (بوفيه مفتوح) فيه كل الأطعمة، لم يحوج أي باحث ليكتب عنه شيئاً، دلته أمه على الفكي الإزيرق بمدني، حيث قرأ عليه السنوسنية، الجزرية والعزية.

ننقل مسرح الأحداث من بحر أزرق لبحر أبيض، هنالك في الجزيره أبا ظهر محمد أحمد المهدي، وأحدث إنقلاباً هائلاً في تركيبة المجتمع السوداني، آمن به بابكر، وشارك في فتح الخرطوم، وبعد وفاة المهدي واصل إخلاصه للخليفة عبدالله، حيث سار في حملة ود النجومي، تم أسره بمصر في سنة ١٨٨٩م وعاد إلى صرص سنة ١٨٩١م.

بدأت الإستعدادات لأم المعارك معركة كرري، حارب فيها بابكر بدري، وهو من القله التي أنجاها الله سبحانه وتعالى، كان حزيناً، ولكن لا تحزن أيها الشيخ خسرت معركة، ولم تخسر الحرب، هنالك حرب أخرى سوف تنتصر فيها، معركة تعليم المرأة السودانية، وأنت رائدها، ولكن لا نخرج من كرري كثيراً، فقد أبيحت أمدرمان ثلاثة أيام للجنود ماذا قال "قاسينا متاعب كثيرة في أيام إباحة المدينة الثلاثة للعسكر، حيث كانوا يدخلون المنازل فيأخذون وياكلون منها كل ما رأته عيونهم، ووصلت إليه يدهم، ومن عارض فلا نعلم ما يحل عليه"

وبعد نهاية دولة المهدية، رجع الشيخ بابكر بدري لمدينة رفاعة، واتجه بتفكيره من التجارة إلى التعليم، فتح الإنجليز مدرسة لتعليم الأولاد برفاعة، والناس هنالك يرفضون إدخال ابنائهم إلى هذه المدرسة، وعين بابكر بدري ناظراً لها في عام ١٩٠٣م وبذلك صار أول من أوقد شمعة للتعليم برفاعة، تعلم في هذه المدرسة علماء أجلاء منهم الشيخ لطفي، والشاعر عبدالله عمر البنا، وذاعت شهرة مدرسة بابكر بدري، ونجاح تلاميذها الذين دخلوا كلية غردون في قسم المعلمين وقسم القضاء الشرعي.

نأتي الآن إلى قصة تعليم المرأة السودانية، في عام ١٩٠٤م طلب بابكر بدري من نائب مدير المعارف كروفورت طلب منه أن يفتح مدرسة لتعليم المرأة، فضربه على كتفه وقال له

"انت مجنون" ولو زاد الزمن، (شوية) لرد عليه المبدع صديق كحلاوي "إن شاء الله أجن ... وأزيد في الجن وإنتو يا أحباب جنو...".

ثم كرر الطلب عام ١٩٠٦م حيث يوجد في بيته إحدى عشرة بنتاً، منهن تسع من بناته، وقد طالب بابكر بدري بمبلغ عشر جنيهات لفتح المدرسة، ثم أرسل له كري مدير المعارف خطاباً فحواه أنه إذا أراد أن يفتح مدرسة في بيته الخاص، ومن ماله الخاص، فلا مانع لديه، وهكذا نال أول تصريح لفتح أول مدرسة لتعليم المرأة في السودان.

ثم بعد ذلك بدأت المعركة بين التقاليد البالية والتجديد، لك الله يا بابكر، كانت المرأة لا تخرج كما كان يقال إلا مرتين: عروس تزف إلى زوجها، أو جثة محمولة على نعشها إلى قبرها.

كان بابكر بدري يدرس بنفسه العربي، الحساب، القرآن الكريم والدين وطريقة تعليم البنت في غاية الصعوبة، فاذا تم (نهرها) فإنها تبكي مسافة نصف ساعة.

أما المدرسة فكانت في بيت تم إيجاره مخصوصاً لها، ثم بعد ذلك انتقلت المدرسة بالقرب من مدرسة الأولاد، وحتى لا تكون هنالك ثغرة، جعل بين المدرستين سوراً له باب، ويخالف بين وقت دخول الأولاد، قبل دخول البنات.

على أن العائد المادى لم يكن هم بابكر بدري، فقد رفض زيادة راتبه حينما ألمح له جيمس كري بذلك.

هؤلاء هم البسطاء، يعيشون من أجل غيرهم، لا هم لهم إلا إسعاد الآخرين.

ثم واصل في هذا النهج، واقتحم الصعاب حتى المدارس الثانوية كان له فيها رأي، جامعة الأحفاد منارة في تاريخ السودان، تتوسط مدينة أمدرمان على مرمى حجر منها نادي المريخ، أما الند الآخر نادي الهلال فيتوهج بالقرب منها. بدأت بمدرسة الأحفاد الثانوية، وكانت فكرة في رأسه نفذت في عهد ابنه يوسف بدري، مما جعل الدكتور الطاهر عبدالرحمن يقول ليوسف بدري: "الإمبراطورية عبر حكمها للسودان قرابة الخمسين عاماً انشأت مدرسه ثانوية واحدة، ويأتي هذا الإفريقي المسن الضئيل الجسم، فيتحدى سياستها المخططة للتعليم بانشاء رصيفة لها".

وبابكر بدري معلم ذو خلق رفيع، وقدوة حسنة في سيره وسلوكه، وصاحب عزيمة وسعة صدر وحلم نادر، بجانب نشاطه التعليمي، نجد له عدة أنشطة مختلفة، فقد ألف كتاب حياتي، وهو من ثلاثه أجزاء، وأورد فيه سيرة حياته "كان فتحاً جديداً في الفكر السوداني، لقد كشف فيه بابكر بدري عن حياته، وقدم اعترافات تضع هذا الكتاب في مصاف كتاب جان جاك روسو، وكتاب القديس أوغستين" كما قال شيخنا محجوب باشري.

و له مؤلفات أخرى مثل الأمثال السودانية وكتاب المطالعة الوطنية وكتب منظومة في التربية.

كانت وفاة بابكر بدري في ٤ يوليو ١٩٥٤م.

٤٠ - علي الميرغني

إذا ذكر عبدالرحمن المهدي، يذكر علي الميرغني، هم على طرفي نقيض في السياسة والحكم، ولكن مع ذلك لهم من المودة والإخوة ما لا يوصف.

هو علي بن محمد عثمان الأقرب بن الحسن بن محمد عثمان الميرغني الختم.

ولد حوالي عام ١٨٨٠م في جزيرة مساوي في شمال السودان، ثم انتقل مع والده إلى مدينة كسلا، وبقيّ في مدينة كسلا حتى أن تمكن الأنصار من مهاجمتها، وخرج بعد تلك المعركه إلى مصوع ثم سواكن.

درس المرحلة الأولية في مدينة كسلا، ثم بعد ذلك نهل من العلوم الإسلامية على يد عمه محمد عثمان تاج السر، ثم قام والده بزيارة مصر، وتُوفيّ بها، وأصبح له قبر يزوره الصوفية. ذهب السيد علي إلى مصر أيام الثورة المهدية، ولكنه اختلف مع الأزهر، وتوسع في القراية والكتابة.

كان الشرق بالنسبة للمهدية مشكلة كبرى، رغم وجود البطل الخالد عثمان دقنة، حيث سقطت طوكر عام ١٨٩١م ثم سقطت كسلا عام ١٨٩٦م وفي تلك الفترة عاد السيد علي إلى سواكن ثم كسلا ثم الخرطوم عام ١٩٠١م.

بدأت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ -١٩١٨م كانت تمثل بدايات نمو الحركة الوطنية، حيث مثل العام ١٩١٩م نقطة انطلاق مهمة في حياة السيد علي الميرغني، إذ عُرف هذا العام بعام الوفد، إذ سافر فيه وفد رفيع المستوى بقيادة السيد علي الميرغني إلى بريطانيا، لتهنئة ملكها الملك جورج الخامس بإنتصار بريطانيا في الحرب العالمية الأولى.

وضم الوفد كل من السيد علي الميرغني، السيد عبدالرحمن المهدي، الشريف يوسف الهندي، والزعماء الدينيين بالسودان، الشيخ الطيب أحمد هاشم مفتي السودان، الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم رئيس مجلس العلماء، السيد إسماعيل الأزهري قاضي مديرية دارفور بالنيابة عن مسؤولي المحكمة الشرعية، والشيخ علي التوم ناظر الكبابيش، والشيخ إبراهيم موسى ناظر الهدندوة، وشيخ إبراهيم محمد فرح ناظر الجعليين، وشيخ عوض الكريم أبو سن نائب ناظر الشكرية بالنيابة عن نظار الإدارة الأهلية لحكومة السودان، حيث ذهبوا إلى قصر بكنغهام، حيث قدموا للملك جورج الخامس خطاب تهنئة بمناسبة إنتهاء الحرب بنصر بريطانيا، ويرافق الوفد السوداني كل من اللواء السير ريجيلاند ونجت، والمشير لورد قرينفيل، والسير إيدقارد بيرنارد، واستقبل الوفد في القصر أولاً لورد كرومر، والذي أخذهم لمقابلة الملك والملكة، وألقى رئيس وفد الزعماء السودانيين كلمة باللغة العربية، تولى ترجمتها للإنجليزية السير ونجت.

قامت ثورة ١٩٢٤م بقيادة علي عبد اللطيف والقوى الحديثة في السودان، ولكن الشخصيات التقليدية لم تكن على وفاق مع هذه القوى الحديثة، وأصدر مع السيد عبد الرحمن المهدي والشريف يوسف الهندي جريدة حضارة السودان.

تمكن الإنجليز من قمع ثورة ١٩٢٤م وهنالك شدة في قمعها، ومحاكمات عسكرية، جعلت السياسة في السودان تدخل في عطلة شبه رسمية، والإتجاه نحو الأدب.

ثم قام مؤتمر الخريجين ١٩٣٨م وأنشق على نفسه، ومن هذا الإنشقاق قامت الأحزاب السياسية، ومن أبرزها حزب الأشقاء، وهم جماعة بمجلس السيد عبد الرحمن، وحدث بينهم خلاف، وعلى إثر هذا الخلاف إجتمع تسعة منهم، وكونوا حزب الأشقاء، ورئيسه السيد إسماعيل الأزهري، وحظي بتأييد طائفة الختمية، ومرشدها السيد علي الميرغني .

في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قامت ثورة الضباط الأحرار في مصر، وتمكنت من تجميع الأحزاب الإتحادية في حزب، واحد أطلق عليه الحزب الوطني الإتحادي، ثم عقدت إتفاقية الحكم الذاتي، وتقرير المصير في ١٢ فبراير ١٩٥٣م والتي أفضت إلى قيام إنتخابات، اكتسحها الحزب الوطني، وشكل إسماعيل الأزهري أول حكومة وطنية ،وظهرت رغبة السودانيين في إختيار الإستقلال التام، وأعلن البرلمان السوداني في جلسة تاريخية، إستقلال السودان من داخل البرلمان، في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥م واحتفل بالإستقلال في الأول من يناير ١٩٥٦م، وفي صباح ذلك اليوم جلس السيد علي الميرغني في مقعد مجاور للسيد عبدالرحمن المهدي، ليشهدا رفع علم السودان على سرايا القصر الجمهوري، وقد رفع العلم السيد إسماعيل الازهري، والسيد محمد أحمد المحجوب زعيم المعارضة.

وله دور في تحقيق الاستقلال، وقد شهد له الأزهري بذلك، وقال قولته المشهورة: "ولولا الأسد الرابض في حلة خوجلي، لما تحقق الإستقلال".

أدى التقارب بين السيدين عام ١٩٥٦م إلى الإطاحة بحكومة الأزهري، وإنشقاق الحزب الوطني، وخروج طائفة الختمية، وتكوينهم لحزب الشعب الديمقراطي.

ثم حصل اندماج آخر، وذلك في عام ١٩٦٧م مع حزب الشعب الديمقراطي، فتؤخذ كلمة (الإتحادي) من الحزب الوطني الإتحادي، وكلمة (الديمقراطي) من حزب الشعب الديمقراطي، فيصبح الأسم الجديد الحزب الإتحادي الديمقراطي، وذلك اقتراح تقدم به الملك الراحل فيصل ملك المملكة العربية السعودية، لكل من الأزهري ومحمد عثمان الميرغني، عند وصوله إلى الخرطوم للمشاركه في مؤتمر القمة العربي عام ١٩٦٧م ، وبعد موافقة الأزهري ومحمد عثمان على ذلك، أصر الملك فيصل على الذهاب لزيارة السيد علي الميرغني في داره وقال: "لا يعقل أن نأتي إلى الخرطوم ولا نذهب للسلام على السيد علي" وفي دار السيد علي بالخرطوم، أعلن الزعيم الأزهري مولد الحزب الجديد، وقال مقولته الشهيرة: "اليوم حزبان قبرا، الوطني الإتحادي والشعب الديمقراطي"، معلناً بذلك البداية الحقيقية لوحدة الحزب الإتحادي الديمقراطي، وذلك عام١٩٦٧م.

حجبتنا السياسة ورسومها المختلفة عن التحدث عن شخصيته، فهو صاحب معرفة في كل العلوم، وله مكتبة نادرة، وقد جمع بين التصوف والورع والزهد.
تُوفيّ عام ١٩٦٨م ودفن بمسجده بالخرطوم بحري وسار في جنازته خلق كثير.

٤١ - عبدالرحمن المهدي

راعي إستقلال السودان، ماذا نقول عنه؟ ومن أين نبدأ، أنيروا لي الطريق، ولو بشمعه، فالحديث ذو شجون، ولكن مهلاً، ألا ندخل في ميلاده؟

نعم هو عبد الرحمن محمد أحمد المهدي، ولد بأم درمان بعد وفاة والده الإمام محمد أحمد المهدي ببضعة أسابيع، وذلك عام ١٨٨٥م. حفظ القرآن الكريم في سن باكرة، في السادسة من عمره، عاش في بيئه إجتماعيه فريده، وتلك البيئه تفضل الإستشهاد في سبيل الله.

وله علاقة جيدة مع الخليفة عبدالله، إذ كان قبل معركة كرري بسنتين يتردد على مجلس الخليفة، وعبدالرحمن أكبر سناً من أخيه علي، أما محمد والفاضل وبشرى فقد كانوا أكبر منهما، ولم يكونوا ابناء أم واحده، حيث كانت أمه مقبوله بنت الأمير نورين تحدب على الكل، ولعمري تلك صفات الصالحين.

ثم بعد ذلك دارت معركة كرري، لقد أصابت الثورة المهدية الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس في مقتل، وأرادت الإنتقام لكبريائها، ولذلك أعدت هذه الحملة الكبرى "لم نهزمهم ولكن حطمناهم بقوة الآلة"! على حسب قول تشرتشل.

بعد هزيمة كرري قرر الخليفة عبدالله الإنسحاب التكتيكي نحو الغرب، فخرج هو في المجموعة الأولى، أمّا المجموعة الثانية بقيادة الخليفة شريف، قرروا الذهاب إلى الجزيرة أبا، قبض عليهم، وارسلوا إلى حلفا، ثم أطلق سراحهم في أوائل عام ١٨٩٩م ثم سمحت لهم بالإقامة الجبرية في قرية الشكابة، على النيل الأزرق جنوب مدني، حتي تتمكن من مراقبتهم، وتقاطر عليهم عدد من الأنصار، وادى هذا إلى إنزعاج الحكومة، وقد ذكر الرائد عصمت زلفو في كتابه الرائع كرري الكثير من الأحداث المهمة.

في صباح يوم ٢٧ اغسطس ١٨٩٩م وصل جنود الإحتلال قرية الشكابة، وتم القبض على الخليفة شريف، والفاضل وبشرى، وحاول الأنصار فك أسرهم، وقاوموا الاعداء، ثم أطلق جنود الإحتلال نيرانهم على الأنصار، فسقط ١٧ شهيداً، ثم جرت محاكمات عسكرية سريعة، وتم إعدام الخليفة شريف والفاضل وبشرى رمياً بالرصاص.

وهنا نجيُّ إلى مصير ذلك اليافع ذو الأربعة عشر عاماً السيد عبدالرحمن، فقد خرجت أمه تصيح بالجنود:" لقد قتلتم أخوانه ...هذا ود المهدي فأقتلوه مع أخوانه" فقام أحد الجنود بإطلاق النار عليه، حيث أصيب إصابة خطيرة، ورفضت الحكومة إرساله إلى سنار مع الجرحى لتلقي العلاج، خوفاً من تحمل المسؤولية.

حددت سلطات الإحتلال إقامته مع أمه في الشكابة وجزيرة الفيل لمدة تسع سنوات، بعد ذلك سمح له بالحضور لأمدرمان، وكان يحضر مجلس الشيخ محمد البدوي، وإستقر في أم درمان. فى عام ١٩٠٨م سمحت له الإدارة بزراعة أراضي المهدي في الجزيره أبا، وعاونه

أنصاره. توسعت أعماله التجارية بعد عام ١٩١٨م حيث أصبح يمتلك نفوذاً إقتصادياً، وأنشأ دائرة المهدي الإقتصادية، وصرف عائدها المادي على أسرته، والحركة الوطنية.

لم تكن الحرب كلها شراً، فقد ظهرت بعض القيادات السياسية، ومنها السيد عبدالرحمن الذي ظهر نجمه في فترة الحرب العالمية الأولى، وهو ضمن الوفد الذي سافر إلى بريطانيا لتهنئتها بالإنتصار في الحرب.

نتقدم مع الأحداث، نحن الآن في عام ١٩٢٤م وثورتها الشهيره، أين السيد عبد الرحمن من تلك الأحداث؟ وهو يكره العنف حتى لو كان من ذوي القربى، كما أن ثورة ١٩٢٤م تخوض حتي اللجة في البحور المصرية، كما أن قادة حركة ١٩٢٤م كانوا يمثلون وجوه لها أقنعة، إختلطت كثيراً علي السيد عبد الرحمن، ولكل هذه الأسباب لم يكن للسيد عبدالرحمن دور في ثورة ١٩٢٤م.

بعد أحداث ١٩٢٤م دخلت البلاد في مرحلة جديدة، والسياسة في تلك الفتره تلبس ثوباً محتشماً لدرجة بعيدة، أمّا الحركة الأدبية فكان ثوبها سافراً، وذلك تخوفاً من الإنجليز، فقد حاول الإنجليز تنمية ثروة السيد عبد الرحمن حتى ينشغل عن أتباعه، ولكنه لم يبتلع طعم الإنجليز، فحاز على الإثنين معاً، على أن الإنجليز يعرفون الدهاليز جيداً، فلكل فترة مرحلة، فقد إتبعت الحكومة في عام ١٩٣٥م سياسة معادية له، منع بها من توسيع مشاريعه الزراعية، حتى تقل ثروته ويقل أتباعه.

عام ١٩٣٦م مليء بالاحداث ولعل أشهرها معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا والسودان وليس بعيد منها. وقد سافر عبد الرحمن إلى بريطانيا، للإستفسار عن معنى الرفاهية، وتحقيقها للسودانيين، وقد قيل له أن الرفاهية تعني: الرقي المادي والأدبي في جميع جوانب الحياة، فرد عليهم قائلاً: "إذا لم تبلغ الرفاهية في تفسيرها بالإنسان مرتبة الحرية والإستقلال، فإنها لا تختلف كثيراً عن رفاهية الحيوان"

وله دور في الحرب العالمية الثانية، ففي عام ١٩٤٠م لم يبخل على الحلفاء إذ قدم بعض الهدايا لجنودهم، ثم نشأ مؤتمر الخريجين، إلا أنّ الخلافات عصفت به عام ١٩٤٢م وأدت إلى إنقسامه، ورفعت بعض الشعارات منها السودان للسودانيين، ونادى بها حزب الأمة تحت رعاية السيد عبد الرحمن المهدي، ثم رفع حزب الأشقاء شعار (وحدة وادي النيل) بزعامة إسماعيل الأزهري.

في عام ١٩٥٣م سافر السيد عبدالرحمن المهدي إلى القاهرة، وتم لقاء بينه وبين رئيس مصر أنذاك محمد نجيب، وتوصل معه إلى إتفاق رضيت به الأحزاب في السودان، وأهم نصوصه، إقامة حكم ذاتي في السودان لفترة إنتقال، مدتها ثلاث سنوات، ومنح حق تقرير المصير للسودانيين.

لقد كان الطريق لإستقلال السودان مفروشاً بالورد والرياحين، فليس هنالك صعوبة في الإتفاق بين السيد عبدالرحمن والزعيم إسماعيل الازهري، فقد تم ذلك، وتم إستقلال السودان في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦م من داخل البرلمان، وتم الجلاء في ١ يناير ١٩٥٦م.

استمرت فترة الديمقراطية الأولى حتى ١٩٥٨م وبعدها استولى العسكر على السلطة، بزعامة الفريق إبراهيم عبود، ولم يعارض السيد عبدالرحمن إستيلاء الجيش على السلطة. في ٢٤ مارس من عام ١٩٥٩م انتقل السيد عبد الرحمن المهدي إلى رحمة مولاه.ودفن جثمانه بقبة الإمام محمد أحمد المهدي بأمدرمان، وخلفه ابنه الصديق المهدي.

٤٢ - يوسف الهندي

هنالك في السودان ثلاثة سادات، أما الأولين في أيدهما جميع السلطة الدينية والسياسية، أما ثالث الثلاثة فهو أسد في البراري، مرابط في سرارياه، زاهداً عن كل شيء من متاع الحياة الدنيا.

هو الشريف يوسف بن محمد الأمين بن يوسف بن أحمد بن زين العابدين بن حمد بنآدم بن محمد، الشهير بالهندي، ينتمي نسبه إلى الأشراف، وهم من ينتسبون إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) من ابنته السيدة فاطمة. ويقال أن لقب الهندي أتى إلى الشريف يوسف من مرضعة جده، والتي هي هندية الأصل.

تزوج الشريف محمد الأمين في منطقة السروراب، ثم ارتحل بزوجته إلى حلة الشريف يعقوب، وهنالك أنجبت له الشريف يوسف، وكان ذلك حوالي عام ١٨٦٩م، شب الشريف يوسف في حضن والده، وارتحل به والده إلى نواره.

في هذه الفتره ظهرت دعوة محمد أحمد المهدي، تنتشر في كل أرجاء المعمورة، وقد حاول محمد أحمد مقابلة الزعماء الدينيين البارزين في السودان، ومن ضمنهم الشريف محمد الأمين، وقد تم اللقاء بينهم في مدينة الأبيض، وبعد أن تم اللقاء بينهما إنتقل الشريف محمد الأمين إلى رحمة مولاه، وذلك في مدينة الرهد، وصلى عليه الإمام المهدي، ودفن هنالك. وترك من الأبناء بجانب الشريف يوسف، أحمد وعلي الذي أشتشهد في إحدى معارك المهدية.

هنالك في نوارة التي بها عدد من الخلاوي، كانت منطقة إشعاع ديني، حفظ القرآن الكريم على يد والده، ومكث هنالك سبع سنوات يتعلم فيها العلوم المختلفة، وحينما غادر والده إلى الرهد في تلك الرحلة المذكورة، رجع الشريف إلى أهله في حلة الشريف يعقوب، ثم استقر في قريه تدعى الدناقله، وهي قرية تقع بالقرب من قرية نوارة.

بعد تحرير الخرطوم واستيلاء الإمام المهدي عليها، أرسل في طلب الشريف يوسف، كما أرسل في طلب والده من قبل، وأكرم وفادته، وبعد وفاة أخيه علي قلده المهدي إمارة الأشراف، وكان هو صغير في العمر آنذاك، إذ لم يتجاوز العشرون عاماً.

على أنه بعد ذلك ذهب لأداء فريضة الحج عن طريق مصر، حيث نزل عند الزبير باشا، والذي كان محتجزاً في مصر من قبل الخديوي إسماعيل باشا، فإشتم الزبير رائحة الدعاش التي ذكرته بالسودان.

ثم وصل الحجاز فأكرمه أمير الحرم النبوي، وتعرف على بعض العلماء، ومنهم محمد السنوسني حيث خلط عدداً من الأفكار المختلفة، ثم زار بيت المقدس، وقبور الأنبياء هنالك، ومقام سيدنا إبراهيم في مدينة الخليل. ثم بعد ذلك وفي طريق الرجوع، وأيضاً عن طريق مصر، حيث زار طور سيناء ومكث فيه بضعة أيام.

ثم حل بحلة حمد، وأخذ في تأسيس القرى وحفر الأبار، وزرع الأراضي، وحث الناس على هذه الأشياء دعماً لإستقرارهم، وراحتهم فالإقتصاد هو عصب الحياة، عمل على إيقاد نار القرآن الكريم فى تلك المنطقة.

إجتمع عليه الناس زرافات ووحداناً، وأسس عدداً من القرى على نهر الرهد، ومن أشهرها قرية الحريز، وفي هذه القرية ألف أشهر وأهم كتبه الدينية، كالمدائح والموالد وكتاب النصيحة في الدين.

في ١٩٠٥م اتهمه سلطان الحكم الثنائي بتكوين حركة جهادية، وهنالك حركات صغيرة مثل الإعصار تظهر سريعاً ثم تختفي، رويداً رويدا، وتحاول أن تجد لها مصطلحات جديدة، حتى تلبث ثوب الحداثة، ومن تلك المصطلحات (العيسويه) وتخوفت الحكومة من أن هذا الإعصار، قد يتحول إلى رياح مدمرة، لا تذر ولا تبقي على شيء. تمت محاكمته وسجنه لمدة ست أشهر، ولما تكاثر إليه وفود المحبين والمريدين، إستبدل السجن بتحديد الإقامة، وترك له حرية تحديد الموقع فإختار بري.

في عام ١٩١٩م سافر مع السيدين الميرغني والمهدي وشخصيات أخرى إلى بريطانيا، في وفد التهنئة بالنصر في الحرب، والوفد يضم شخصيات أخرى. فى ١٩٢٤م سافر إلى الحجاز، وحج حجته الثانية والأخيرة، ومكث فيها ثمانية أشهر، وله علاقات وطيدة مع الشريف حسين شريف مكة.

هنالك حرب (ام سككونه) بين الشريف حسين، وعبدالعزيز بن سعود، ويقال أنه أقنع الشريف حسين بالتنازل عن العرش لعبدالعزيز، ويقال أنه قد قال للشريف "الملك بيد الله يوليه من يشاء.. وملككم يا شريف إنتهى" وقد تم ذلك فعلاً، وإذا صحت هذه العبارة فإنها توضح أنه كان سياسياً محنكاً، ويقرأ الأحداث قراءة صحيحة.

وله نحو عشرون كتابًا، معظمها في السيرة والمدائح النبوية والفقه والعبادات والأوراد.

ثم بعد ذلك أتت النهاية وذلك بتاريخ ١٩٤٢م .

٤٣ - حسين شريف

الضيف العزيز يحمع بين الشرف الباذخ، والمجد المؤثل. ولد وفي يده ملعقة من ذهب، وفي الأخرى قلم ماسي، لو جلس في السرايا لأتاه كل ما يطلبه، ولكنه خرج إلى هذه الحياة، وأصبح أول صحفي سوداني.

ولد حسين محمد شريف حامد في مدينة أمدرمان، عام ١٨٨٦م هو أبن خليفة المهدي الرابع، والدته هي السيدة زينب ابنة الإمام المهدي، تزامن ميلاده وميلاد خاله الإمام عبدالرحمن المهدي في وقت واحد، درس بأمدرمان علومه الأولية، ثم حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافره، لم تكن هنالك أية صعوبة في دخول كلية غردون، وتخرج بتاريخ ١٩١٣م على أنه وهو في هذه السن كتب المقالات الصحفية، فنشرت له صحيفة الرائد عدداً من المقالات الصحفية تحت توقيع (ح) ثم بعد ذلك أصبح أول صحفي سوداني يستنطق هذا القلم، ومنذ أن كان (ح) له قلم مطواع يوجهه أي إتجاه فيتجه.

كان حسين أول من بادر بإنشاء دار تجمع الخريجين السودانيين في نادٍ يحمل إسمهم، وذلك عام ١٩١١م وتابع ذلك الطلب حتى تمت الموافقة عليه عام ١٩١٧م وأنتخب أول رئيس له، وهو أول من إبتدع فكرة الصندوق الأهلي لدعم التعليم. وبعد التخرج عمل مدرساً بكلية غردون، واهتم بالصحافة العالمية والعربية، حيث عمل على الكتابة فيها حتى يعكس أفكاره حول قضايا السودان المختلفة. عمل بصحيفة الرائد، وأطلق شعاره "شعب بلا جريدة كقلب بلا لسان" لم يكن الشعار الذي يحمله هو لافتة مضيئة، يحمله ويطوف به أرجاء أمدرمان المختلفة، ولكنه من أجل التطبيق على الواقع.

مع بواكير القرن العشرون هنالك صحيفة (السودان) ولكنه لم يكن للسودان حظ منها، إلا هذه الحروف السبعة، فهي لبعض اللبنانيين و (سودان هيرالد) لبعض اليونانيين، ويظل الحال كما عليه قلب بلا لسان.

التحق بصحيفة الحضارة، كأنه جمال الدين الأفغاني هنالك بدقن ممشوقه يصدر (العروة الوثقى) فترتجف الإمبراطورية من جزرها حتى جزر الفوكلاند، كان القلب ينبض واللسان ينطق، حيث واصل مقالاته حول القضايا الإجتماعية والسياسية المختلفة، ويبدو أن حركة اللسان أكثر من اللازم، فلم تتملك الحكومة أعصابها، وتم نفيه إلى منجلا بجنوب السودان.
أيها الحسين أنقش هذا العام ١٩١٩م بحروف من نور على قلبك، هل نبدأ من الجريدة أم من الوفد، دع الساعي يكون بالقرب منا، فلنلحق بالباخرة، وهو ضمن الوفد الذى سافر إلى بريطانيا، لتهنئة ملكها الملك جورج الخامس بإنتصار بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، حيث منح بعض النياشين والأوسمه تقديراً لدوره.

وله دور في تكوين شركة سودانية لإصدار أول صحيفة سودانية الملكيه، وذلك المولود هو حضارة السودان، حيث تولى حسين رئاسة تحريرها، فقد كان هذا القلم يسرح ويمرح

لخدمة القضايا الاجتماعية وقضايا المرأة السودانية، لم يكن زعماء السودان الثلاثة بعيدين عن تلك الصحيفة، حيث اشتركوا في تمويلها والدعاية لها. فقد كان الإنجليز متخوفين من الصحيفة وحسين والثلاثة( ).

هنالك كلمة عصية النطق تحتاج لتركيز ذهني حتى يتم النطق بها، ويحمد لحسين أن جميع حواسه سليمه، فأول ما وردت كلمة تقرير المصير في إفتتاحية، وردت على لسانه، وفيما بعد كانت المطلب الأساسي لمؤتمر الخريجين.

وقد أوضح الإمام الصادق المهدي أن الإنجليز كانوا متوجسين من أفكاره الجرينة، ويقولون للسيد عبد الرحمن المهدى "ابن أختك دا حا يقودك لحبل المشنقة" وهنالك صداقة واحترام متبادل بين حسين وخاله السيد عبدالرحمن، وله مكانة وسط الخريجين، وحينما يأتي لنادي الخريجين يقف كل الخريجين إحتراماً له، وتقديراً لعطائه الفكري والوطني والإجتماعي.

هو أول من رفع شعار (السودان للسودانيين) وانتقل هذا الشعار إلى حزب الأمة، أما الأحزاب الإتحاديه بزعامة حزب الوطني الإتحادي فقد رفعت شعار (وحدة وادي النيل) أما عن علاقة السودان بمصر فقد قالت حفية مامون حسين حفيدته، أن رأي حسين فيها، إن الحق فيها يرجع إلى رغبة السودانيين أنفسهم، حيث يرفض حسين أن ينضوي شعب تحت سيادة شعب آخر لأنه قريبه أو نسيبه. وقال إن ذلك لن يمس الإخاء الذى يجمع بين الشعبين، وأن المصريين إخواننا، نرد مناهل العلوم منهم، ونحافظ على مصالحهم.

في عام ١٩٢٨م كان حسين يسرح بعيداً، والقلم في يديه، إلا أن هذا الصديق الدائم أفلت من يديه، لأنه رأى زائراً آخر، هذا الزائر لا يفرق بين الشاب أو الكهل، انتقل حسين إلى رحمة مولاه، ودفن في مقابر أحمد شرفي.

٤٤ - محمد سعيد العباسي

ما لي وللخمر رَقّ الكأسُ أو راقـــا
وللصّبابة تُصلي القلبَ إحراقـا؟
مضى زمانٌ تساقيْنا الهوى بهمـــا
في فتْيةٍ كرموا وَجْدًا وأشواقـا
زُهْرُ الوجوه متى سيمُوا الهوانَ لَوَوْا
سوالفًا كَصُوَى الساري وأعناقـا
صحبٌ حملتُ لواء العشق بينهـــمُ
من قبل أن يصبح العشاقُ عشّاقا
إذ ليس في المذهب العُذريّ لَوْمُ فَمٍ
أرضى فمًا ومشوقٌ ضمّ مشتاقـا
يا برقُ طالعْ رُبا الحمْرا وزهرتَهـــا
واسق المنازل غيْداقا فغيداقـــا
غيري شدا فتعالوا اليوم فاستمعوا
شعرَ النّواسيّ من تلحينِ إسْحاقا
شعرٌ هو الأدب العالي أنسّقُـــه
كالدّرّ عقدًا وكالخِيريّ أطباقـــا

تخيلت أن الزمان رجع إلى زمن سحيق، وتخيلت أن الرشيد قد ذهب من مجلس الحكم إلى مجلس السمر، وأن إسحق الموصلي يجلس بالقرب منه، وأن أبا نواس يجلس ليس على قرب، خِيفة من الرشيد، أين أنت أيها العباسي؟ لا تقول لي ليس هذا بعصرك، لو كنت هنالك لأجزل لك الرشيد العطاء، ولو حدث هذا لكانت قصيدة يوم التعليم، قد جاءت خالية من هذين البيتين

أقسمتُ لو كان لي مالٌ لكنت به
للصالحاتِ وفعلِ الخير سبّاقا
ولا رضيتُ لكم بالغيْثِ منهمـرًا
منّي ولا النيلِ دفّاعًا ودفّاقـا

هو محمد سعيد بن الشيخ محمد شريف بن الشيخ نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب مؤسس الطريقة السمانية. ينتمي إلى قبيلة الجموعية، وهي تنسب إلى قبيلة الجعلين، وإشتهروا بالفروسية والكرم.

ولد العباسي بمنطقة النيل الأبيض عام ١٨٨١م في قرية عراديب ود نور الدائم، الواقعة في منطقة النيل الأبيض شمال الجزيره أبا. ووالده الأستاذ الأول للمهدي، وشيخ الطريقة

السمانية، ويسكن في منطقة أم مرح شمال أمدرمان، ألا إن المهدي أراد من شيخه أن يسكن بالقرب منه، وحدث هذا فعلاً، أما كان البعد أريح للطرفين؟ فيكون اللقاء بينكما لماما، ولو حدث هذا لما وقع المحظور، ولما اختلف الرجلين، ولكن ما لنا ولهذه كله فلنتبع سيرة الابن. في فترة أحداث الثورة المهدية، انتقل به أبوه إلى منطقة أم مرحي شمال أمدرمان، حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم درس في عدد من الخلاوي علوم الدين المختلفة، حيث درس على شيخ الإسلام الشيخ أحمد البدوي بأمدرمان، كما درس على الشيخ زين العابدين الشيخ أبوصالح، كما ألم بقواعد اللغة العربية.

ثم بعد ذلك ذهب إلى مصر، وذلك عام ١٨٩٩م لكي يلتحق بالكلية الحربية هنالك، إلا إنه تركها بعد عامين من إلتحاقه بها، حيثيرى أن نظام الترقي من المفترض فيه أن يكون على نظام التفوق العلمي، وليس الأقدمية.

هناك في القاهره تعرف على شخصية أثرت في مجرى حياته، الشيخ عثمان زناتي معلم مادة اللغة العربية بالكلية الحربية، وجد الشيخ عثمان أن كل الصفات المرجوة موجودة في تلميذه، فالقرآن الكريم وعلم النحو والعروض كل هذه موجودة فيه، فقربه إليه دون غيره من الطلاب، وعندما تُوفيَ أستاذه عثمان رثاه العباسي بقصيدة عصماء. ثم بعد أن رجع إلى السودان، وإستزاد من العلم، حيث عمل بدراسة كتب الفقه والأدب، وذلك على يد والده الشيخ محمد شريف.

على أنه لديه حنينٌ كبير إلى مصر، حيث ذهب للمرة الثانية إلى مصر عام ١٩٠٦م لم يكن لوحده، كان يحمل كنوز الدنيا معه، وهو والده، حيث كان لا يتوانى من الإستزادة من العلم والمعرفة، وله في كل حجر ذكرى طيبة، ولسويعات قليله تحول التلميذ إلى أستاذ، والأستاذ تلميذ، حيث كان يعلم اباه معالم مصر المختلفة.

البادية كلمة تشعر النفس بالارتياح والسكون والإبداع، ألم تكن الذاكرة العربية والسودانية خصبة بالشعر والانتاج الأدبي، ألم تكن نتاج تلك هذا السكون الروحي والعفوية، يغزي الجوارج فتنطلق كأنها مارد اطلق من محبسه في وادي عبقر توا فخرج لنا بنفائس ودرر، وقد اشتهر العباسي بولعه للبادية، وحبه لها وتجواله فيها، فتأثر بأساليب البادية في شعره، فجاء شعره أشبه بشعر شعراء العرب الأقدمين.

نشر له ديوان شعر رصين بعنوان (ديوان العباسي) في عام ١٩٤٨م، متضمنًا قصائد منتقاه من حيث جمالية التعبير، وعمق المعاني، وله تصوير بديع قل أن يوجد في غيره، من حيث تصويره لجماليات الطبيعة، وما تحيط بها من أشياء مختلفة. كانت الطبيعة تتراءى امام عينيه، فيقتبس منها ما يشاء، ثم يخرج منها شعراً عزباً تسير بذكره الركبان، حتى في شعره فقد التحمت الطبيعة مع البادية، وأصبح الفكاك بينهما صعباً.

من أشهر قصائده: عهد جيرون، رثاء أبي، المؤتمر، وادي هور، رسائل الصفا، آية الفضل، النهود، ذكرى حبيب، عروس الرمال، شمس الملاح، خواطر، يوم التعليم، سدّار بين القديم والحديث، ذكريات ومليط وعدد آخر من القصائد.

كان في كامل الأناقه والوسامة والنضارة، حتى في تلك اللحظة، حيث تُوفيَ محمد سعيد العباسي عام ١٩٦٣م.

٤٥ - عبدالفضيل الماظ

له ودّ عجيب، مع من؟ وبينهما لقاء وتعارف وتآلف ومحبة، حتى حينما إستشهد كان يحتضنه، حتى في الموت، لو لك أيها المدفع قلب وإدراك، لسالت الدموع منك على هذا الفقد الجلل.

عبدالفضيل الماظ عيسى وُلدَ سنة ١٨٩٥م، أبوه من قبيلة النوير بجنوب السودان وهوجنديّ في القوة التي تم إعدادها بقيادةكيتشنر، لإنهاء دولة المهديةفي السودان .

تنقل عبدالفضيل مع والده في أنحاء السودان المختلفة، دنقلا والأبيض وتلودي بجبال النوبة، كأن اطلس السودان قد طبع على رأسه، ثم هنالك في جنوب السودان التحق بالمدرسة الأولية في مدينة واو، بمنطقة بحر الغزال في عام ١٩٠٨م، ثم بعده بعام التحق بقسم الحدادة بمدرسة الصناعات. عرف عنه منذ الصغر حبه الشديد للعسكرية، حيث يتسلل إلى الغابة المحيطة بمدينة واو، لمشاهدة التدريبات العسكرية للجنود. لعل معركة المستشفى العسكري كانت في تلك الغابة، لكنت انتصرت فيها، ولكن حسبك هذه الرجفة منهم.

ليس لك بعد الآن أن تتسلل لمشاهدة التدريبات العسكرية، فإن التدريبات العسكرية هي التي تتسلل اليك، فقد التحق عبدالفضيل بالخدمة العسكرية عام ١٩١١م وبرتبة رقيب أول، ثم ترقى إلى مساعد، في ١٩١٦م أتت له فرصه من ذهب للدخول للمدرسة الحربية، كانت هنالك توصيه قائده الإنجليزي الذي أعجب بشجاعته العسكرية. تخرج منها في ١٩١٧م، برتبة ملازم أول، وتم نقله إلى مدينة تلودى، وعمل فيها حتى عام ١٩٢٣م ثم تم نقله إلى الخرطوم.

تحركت عجلة الأحداث في عام ١٩٢٤م، وقّع عدد من القادة السودانيين عريضة ارسلت إلى بريطانيا لكي تكون وصية على السودان. ليس خط واحد بل خطان متوازيان، وعلى الخط الآخر جمعية اللواء الأبيض، حيث أرسلت عريضة ولاء لسعد زغلول، وقد حملت بواسطة شخصيتين، إلا أن الحكومة تمكنت من إعتقالهم وإعادتهم إلى الخرطوم، ومع قدومهم قامت أول مظاهرة في تاريخ السودان في ١٧ يونيو، ثم كانت المظاهرة الأعنف بعد يومين من تلك، ثم تواصلت المظاهرات، ففي ٨ أغسطس خرج طلبة الكلية الحربية في مظاهرة، وتوجهوا إلى منزل علي عبداللطيف، وأدوا له التحية العسكرية، وتم إعتقالهم.

تواصلت الأحداثُ عنيفة، أيها الضابط، فقد تم في ١٩ نوفمبر ١٩٢٤م إغتيال السير لي إستاك حاكم عموم السودان في شوارع القاهرة، من سخرية الزمن أن تطلق طلقة في القاهرة، تكون القاهرة فى حالة سكون تام، أما الخرطوم فكأنها مرجل يغلي، حيث وجهت بريطانيا إنذاراً إلى سعد زغلول، رئيس الحكومة المصرية، بسحب الجيش المصرى من السودان، في ظرف اربع وعشرون ساعة، وأرادت بريطانيا أن تنفرد بحكم السودان. رفض سعد زغلول تنفيذ الإنذار، وحينما أجبر على ذلك إستقال.

نأتي إلى أحداث ١٩٢٤م حيث رفض المصريون الإنسحاب إلا بأمر من قائدهم، وحينما أرادت الوحدات البريطانية سحب الوحدات المصرية بالقوة، آزرتهم الوحدة السودانية.

نزيح الآن الستارة عن المسرح لكي نرى معركة ١٩٢٤م ولكننا ننزوي في ركن قصي، حتى لا تصيبنا إحدى شظايا المعركة. هنالك في بداية المسرح نلمح عبدالفضيل، يقود قوة عسكرية، لم يتجاوز أفرادها مائه جندي، متجهين من الخرطوم إلى الخرطوم بحري، علمت القوة البريطانية بتحرك تلك الوحدة السودانية، وقد تحركت القوة البريطانية لكي تعترض القوة السودانية، وتمكنت من ذلك بالقرب من كبري بحري، ودارت رحى القتال هنالك، وهذه الاحداث مساء الخميس ٢٧ وصباح الجمعه ٢٨ من شهر نوفمبر ١٩٢٤م لم يكن (كرب وبلاء) في العراق فقط، ولكن أيضاً كان هنا فى الخرطوم، الجو مكفهر، لا توجد ذخيره، ليس هنالك أي دعم لوجستي من جهة ما، تفرقت القوه، هذه عملية إنتحارية، ما لنا وقتال هؤلاء، ماذا ألمح على المسرح؟ عبد الفضيل هنالك يتجه إلى المستشفى العسكري ويتجه نحو مخزن السلاح التابع للمستشفى، ويأخذ كمية من الذخيرة، إلى أين ايها البطل؟ الصعود إلى مبنى المستشفى، وقذف حمماً نارية من مدفعه المكسيم " وإذا لم يكن من الموت بد.... فمن العجز أن تموت جبانا " لم يستطع الإنجليز الإقتراب منه، فر الجميع، أصبحت الخرطوم خاليه، ثم كان القرار الخطير من السلطات، حيلة العاجز، ضرب المستشفى بالمدافع الثقيلة، ونفذت التعليمات، ودكت المستشفى على رأس البطل، وهُدَّت عليه، وعندما تمت إزالة الأنقاض، وجدوه يعانق مدفعه المكسيم. والبسمة هنالك لا تفارق تلك الشفاة الغضة ذات الثمانية والعشرون ربيعا. والطريف في الأمر، كما روت حفيدته خديجة جار النبي عبدالفضيل لصحيفة الإنتباهه: "وخاف الإنجليز من الإقتراب منه ظناً بأنه مازال حياً لأنه إستشهد وهو ممسك بمدفعه..."

يسدل الستار يخرج الجميع فرحاً بيك... ولكن أين الدفن؟ بعض الروايات تذكر أنه دفن في مقابر فاروق بالخرطوم.

٤٦ - علي عبداللطيف

نحن الآن في رحابك الطاهرة، وحدك والصباح الجميل ينتشر ضوءه، فيلقي في النفس الأمل والبهجة، ونحن في هذا الألق نريد أن نتعرف عليك.

ولدت شخصيتنا علي عبد اللطيف أحمد عام ١٨٩٦م في مدينة وادي حلفا، ووالده عبد اللطيف أحمد ينتمي إلى قبيلة النوبة الميري، من جبل ليما بجنوب كردفان "عزمَ ترهاقا وإيمانَ العروبَة ... عرباً نحنُ حملناها ونوبة"

أما أمه فهي النصر زين، وتنتمي إلى قبيلة الدينكا قوقريال، فرع دينكا ريك، بجنوب السودان

كانت حياة علي في كل جزء من أجزائها تحكي عن العسكرية، ووالده جندياً بالأورطة الثالثة عشرة السودانية، وتتبع للجيش المصري. وبعد أحداث معركة كرري، ودخول الغزو الإنجليزي - المصري للسودان، انتقلت الأسرة في ٥ سبتمبر ١٩٩٨م إلى الخرطوم.

في عام ١٩٠٨م تمت إحالة الوالد إلى المعاش، ثم انتقلت العائلة إلى مدينة الدويم لزراعة قطع زراعية منحت لهم للإعاشة عليها، ولكن لم يخلق هذا الفتى للزراعة، حيث غادر الدويم إلى الخرطوم.

تم بعد ذاك سلك طريق التعليم حيث دخل الخلوة في الخرطوم، حيث تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، وأقام فترة مع خاله ريحان، والذي يعمل ضابطاً ومدرساً حربياً في مدرسة ضرب النار بحي بري في الخرطوم. ثم بعد ذلك دخل القسم الإبتدائي بكلية غردون، وإجراءات الدخول للمدرسة الحربية معقدة، إلا إنه إجتازه بنجاح، ويعود ذلك لخلفية أسرته العسكرية، وإحرازه لنتيجة عالية في إمتحانات الكلية، فقد تم قبوله تلميذاً بالمدرسة الحربية المصرية، وذلك عام ١٩١٢م.

تخرج علي من المدرسة الحربية عام ١٩١٤م برتبة ملازم، ثم عمل في أمدرمان، ثم نقل إلى تلودي بجنوب كردفان، ثم إلى الفاشر بشمال دارفور، ثم إلى رمبيك ببحر الغزال.

تزوج علي عبدالطيف بالعازه محمد عبدالله عام ١٩١٦م وأنجبت له نعمات وستنا، وقد لعبت العازه دوراً مهما في النشاط السياسي لجمعية اللواء الأبيض، حيث تحفظ الوثائق، وحلقة وصل بين زوجها ورفاقه، كما تمكنت من حياكة علم جمعية اللواء الأبيض، كما شاركت فى مظاهرات ١٩٢٤م.

كان عام ١٩١٨م بداية حياته الأدبية والسياسية، حيث نقل إلى مدينة ودمدني، وتمت ترقيته إلى رتبة ملازم أول، وله نشاط أدبي، حيث أصبح عضواً نشطاً في نادي الخريجين. هنالك حدث مهم في تاريخ حياته قلب حياته رأساً على عقب، حيث وجه رسالة شديدة اللهجة للإنجليز، وذلك عام ١٩٢١م فقد التقى وهو في الطريق العام، وهو ممتطياً صهوة حصانه بمفتش إنجليزي، وكان عليه أن ينزل من حصانه لكي يلقي التحية العسكرية على هذا

الضابط كما جرت العادة، إلا أنه لم ينزل، واعتبر ذلك الضابط أن هذا الأمر إذلال له ولشعبه. لم يترك ذلك الضابط الأمر يمر في سهولة ويسر، حيث تم إستدعاؤه وإحالته إلى محكمة عسكرية سريعة، حيث تم نقله إلى أمدرمان للعمل في وحده عسكريه أقل درجة من رتبته العسكرية.

ظهر علي عبداللطيف بوجه سافر في السياسة حيث بعث بمقال يحمل عنوان (مطالب الأمة السودانية) إلى جريدة (حضارة السودان) بغرض نشره، تردد رئيس التحرير حسين شريف في نشره، وتمكنت المخابرات الإنجليزية من أن تضع يدها عليها، وتم إعتقاله وتقديمه إلى محكمة برئاسة ماكنتوش، حكم عليه بالسجن عام، وطرد من الخدمة العسكرية.
في مطلع ١٩٢٤م تكونت جمعية اللواء الأبيض برئاسة علي عبداللطيف، استمرت الأحداث عاصفة في السودان عام ١٩٢٤م حيث قامت مظاهرات في الخرطوم في ١٧ يونيو ١٩٢٤م ثم مظاهره بعد يومين من ذلك التاريخ، حينما تُوفيّ مأمور أمدرمان عبد الخالق أفندي، وله سمعة عالية في المدينة، فنظمت جمعية اللواء الأبيض موكباً لتشييعه، وتواصلت المظاهرات في العاصمة والمدن الأخرى.

نتيجه لهذه الأحداث تم القبض على علي عبداللطيف عام ١٩٢٤م وتقديمه إلى محاكمة في ١٩٢٥م ووجهت له تهم مختلفة، منها التآمر على الحكومة، وقد نفي علي عبداللطيف هذه التهم ورغم ذلك حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات، ونُفيّ مع عبيد حاج الامين وآخرون إلى مدينة واو في جنوب السودان.

ثم صدر عفو عام عن المسجونين السياسيين بموجب معاهدة ١٩٣٦م بين مصر والسودان ولم يشمل العفو علي عبداللطيف، الذي نقل إلى سجن كوبر في الخرطوم بحري، ثم في عام ١٩٣٨م تم نقله سراً إلى مصر.
هنالك في مستشفي القصر العيني في القاهرة،
ولى المساء الواله المحزون
في جوف الضبـــــاب
وأنا أهيئ زيـــــــــنتي
وأعد مفتخر الثيـــــاب

حيث أسلم علي عبد اللطيف الروح إلى بارئها وذلك عام ١٩٤٨ ودفن في مدافن العامة، وعندما جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢م تم نقله بناء على طلب من رئيس الوزراء المصري محمد نجيب إلى مقابر الشهداء بالقاهرة.

٤٧ - عبدالله خليل

عبدالله خليل عسكري صارم، وسياسي بنفس هذه (الصرامة) لا مجال أمامه لمسك العصا من منتصفها، ومع ذلك قاد البلاد بإقتدار، وحينما اقتربت السفينة من الإنزلاق نحو اللجة، تصرف بحكمة، ألم يدرس هنالك في الكلية الحربية وأن العسكرية تصرف؟

ولد عبد الله خليل عوض حسين الكنزي عام ١٨٩٢م بمدينة (أمدرمان الحياة)، ثم دخل كلية غردون، تخرج من قسم المهندسين، ثم بعد ذلك دخل المدرسة الحربية عام ١٩٠٨م وتخرج من الدفعة الثانية عام ١٩١٠م برتبة ملازم ثاني، شارك مع الإمبراطورية التي غابت عنها الشمس، أثناء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م ثم بعد ذلك تدرج في الرتب العسكرية، ثم عمل في الأشغال العسكرية المصرية برتبة نقيب عام ١٩١٣م ثم في عام ١٩٢٠م تمت ترقيته إلى رتبة مقدم، نال نيشان من رتبة فارس، ثم بعد ذلك رُقيّ إلى رتبة عقيد، حيث نال وشاح النيل العظيم.

انضم إلى قوات الدفاع السودانية عام ١٩٢٥م وهو أول سوداني يحصل على رتبة عميد.

وله دور كبير في أحداث ثورة ١٩٢٤م وهو الممول السري لها، وقد وصلت الأحداث إلى ذروتها بمقتل السير لي إستاك حاكم عموم السودان في شوارع القاهرة، هنالك إتهام خجول للمخابرات البريطانية بتدبير ذلك المقتل، حتى تسحب الجيش المصري من السودان، وله دور في المفاوضات مع الكتيبة المصرية.

أظهر عبدالله خليل نشاطاً سياسياً بعد أحداث ١٩٢٤م وحتى بداية قيام مؤتمر الخريجين، وهو من ضمن لجنة العشرة بنادي الخريجين، ولم تعفه البزّة العسكرية عن أداء عمله السياسي، ولكن الترصد هو الترصد، فقد نقل إلى المنطقة العسكرية الإستوائية، حتى يكون بعيداً عن النشاط الوطني.

في عام ١٩٤٦م تقاعد بالمعاش برتبة عميد، فقد أصبح حراً طليقاً، فقد كان (البوت) يحد من حركته كثيراً.

في عام ١٩٤٥م كانت البلاد موعودة مع حزب جماهيري، هو حزب الأمة، ومن أوائل الأحزاب في السودان، والحزب تحت رعاية السيد عبد الرحمن المهدي، وتقف معه طائفة الأنصار، وقد تم انتخاب السيد عبدالله خليل أول سكرتير له، ثم انتخاب السيد الصديق المهدي بعد ذلك رئيساً له، ورفع الحزب شعار السودان للسودانيين .

في عام ١٩٤٨م أرادت بريطانيا إعطاء شعاع ضئيل تنفذ من خلاله مؤسسات دستورية، فقد انشأت الجمعية التشريعية، وبها نسبة انتخاب لعدد من الأعضاء، وتم انتخاب السيد عبدالله خليل رئيساً لها، على أن هنالك غيوماً حجبت هذا الشعاع من مسام الأحزاب الإتحادية، فرفضت هذه الجمعية وقاطعتها.

في ١٢ يناير ١٩٥٣م عقدت إتفاقية الحكم الذاتي، والتي هي الطريق نحو إستقلال السودان، ومن ضمن بنودها إقامة حكم ذاتي، وتقرير المصير، وجرت إنتخابات، إكتسحها الحزب الوطني الإتحادي، وكون إسماعيل الأزهري أول حكومة وطنية في تاريخ السودان، وأصبح حزب الأمة في المعارضة.

على أنه حينما يتصافح السيدين تكون السماء في الخرطوم غير صافية، والجو ملبد بالغيوم، فإذا إنقشعت هذه الغيوم، فالمؤكد أن الأزهري سيكون في وادي آخر ،نعم حصل التقارب بين السيدين الميرغني والمهدي، ومن ثمار ذلك، إنشقاق الختمية عن الاتحاديين، وتكوين حزب الشعب الديمقراطي، بزعامة الشيخ علي عبدالرحمن، فتحالف حزب الشعب الختمي مع حزب الأمة، وكونوا أغلبيه داخل البرلمان، نتج من تلك الأغلبية تشكيل حكومة برئاسة السيد عبدالله خليل سكرتير حزب الأمة، وذلك في يوليو ١٩٥٦م وجاءت لعبة الكراسي، وكان الأزهري بارعاً في هذه اللعبة، أما الآن فليس لك كرسي، إذهب إلى المعارضة.

على أن حكومة عبد الله كان لها إنجازات في مجال التعليم والصحة، بينما أخفقت في مجالات أخرى، فالقطن المحصول النقدي الوحيد في السودان، حيث أخذت أسعاره في الإنخفاض عالمياً، وهذا أدى إلى إنصراف القطاع الخاص في الإستثمار، كذلك هنالك موضوع المعونة الأمريكية، والنزاع حولها بين الحزبين، وكذلك مشكلة الدستور ومسألة حلايب وكذلك مسألة مياه النيل والنزاع مع مصر فيها، أضف إلى هذه الأشياء، أن الشراكة بين الحزبين في مهب الريح، والخلاف بينهما وصل أوج مداه، حتى داخل حزب الأمة هنالك خلافات كثيرة فيه ماذا يحدث؟ هل عليّ وعلى أعدائي؟ فليكن التسليم، وقد قيل أنه سلم السلطة لقيادة قوات الجيش، ممثلة في الفريق عبود، وذلك في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م وذلك بمباركة من السيد عبد الرحمن المهدي، ولفتره محددة، (إلا أن الجيش نام علي العسل).

"ولو أعيد التاريخ وكنت أنا عبدالله خليل لإتخذت القرار نفسه"

عندما رفض الجيش الرجوع إلى الثكنات، طالب أن تكون هناك مقاومة مسلحة لإستعادة الحكم ... وكان أول من أعتقل...ولو كان متآمراً لما أعتقل وصودرت أمواله.

هذا هو أمير عبدالله خليل ويقول أن التاريخ لم ينصف أباه، ثُم قرير العين، الأب في القمة.

تُوفيَ في العام ١٩٧١م

٤٨ - أحمد محمد صالح

نحن جند الله جند الوطـــن
إن دعا داعي الفداء لن نخـن
نتحدى الموت عند المحـــن
نشتري المجد بأغلى ثـــمن
هـــذه الأرض لـــنـــــا
فليعش سوداننا علماً بين الأمم
يا بني السودان هذا رمزكم
يحمل العبء ويحمي أرضكـــم

يُردد هذا النشيد القومي طلاب المدارس في الطابور الصباحي، في كل مكان، ثم يدخلون الحجر الدراسية، يمسك المعلم الطبشيرة، ويبدأ الدرس، ويكون مع الطلاب بقية النشيد الوطني، هذا الوطن المسخن بالجراح، ألا يكون هذا النشيد دافعاً لنا إن تمسكنا بمعانيه، ألا يكون وقاية من كيد الأعداء.

ولد أحمد محمد صالح في مدينة أم درمان عام ١٨٩٨م، ثم بعد ذلك حلم العمر، لك شاب في ذلك الوقت، كلية غردون، بناء شامخ كأنه نسر، يحمل في جناحيه مفاتيح المستقبل، حيث تخرج منها عام ١٩١٤م، بعد تخرجه من الكلية عمل بالتدريس، ليس هنالك أجمل من الطباشيرة، كان معلماً بمعنى الكلمة، كان مهاباً ومقدراً، كان أنيق في كل شيء ملبسه وعطره. تدرج في السلم الوظيفي حتى وصل مدير مدرسة، ثم بعد ذلك تحول إلى العمل المكتبي، حيث عمل موظفاً بوزارة المعارف، وتدرج في وظائفها المختلفة حتى وصل إلى أعلى درجات السلم الوظيفي. ثم عمل مدرساً بكلية غردون.

كان مصادماً مع المستعمر، كما أن اللغة الإنجليزية التي نبغ فيها كانت له خير معين لتوصيل أفكاره التي يريد توصيلها للإنجليز، ولعل من أهم الأمور التي دخل فيها صدامه مع الإنجليز، القرار الصادر منهم بإرتداء معلمي المدارس الجبة والقفطان، بدلاً عن الزي الإفرنجي، وقد رفض الإنصياع لذلك القرار.

له نفس أدبي قلما يوجد في غيره، وهو من شعراء التفعيلة، وله ديوان شعر بعنوان (مع الأحرار) ويمتاز شعره بقوة التعبير.

وعندما ينشد قصيدة ما، فإن البلد كلها تقف على رجل واحدة، كان عندما ينشد إحدى قصائده يحتفل بها كل السودان، قال عنه الشاعر المخضرم عبدالله محمد عمر البنا: "هو أشعر شعراء السودان" فلما سئل: منأنت؟ قال: "إنني شاعر، في كل لحظة يطرق الشعر بابي، ولكن أحمد هو الذي يوقظ الشعر فيخدمه!"
أطلق عليه معاصروه من كبار الشعراء، الأستاذ الشاعر.

لم يكن يهتم بقضايا السودان فحسب، بل كان السودان عنده جزءاً، والكل الأمة العربية، فحينما ضرب الفرنسيون دمشق عام ١٩٤٥م قال في ذلك قصيده عصماء.

صبراً دمشقُ فكل طرْف بـــاكٍ
لما أستبيح مع الظلام حِماك
جزعتْ عُمان ورُوّعتْ بغـداد
وبكت رُبا صنعاء يومَ أســاك
وقرأتُ في الخُرطوم آياتِ الأسى
وسمعتُ في بيروتَ أنّة شاك
ورماكِ جبّار يتيــه بحولـــهِ
شُـلّتْ يمينُ العِلجْ حـين رماك

أيها الشاعر المجيد متى قلت هذه القصيدة؟ هل في التاريخ المذكور أعلاه؟ أم في العقد الأول من الألفية الثانية؟ ولعلي نسيت، أو تناسيت -لا يهم- أنك لم تحضر هذه الألفية حتى تعرف من هم (العلوج الجدد) لك الله يا بلد الوليد، لك الله يا صنعاء، لك الله يا بغداد.

عرف عنه قدرته على الخطابة بطلاقة، والرصانة فقد كان خطيباً مقتدراً، يخطب باللغتين العربية والإنجليزية، كأنه قيس بن ساعدة يوافي الناس في سوق عكاظ ويخطب فيهم .

لعل من أهم أعماله قصيدة (نحن جند الله) وهي قصيدة من ضمن القصائد التي نشرت ضمن ديوانه (مع الأحرار) وأصبحت نشيداً لقوة دفاع السودان، ثم كان لأبياتها الأربع الأولى أن تكون على كل لسان حيث تشكل منها النص الشعري لموسيقى السلام الجمهوري السوداني في فترة إستقلال السودان، كما قام بتلحينها ووضع تأليفها الموسيقي العقيد أحمد مرجان، وصارت بعد ذلك معلماً وطنياً والنشيد الوطني السوداني.

عقدت جلسة تاريخية للبرلمان السوداني بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٥٥م وتم فيها إعلان إستقلال السودان من داخل البرلمان، حيث تقدم النائب عبدالرحمن محمد إبراهيم دبكه نائب نيالا غرب، بتلاوة إعلان الإستقلال، وفي نفس الجلسه أجيز إقتراح انتخاب مجلس رأس دولة من خمسة أعضاء، وأن تكون رئاسة المجلس دورية في كل شهر، كما فوض المجلس لإصدار لائحة لتنظيم أعماله.

أصبح عضواً في مجلس رأس الدولة في السودان، والأعضاء الآخرون الذين معه هم: عبدالفتاح محمد المغربي، أحمد محمد ياسين، الدرديري محمد عثمان وسرسيو ايرو.

وفي جلسة مشتركة لمجلسي النواب والشيوخ، تمت إجازة الدستور المؤقت، على أن يكون السودان جمهورية مستقلة ذات سيادة، ورفع العلم ذو الألوان الثلاثة، وقد بدأ الاحتفال بأداء مجلس السيادة للقسم أمام رئيسي القضاء والبرلمان، ثم تلا السيد إسماعيل الأزهري رئيس الوزراء، وثيقتي إعتراف دولتي الحكم الثنائي بإستقلال السودان.

تم إستقلال السودان، وتعاقب على حكم السودان عدد من الحكومات والعلم يرفرف، والنشيد مصحوباً مع العلم، ثم ذهبت إلى دار البقاء، وكان ذلك عام ١٩٧٣م .

٤٩ - محمد عثمان عبده البرهاني

ولد الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني بوادي حلفا في عام ١٩٠٢م، أو حلفا القديمة، وهي تقع في أقصى الشمال، على مرمى حجر من الشقيقة مصر، يمشى فيها النيل متبخترا، لأنه يريد أن يدخل في أجواء أخرى، ولكن حينما دخل هذه الأجواء لم يكن النيل هو النيل، ففي عام ١٩٦٠م عرف الإنسان كيف يروض تلك الطبيعة الخلابة، وأن يجعلها تكف عن غضبها، وأن تكون مبتسمة دائماً، وتم في هذا العام بداية إنشاء السد العالي، ولكن ندع السد العالى المصري، ونقترب أكثر وأكثر من سدنا السوداني، حيث نشأ بهذه المدينة الجميلة.

بدأ التعليم بخلوتها، حيث حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ العلوم الدينية المختلفة، ثم بعد ذلك اتجه في طريق العبادة والسلوك، ومن بين المشائخ الذين أخذ عنهم العهد السيد الشيخ عثمان حامد عبد الباقي، وهو له سند يتصل به إلى السيد أحمد عربي الشرنوبي، وكذلك له سند من جده الحاج فضل، الذي أخذ الطريقة من الشيخ إدريس ود الأرباب، والذي أخذ الطريقة من الشيخ أبى دنانه، حيث ذهب الشيخ فى رحلة للتعبد بجبل أولياء، والجبال منطقة صفاء روحي، وقد تعبد في واحد من المغارات الكثيرة التى توجد فى ذلك الجبل، وبعد أن قضى فيه زمناً غير قصير، توجه إلى محطة أخرى، وحط بها رحاله، هنالك مدينة مدني ترقد هانئة سعيدة على النيل الأزرق، وقد ألِف كل أحد منهم الآخر، حيث أقام بها بعض الوقت مع خاله السيد محمد عثمان.

مدينة مدني ملتقى لعدد كبير من أهم المشائخ فى السودان، حيث أخذ يتصل بمشايخ الطريقة القادرية بأبي حراز وطيبة والشكينيبة وفيها الشيخ المكاشفي، ومشائخ الطريقة السمانية في عمارة الشيخ التوم ود بانقا، حيث أقام علاقات طيبة مع هؤلاء المشائخ، قائمة على المعرفة بإصول الطريق والعلم والذوق.

يجري النيل الأزرق حتى يصل الخرطوم، ثم يتحد مع النيل الأبيض، وتكون هنالك صداقة دائمة بينهما، مثلما له صداقة خاصة مع الشيخ قريب الله أبا صالح، حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير، مؤسس الطريقة السمانية في السودان.

جاء العام ١٩٣٣م انتقل الشيخ إلى مدينة عطبرة عاصمة (الحديد والنار) ولكن دعونا من النار التي تخرج من الورش، وننتقل إلى نار الشيخ التي أوقدها هنالك، حيث استقر بها، وبدأ في دعوة الناس إلى الطريقة، وإرشادهم إليها، كما بدأ في تدريسهم الفقه حتى يعرف المسلم طريق العبادة الصحيح.

كان الشيخ يعمل في صمت بعيداً عن الأضواء وأجهزة النشر والإعلام، شأنه في ذلك شأن الدعاة الصادقين ، ويستقبل في منزله وكذلك في الزاوية المريدين والعلماء، يتناول معهم بالشرح والتحليل آيات القرآن الكريم والسنة النبوية. "... فأتبعني يا مريدى أهدك

العلم السويا .." كما له علاقات متميزة مع بعض العلماء المصريين، ولعل من أهمهم الدكتور عبد الحليم محمود، الشيخ أحمد حسن الباقوري، الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر والدكتور طه حسين.

وقد شهدت الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية توسعاً رأسياً وأفقياً، ولها عدد من الزوايا المنتشرة في البلاد العربية والإفريقية والأسيوية مثل: مصر، ليبيا، تونس، الإمارات العربية، العراق، الأردن، الكويت، سوريا، لبنان، الصومال وباكستان. وكذلك فى أوروبا والأمريكيتين، خاصة وأن كلمة إسلام فى دول الغرب لها معنى هو الإرهاب، والطريقة تشرح أن الإسلام دين المحبة والتسامح .

انتشرت الطريقة البرهانية خاصة فى ألمانيا، حيث لا تخلو مدينة كبيرة في ألمانيا من زاوية من زوايا الطريقة البرهانية.

له عدد من الكتب المختلفة في علوم الدين أهمها: تبرئة الذمة فى نصح الأمة، وتذكرة أولي الألباب للسير إلى الصواب، وكتاب انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، وديوان شراب الوصل وكتب فى التراث سلسلة علموا عني.

انتقل إلى الرفيق الأعلى، وكان ذلك بتاريخ ٤ إبريل ١٩٨٣م ودفن بمقامه بالسوق الشعبي بالخرطوم.

٥٠ ـ عمر محمد عمر البنا

الأغنية السودانية لو وجدت حظها من الإعلام لنافست أخواتها في العالم العربي، ولكنها قبعت في المحلية، ومع ذلك فهي في صميم القلب السوداني.

ولد الشاعر عمر محمد عمر البنا بأم درمان في حي ود البنا عام ١٩٠١م نشأ وترعرع في بيئة دينية، وصوت هذه الأسرة يشدو بالقرآن الكريم والشعر والجمال، كأنها أعطيت مزامير داؤود عليه السلام، والده عالم وفقيه وشاعر ومن أوائل السودانيين الذين تخرجوا في الأزهر الشريف.

بدأ دراسته في خلوة الفكي أحمد عمر يحيى، حيث أتم حفظ القرآن الكريم، هل هنالك كلام بعد هذا؟ ثم إلتحق بمدرسة أم درمان الإبتدائية،وهو من أميز الطلاب فيها، كانت كرويات الدميجري فيها الشعر صافياً، حيث أن والده يرغب في دخوله المدرسة الحربية، ولكنه رفض، وفضل العمل الحر.

له صوت رخيم في الغناء، ردد بعض أغنيات من سبقوه، ثم بدأ بكتابة الشعر وخاصة الشعر الغنائي، له أشعار بها سهولة شديدة كأنها من القلب إلى القلب، ليس بها أيي مساحيق تجميلية.

في بداية العشرينات من القرن المنصرم، ظهرت أجمل فترات الفن السوداني، وهي فترة أغاني الحقيبة، والإسم على أغلب الروايات مقتبس من حقيبة يحملها الإعلامي أحمد محمد صالح، وبداخلها الأسطوانات، لكي يقدمها عبر الإذاعة السودانية، وأبرز روادها من الشعراء عبدالرحمن الريح، محمد بشير عتيق، سيد عبدالعزيز وصالح عبدالسيد أبوصلاح، أما من المغنين كرومة، محمد أحمد سرور، عوض شمبات وزنقار.

ضيفنا من أبرز رواد هذه الفترة، صار يلحن أشعارها ويغنيها بنفسه، اتجه البنا إلى الغناء أولاً قبل الشعر، وله صوت جميل وسجل أربع أغاني في مصر (وصف الخنتيلة، جيت يا قمر، يا ربيع فى روض الزهور، من قليبو الجافي) ثم اتجه إلى الشعر والتلحين.

نطرق عام ١٩٢٥م بهدوء ونختلس النظر في شوارع مدينة أمدرمان، ونلتفت ميمنة وميسرة، ماذا نرى؟ هنالك ناقة تسير بهدوء وعلى ظهرها رجل، ليس على عجلة من أمره، دققنا النظر فيه جيداً، نعم إنه عمر البنا، لقد سمع صوت شاب رخيم يدندن ببعض أغنيات البنا، هل تستطيع الناقة بعد ذلك أن تحمله إلى منزله؟ نزل من ناقته وتقدم نحو الشاب، وأشاد بصوته، هذا الشاب هو الفنان الشهير بعد ذلك عبد الكريم عبد الله مختار (كرومة) واقترح عليه أن يتعاونا معاً فنياً، وافق كرومة على ذلك.

دعونا نخرج قليلاً من مدينة أمدرمان، ونطوي الزمن سريعاً، بغداد الرشيد، هنالك إسحق الموصلي، يعلّم في تلميذه زرياب، وحينما أجاد هذه الصنعة، ودخل على الرشيد، وغنى له غناء لم يسمع به الرشيد من قبل، (أكل) الحسد والغيرة قلب الموصلي، ووضع له

شرطين أما القتل، أو الخروج، وبالطبع زرياب يريد أن تكون هذه الحنجرة غير مقطوعة، فذهب إلى الأندلس فكانت النهضة العلمية والادبية له فيها نصيب، طوينا الزمن مرة أخرى، عدنا إلى أمدرمان، ليس عندنا حسد ولا يحزنون، كل واثق من قدرته الفنية.

تم التعاون بينهما، قدم كرومه أجمل أغانيه، وكانت من البنا ومن ضمنها (حبيبي جفيت) والرائعه (زهرة الروض)

يا زهرة الروض الـــــظليل
جان طيبك مع النسيم العليل
زاد وجـــــــــــــــدي
ونوم عيني أصبح قليـــــــل
لو مرّ نسيمك على الف ميل
يخلي العـالم طربا تـــــميل

وعمر البنا من أكثر المطربين لمعاناً في العشرينات، وإستمر في نجاحه هذا حتى بداية الثلاثينيات، حيث تزوج وإعتزل الغناء، وصار يكتب الشعر ويلحنه.

من أهم هواياته القنيص، وكذلك أغلبية الأسرة، كما صرح بذلك الفنان الكبير الأمين البنا.

لقد عاش البنا هذه الحياة بكبرياء وشموخ، ورغم هذا كان يرحب بكل نقد صادق، نفخ الروح في الحياة الفنية بأعمال خالدات نذكر منها: الحب الطاهر، في الطيف، نسائم الليل، زيدني في هجراني، يا عيني وين تلقى المنام، يا نعيم الدنيا، كيف الحياه غير ليمك ونسيم الروض زورني في الماسية وغيرها.

كما غنى له كبار الفنانين، كرومه، عبدالعزيز محمد داؤود، الأمين برهان ورمضان حسن وغيرهم.

في يونيو ١٩٨٩م
هجد الانام وأنا وحدي مساهر
والنحول علي جسمي ياحبايب ظاهر
أسبابي الحب الطـــــــاهر
أسباب سقامي وبكاء طرفي الساهر

نعم..هجد الأنام.. وهجدت أنت.. لأن هذا النحول كان ظاهراً ..أيها الحبيب، عليك الرحمة.

٥١ - إبراهيم عبود

الفريق إبراهيم عبود، نسمة رقيقة أتت مع الدعاش ممزوجة بعدد من العطور المختلفة، جعلت فترة السودان هادئة، لا (تعكرها) إلا صوت طلقات تأتي خافتة من جنوب السودان. لم تكن الفتره هادئة فقط، ولكن يوم ١٨٩٩م كان هادىء أيضاً، لأنه التاريخ الذي ولد فيه، ومكان الميلاد منطقة محمد قول بالقرب من بورتسودان. تلقى تعليمه في المدارس الأولية في مدينة سواكن، ثم فيها أيضاً تلقى تعليمه الأوسط. دخل كلية غردون التذكارية، جامعة الخرطوم الآن، حيث دخل قسم المهندسين، وتخرج منه عام ١٩١٧م ثم دخل المدرسة الحربية، وتخرج منها عام ١٩١٨م برتبة ملازم ثاني، على أن الرتب بعد ذلك لم تكن عصية عليه، فقد وصل إلى رتبة اللواء عام ١٩٥٤م أما رتبة الفريق أول فقد منحت له عام ١٩٥٧م.

لقد كان إبراهيم عبود عسكرياً صرفاً، هل سيق إلى السياسة سوقاً؟ أم أن مناعم السياسة قد جرته إليها؟ مع العلم بأنه لم يتذوق تلك المباهج مطلقاً "من الشخصيات التي لم تُغيِّرها السلطة، دخلها كرجل بسيط وضابط منضبط وعسكري مهني، عاش بنفس صفاته تلك إبان حكمه، لم يحاول أن يبحث عن أضواء أو أن يفرض نفسه أو يدَّعي شيئاً، عاش حياة بسيطة حتى وفاته" كما قال الأستاذ محجوب محمد صالح.

عمل بعدد من الوحدات، منها سلاح قسم الأشغال العسكرية بالجيش المصري، حتى إنسحاب القوات المصرية في عام ١٩٢٤م، ثم إنضم إلى قوة دفاع السودان، ثم عمل في سلاح خدمة السودان، وفرقة البيادة، وفرقة العرب الشرقية، ثم في عام ١٩٤٩م نقل قائداً لسلاح الخدمة، وهو أول سوداني يتقلد هذا المنصب.

في عام ١٩٥٢م تقلد منصب رئيس هيئة أركان حرب. ثم في عام ١٩٥٢م تقلد منصب قائد عام الجيش السوداني، وهو ثانى قائد عام سوداني بعد الفريق أحمد محمد الجعلي. وله عدد من المشاركات الحربية، خاصة في الخارج، في الحرب العالمية الثانية، له مشاركة في حملة أريتريا، وفي ليبيا في طبرق والكفرة. كما نال عدداً من النيشانات، والميداليات، منها على سبيل المثال نيشان الخدمة الطويلة، ميدالية السودان، ميدالية نجمة إفريقيا، ميدالية الدفاع وميدالية الحرب.

ندع العسكرية وضبطها وربطها وكلامها الجاف، ونأتي إلى السياسة، كيف تسلم الفريق إبراهيم عبود السلطة، هل تسليم وتسلم؟ كما تواترت الأخبار أم ماذا؟ نحن نرسم لك الصورة كما حصلت، أما أنت أيها القاريء الحصيف فضعها في أي برواز تختاره.

كانت الأحوال في العام ١٩٥٨م مضطربة، والثقه مفقودة بين حكومة عبدالله خليل الثانية، والمعارضة، وكذلك مع الشريك حزب الشعب، وبينهم مشاكل جوهرية لم تحل، وخاصه في كتابة الدستور، والمعونة الأمريكية، ومسألة حلايب، كانت هنالك أنباء عن أن

عبدالناصر ينظر بعين أخرى لما يجري في السودان، ويدبر لشيء ما، كما أن هنالك خلافاً داخل حزب الأمة حول فض الشراكة مع حزب الشعب، والإتجاه إلى الوطني الاتحادي، والمؤكد أن خشبة المسرح لا تتسع لبطلين، وخاصة أن واحداً منهما بحجم الأزهرى، كما أنه هنالك محاولات جادة لتوحيد الوطني الإتحادي، وحزب الشعب، وهناك قول متواتر أن عبد الله خليل اتفق مع الفريق عبود لتسليمه السلطة لفترة زمنية محدودة، ونال موافقة السيدين. مالنا للحديث عن المتواتر وغير المتواتر، فلنتحدث عن المؤكد، فحينما تم إدارة مؤشر المذياع في صباح يوم ١٧نوفمبر ١٩٥٨م تم سماع موسيقى عسكرية، وأذاع الفريق إبراهيم عبود البيان الأول، وهو أول بيان بعد الإستقلال.

تم إعفاء إعضاء مجلس السيادة، ومجلس الوزراء وحلت الجمعية، عطل الدستور المؤقت، وأعلن قانون الطواريء، ودخلت البلاد في حكم عسكري جديد.

على أن الصداع المزمن في الجسد السوداني اشتد أيام حكم عبود، وأعني به مشكلة جنوب السودان، حيث يتهمه الجنوبيون بأنه عمل على أسلمة وتعريب جنوب السودان، حيث انشأ مدارس ومعاهد إسلامية هنالك، كما جعل من يوم الجمعة عطلة في الجنوب، وحد من نشاط الجمعيات التبشيرية.

تأسست بعد ذلك التنظيمات العسكرية والسياسية في الجنوب، فتأسس عام ١٩٦٣م الإتحاد الوطني الأفريقي، وكان بقيادة عدد من الزعماء أبرزهم جوزيف أودوهو، حيث عملت على نشر قضية الجنوب إقليمياً ودولياً، وتم عرضها على الأمم المتحدة ثم في عام ١٩٦٣م تأسس جيش الحرية والأرض، والذي عرف فيما بعد ب (أنيانيا) .

وله عدد من الإنجازات المهمة، حيث انشأ خزاني الروصيرص، وخشم القربة ومصانع السكر في كل من: الجنيد، خشم القربه، حلفا وملوط. وعمل إمتداد مشروع المناقل الزراعي. كما إهتم بالزراعة الآلية في الدالي والمزموم. كما انشأ مصانع في واو، وكريمة، وكسلا، أروما، بابنوسه وأنزارا. وانشأ الخطوط الجوية السودانية، والخطوط البحرية السودانية، وإنجازات أخرى كثيرة، ليس هذا مكانها.

ثم أتى العام ١٩٦٤م على عجل، يحمل في طياته أشياء ليست في الحسبان، هل ثورة اكتوبر ترف سياسي؟ أم واجب حتمي؟ ما لنا ولهذه الأسئلة، ندخل من الباب الكبير عليها، ونعرف ماذا حصل في عجالة.

كان يوم الأربعاء٢١ اكتوبر ١٩٦٤م هو يوم به أحداث مهمة، حيث أقام طلاب جامعة الخرطوم ندوة عن مشكلة الجنوب، ولكن العقلية العسكرية هي هي، مهما كان الزمان والمكان، ثم قام (البوليس) بمهاجمة الندوة، وأطلق الرصاص الحي، وأصيب الطالب أحمد القرشي طه في مقتل، هذا الدم الذى سال منه، من عجائب الأمر قد اسقى الأرض سريعاً، وقامت المظاهرات والإضرابات، وعمت القرى والحضر، ولم يستطيع الشاعر المبدع الحسين الحسن أن (يشيد الضلوع) حولها، لأن اليوم كان "شحيح النسيم كثير الغيوم".

وهنا تجلت حكمة السنين، هذا الشيب الذي جلله الوقار عند الفريق عبود له معنى، كنت كبيراً أيها الفريق حينما أعلنت عن حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وحل مجلس الوزراء، وتم تكوين حكومة إنتقالية بعد ذلك برئاسة الأستاذ سرالختم الخليفة،
تُوفيّ في الثامن من سبتمبر ١٩٨٣

٥٢ - إسماعيل الأزهري

(اليوم نرفع راية إستقلالنا) حينما نستمع لوردي يردد ذلك النشيد، وحينما يردد طلاب المدارس نشيد العلم، ألا يدور في خلدهم أن هنالك من صنع الإستقلال، بلى، هنالك رجال أنت منهم، نعم أنت محرر الأجيال.

هو إسماعيل بن سيد أحمد بن إسماعيل بن أحمد الأزهري بن الشيخ إسماعيل الولى، ينتسب إلى قبيلة البديرية، ولد عام ١٩٠٠م بدأ حياته العلمية بالخلوة بأمدرمان، تلقى تعليمه الأوسط بمدني، تفوق في تعليمه، التحق بكلية غردون ١٩١٧م ولم يكمل تعليمه بها. في عام ١٩١٩م أتيحت له فرصة نادرة، للذهاب مع الوفد الذي ذهب لبريطانيا، بزعامة علي الميرغني، وقد ذهب في معية جده، إسماعيل الأزهري قاضي مديرية دارفور، بالنيابة عن مسئولي المحكمة الشرعية. وهو في الصف الثاني الثانوي، ومترجماً للوفد.

عمل بالتدريس في مدرسة عطبرة الوسطى وأمدرمان، ثم إبتعث للدراسة بالجامعة الأمريكية فى بيروت، وعاد منها عام ١٩٣٠م عُين بكلية غردون، وأسس بها جمعية الاداب والمناظرة، ثم بعد ذلك وفي منتصف الثلاثنيات، قامت جماعة الأشقاء، وهو من أبرز أعضائها.

مؤتمر الخريجين ١٩٣٨ _ ١٩٤٥م هو بمثابة الأب الشرعي للأحزاب السياسية. كان الأزهري في البداية، في وادٍ آخر عن فكرة المؤتمر، والتي دعا لها أحمد خير المحامي في محاضرة له في نادي الخريجين في مدني ١٩٣٧م ولكن بعد ذلك دخل بكل ثقله في المؤتمر. عام ١٩٣٨م له بوح خاص، هنالك الخريجين بأزيائهم المختلفه، كأنهم فراشات تتجمع حول باقات من الزهور، حيث أجتمع ١١٨٠ خريجاً، وإختاروا لجنه ستينية، والتي إختارت إبراهيم أحمد رئيساً، وإسماعيل الأزهري سكرتيراً، وسيطر عليها المعتدلون، إعترفت به الحكومة، لأنه أعلن أنه نادي إجتماعي. أما مصر فقد إرتابت في هذا الجسم وهو غير معلوم لها، كأنه جبة درويش، ولكن بعد ذلك ميزت خطوط الجبة جيداً، وأعلنت أنها ستتعامل معه. وضع المؤتمر قدمه، حينما تضع الحكومة قدمها، ولكن في عام ١٩٤٢م كانت قدم المؤتمر أكبر مقاساً من قدم الحكومة، حيث أن المؤتمر أوضح عن وجهه الحقيقي، والذي كان مخفياً في مكان ما داخل تلك الجُبة، وذلك عندما أصدر مذكرة سياسية سافرة للحكومة، والتي أعلنت فقدان الثقة في المؤتمر.

فى عام ١٩٤٣م قام الأزهري بزيارة إلى مصر، واتصل بقادة مصر، وبدأ الدعم لجماعة الأشقاء ينساب. منح السيد علي الميرغني بركته الروحية لهذا الحزب، وأصبح راعياً له، ومعه جيش جرار من الختمية. وتحولت الجماعه إلى حزب سياسي بزعامة الأزهري.

فى عام ١٩٤٦م أصبح رئيساً لوفد الأحزاب المؤتلفة، لحضور مفاوضات بخصوص السودان في مصر. في عام ١٩٤٨م ارادت الأدارة البريطانية أن تعمل مساحيق تجميلية، على وجهها الذي به كثير من البثور.

قامت الجمعية التشريعية، رحب بها حزب الأمة والأنصار، وشاركوا في انتخاباتها، أما الأتحاديون فقد عارضوها وسيروا ضدها المظاهرات. وللسجن باب واحد، عرفه الأزهري كثيراً، ولكن هذه أول مرة يدخله.

في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قامت ثوره الضباط الأحرار بمصر، لم يكن حدثاً يهم مصر وحدها ولكن حدث هز المنطقة من أطرافها. كانت الأحزاب الإتحادية متفرقة، ونجح محمد نجيب في لم شمل الأحزاب الإتحادية في وعاء واحد، هو الحزب الوطني الإتحادي، وأنتخب الازهري رئيساً له.

في ١٢ يناير ١٩٥٣محدث حدث مهم في تاريخ السودان وبمثابة إستخراج (شهادة بحث) لإستقلال السودان، وعقدت معاهدة الحكم الذاتي بين وفد الأحزاب السودانية والحكومة.

في ديسمبر ١٩٥٣م جرت إنتخابات لأول برلمان سوداني، وفاز حزب الوطني الإتحادي بالأغلبية، وفاز الحزب بأغلبية المقاعد إذ أحرز ٥٣ مقعد من جملة ٩٧ مقعد، كما فاز الأزهري في دائرة أمدرمان شمال بعد منافسة محتدمة مع حزب الأمة، وممثل الدائرة عبدالله الفاضل المهدي. وشكل الأزهري أول حكومة وطنية وكان رئيساً لها.

فى عام ١٩٥٥م قاد وفد السودان لمؤتمر دول عدم الإنحياز الأول (باندونج)، وفي هذا المؤتمر، طلب الرئيس المصري جمال عبدالناصر، من الأزهري أن ينضم وفده للوفد المصري، لأن السودان يمر بفترة انتقالية وليس له علم، فرفض الأزهري ذلك، وأخرج منديله الأبيض من جيبه، ووضعه في المكان المخصص لوضع العلم. أي عزة هذه التي يتمتع بها هذا الرجل.

لرفاقي في البلاد الأسيويـة
للملايو ولباندونق الفتيـــة
وأنا في قلب إفريقيا فدائي
وعلى باندونق ستمتد سمائي

في ١٩ ديسمبر عام ١٩٥٥م اصدر البرلمان قراراً بأن يكون السودان دولة مستقلة كاملة السيادة، إبتداءاً من الأول من يناير ١٩٥٦م حيث تم رفع العلم السودانى، والمؤكد أنه لم يكن منديلاً أبيض، ولكنه علم ذو ثلاثة ألوان أخضر، أصفر وأزرق. وقد تم رفعه بواسطة الأزهري، وزعيم المعارضة محمد أحمد المحجوب. فى تاريخ ١٩٥٦م سقطت حكومته الوطنية، وقامت حكومة السيدين برئاسة عبد الله خليل.

في١٧ نوفمبر ١٩٥٨م قام الفريق إبراهيم عبود بإنقلاب ضد حكومة عبدالله خليل. فى ١٩٦٤م أعتقل الأزهري لأنه بعث بخطاب طالب فيه بعودة الديمقراطية، وأرسل إلى سجن ناقشوط، ومعه عدد كبير من القيادات السياسية.

في اكتوبر ١٩٦٤ قامت ثورة إكتوبر، التى أسقطت حكم الفريق إبراهيم عبود العسكري. وقد جرت إنتخابات عامة في إبريل ١٩٦٥م حيث تمكن حزب الأمة من إحراز أغلبية بسيطة، مكنته من الظفر بمنصب رئيس الوزراء. وحصل حزب الأمة على أربعة وسبعون مقعداً، والحزب الوطني الإتحادي على ثلاثة وخمسون مقعداً. والمستقلون على خمسة عشر مقعداً، أما الحزب الشيوعي فقد حصل على إثنى عشر مقعداً، وحصلت جبهة الميثاق الإسلامي على ثلاثة مقاعد، وقد دخل حزب الأمة والحزب الوطني الإتحادي في إئتلاف حصل حزب الأمة على رئاسة مجلس الوزراء، والحزب الوطني الإتحادي على رئاسة مجلس السيادة. وأصبح الأزهري رئيساً لمجلس السيادة، في الفتره من ١٩٦٥_١٩٦٩م وهذه الفترة شهدت رئاسة الصادق المهدي، ثم محمد أحمد المحجوب، لرئاسة الوزراء علي التوالي.

فى٢٥ مايو ١٩٦٩م إستولى العقيد أنذاك جعفر محمد نميري علي السلطة.

أعتقل الأزهري وأودع سجن كوبر، وعند إشتداد مرضه نقل إلى المستشفى، إلى أن تُوفيّ في ٢٦ أغسطس ١٩٦٩.

٥٣ - محمد أحمد المحجوب

محمد أحمد المحجوب زعيم سوداني بمعنى الكلمة، متعدد الجوانب، شاعر، مؤلف، مهندس، محامي، قاضي وسياسي، ياإلهي! كلها اجتمعت في شخص واحد، نعم سوف نجد جهداً كبيراً للملمة كل تلك الأطراف.

ولد عام ١٩٠٨م بمدينة الدويم، بولاية النيل الأبيض. بدأ حياته مع خاله محمد عبد الحليم، وأما جده عبد الحليم مساعد، فهو الساعد الأيمن لقائد المهدية عبد الرحمن النجومي.

تلقى تعليمه الأولي في الخلوة، فالكتاب بالدويم ثم إلى مدرسة أم درمان الوسطى، تخرج في كلية الهندسة بكلية غردون التذكارية عام ١٩٢٩م، وعمل بمصلحة الأشغال مهندساً، إهتم بالدراسات الإنسانية، وإلتحق بكلية القانون، ونال الإجازة في الحقوق عام ١٩٣٨م، عمل في مجال القضاء حتى استقال عام ١٩٤٦م، ليعمل بالمحاماة.

أنشئت في حي الهاشماب، في الموردة جمعية أدبية في منتصف الثلاثينات، وكان المحجوب من أبرز أعضائها.

وجمعية الهاشماب على صلة قوية بالسيد عبد الرحمن. وقد أصدر عرفات محمد عبد الله مجلة الفجر، وقد نشرت المجلة مقالات بقلم محمد أحمد المحجوب، وقد ظهرت الملكات الهائلة التي يتمتع بها المحجوب، وله عزة نفس في كل شيء، حتى في الأدب، حيث نادى بأن يكون الأدب سودانياً بحتاً، وليس تابعاً لجهة ما، لك الله يا محجوب! أتقصد الأدب أم السياسة؟ كلاهما بنفس المنظور.

على أن المحجوب كان في وادٍ، أما المخابرات فقد كانت في وادٍ بالقرب منه، ترصده وترصد غيره، وقد إقترحت إبعاده إلى الأقاليم، حتى يكون بعيداً عن السياسة، ونقل إلى الأبيض، ثم شندي، وعطبرة تابعه لشندي. وفي عطبرة ألقى محاضرة في نادى العمال عام ١٩٤٢م طرح فكرة إنشاء إتحاد لعمال السودان، ثم نقل إلى كسلا، ثم إلى مدني، وهنالك قدم استقالته، وأعطى رخصة المحاماة، ثم بموجب هذا انتقل إلى العمل السياسي.

على أن المحجوب حينما ولج باب السياسة، كان الرتاج موصداً بقوة، فمؤتمر الخريجين له أفراد معينون يسدون فوهة البركان الموشك على الإنفجار، والمحجوب يريد أن يكون في القمة في كل شيء، وكذلك الأحزاب محجوزة، حتى أنت يا حزب الأمة لم تكن طيعاً، فالمقاعد الثلاثة محجوزة، ولعبة الكراسي هنا لا تجوز أصلاً أمام هذه الطائفية، والطائفية بغيضة عند المحجوب، ولكن رغم ذلك البغض تعامل معها، أين المفر؟ أم أين الاتجاه؟ نعم الإستقلال. له جانب كبير من سعة الأفق، حيث تبنى فكرة جبهة تحرير السودان، حتى تعمل على إسقاط الطائفية، ويكون الولاء للنقابات والتنظيمات السياسية

نغدو على الذلّ، أحزاباً مُفرَّقةً

ونحن كنّا لحزب اللهِ فرسانا

في عام ١٩٤٤م إنضم للقوميين وينادون بوضع السودان تحت الإنتداب البريطاني حتى يبلغ مستوى النضج السياسي، ثم إنضم أنصار الحزب إلى حزب الأمة، وعلى رأسه المحجوب، وذلك عام ١٩٤٥م.

قامت انتخابات فى السودان، وقد أسفرت الإنتخابات عن فوز الحزب الوطنى الإتحادي بأغلبية المقاعد، وكون إسماعيل الأزهري أول حكومة وطنية في البلاد، في ١٦ يناير ١٩٥٤م. والحزب تدعمه طائفة الختمية، بزعامة الميرغني، بينما بقيَ حزب الأمه الذي تدعمه طائفة الأنصار في المعارضة.

في ١ يناير ١٩٥٦م تم إستقلال السودان في جلسة تاريخية، ثم تولى المحجوب منصب وزير الخارجية، وفي عام ١٩٦٧م. إنقسم حزب الأمه إلى جناحين: جناح الإمام الهادي المهدي، وجناح الصادق المهدي ودخل المحجوب مع الهادي.

في ١٩٥٨/١١/١٧م نتيجه للخلافات بين الأحزاب تدخل الجيش، وإستولى الفريق إبراهيم عبود على السلطة، حتى أطاحت به ثورة إكتوبر الشعبية عام ١٩٦٤. ثم في حكومة إكتوبر تولى منصب وزير الخارجية ١٩٦٤م.

ثم في فترة الديمقراطية الثانية ومن عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٦٨م قامت ثلاث حكومات على النحو الأتي: وزارة المحجوب الأولى، مايو ١٩٦٥م حتى يوليو ١٩٦٦م، وزارة الصادق المهدي، يوليو ١٩٦٦م حتى مايو ١٩٦٧م، وزارة المحجوب الثانية، مايو ١٩٦٧م وحتى ابريل ١٩٦٨م.

وعُقدت في فترته القمة العربية، وقد عُرفت بقمة اللاءات الثلاث، وإستطاع المحجوب بحنكتة وخبرته التوسط بين الملك فيصل وجمال عبد الناصر، وتم إزالة الخلاف بينهما، إن لم يكن من أجل ماء عيونهما فمن أجل فلسطين.

هذي فلسطينُ كادتْ، والوغى دولٌ
تكونُ أندلساً أخرى وأحزانا

ونتيجه للخلافات الحزبية تم حل الجمعية التأسيسية، وأجريت إنتخابات جديدة في السودان، وبناء على نتيجة الإنتخابات تكونت وزارة المحجوب الثالثة، ومثلت إئتلافا بين حزب الأمة، والإتحادي الديمقراطي، وإستمرت الوزارة حتى استولى العقيد جعفر محمد نميري علي السلطة في ٢٥ مايو ١٩٦٩م.

هذا هو الجانب السياسي، أما الجانب الأدبي فقد كان فيه مميزاً أيضاً، وله مؤلفات كثيره منها (الحكومة المحلية)، وكتاب (نحو الغد)، و(كتاب الحركة الفكرية في السودان إلى أين تتجه)، (الديمقراطية في الميزان)، (الفردوس المفقود)، (قصة قلب)، (قلب وتجارب) وكتب أخرى.

ذهبت إلى البحر لأرى منظر الغروب، أين يذهب ذلك الشعاع، إلى عوالم أخرى أتخيلها في مخيلتي، فتختفي رويداً رويداً، ثم تنسل مع الإصباح، ولكن أنت ذهبت وليس لك عودة وذلك ١٩٧٦م.

٥٤ - أحمد خير المحامي

لم يكن استقلال السودان يحتاج إلى السياسي والمحارب فقط، ولكن فوق ذلك المحامي الناجح الذي لا تفوته شاردة ولا واردة.

ندخل عالم أحمد خير المحامي وتاريخ ميلاده عام ١٩٠٢م في (فداسي الحليماب)

وجده من الذين إنخرطوا فى جيش دولة الأتراك، وكذلك (إبن الوز عوام) حيث عمل والده أيضاً في خدمة الدولة التركية، وذلك في مدينة سنجة.

وحينما قامت الثورة المهدية كان والده يعمل وفق ما يمليه عليه ضميره، أليس من أخذ الأجر حاسبه الله بالعمل؟ ويعمل على حفظ النظام للدولة التركية، على أن والده تخوف بعد إنتصار الإمام المهدي من مغبة ما قد يحدث له وللأسرة، ولذلك تنقل من قرية إلى أخرى، حتى إستقر به الأمر في فداسي الحليماب بالجزيرة. ووالده ينتسب إلى الطريقة الهندية، وشيخها الشريف يوسف الهندي، وبينهما رباط روحي ونسب، إذ تزوج الشريف يوسف الهندي شقيقة الأستاذ أحمد خير.

دخل بعد ذلك أحمد خير المدارس، ودخل كلية غردون قسم المحاسبين، قامت هذه الكلية لحاجة في نفس يعقوب، ومن أجل تسيير دولاب الدولة، وسد حاجة الدولة من الموظفين.

قامت ثورة ١٩٢٤م نتيجة لأحداث اقليمية ومحلية بقيادة علي عبداللطيف وصحبه، وحدثت مواجهة سياسية وعسكرية مع المستعمر، آلت الأحداث إلى هزيمة الثوار.

تخرج أحمد خير عام ١٩٢٥م محاسباً من كلية غردون، لم يكن فرح أحمد خير بالتخرج أنيقاً، وذلك لخيبة الأمل في فشل ثوار ١٩٢٤م قد أحدث غُصة في الحلق، على أن الإعدامات قد لحقت ببعض الثوار، فهي نهاية مرة للمثقفين، نام المثقفون طويلاً، بعد هذه الأحداث، فقد كان أهل الكهف يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال، أما المثقفون فهذه صعبة عليهم، إلا حينما مَادَ العالم قليلاً، وذلك في بداية الثلاثينات، حينما ضربت الأزمة الإقتصادية العالمية بأطنابها فيه، حتى هذا الحدث فقد كان تحرك المثقفين فيه خجولاً، حيث احتج المثقفون على تخفيض رواتبهم، كما أضرب طلاب كلية غردون عن الدراسة، وعينهم هنالك على السرايا، ولكن السيد عبدالرحمن المهدي لم يخيب ظنهم، وتوسط بينهم وبين الحكومة.

عمل أحمد خير محاسباً في دواوين الحكومة المختلفة، حيث عمل فى كل من الخرطوم، ثم نقل إلى مدني، ثم في نهاية الثلاثينات بزغ نجم المثقفين.

لم يكن العمل السياسي صعباً عليه، فقد نزل فيه بكل ما يملك من قوة، ظهر مؤتمر الخريجين، كان المؤتمر يحاول أن ينقص الأرض من أطراف الإمبراطورية التي زعموا أن الشمس لا تغيب عنها، كان للمؤتمر دورات مثلما للحياة دورات، إذا ذكر مؤتمر الخريجين، فإن بريق الذاكرة يتوقد، وتظهر شخصية أحمد خير، في عام ١٩٣٧م نادى أحمد خير في محاضرة له في نادى الخرجين بمدني (واجبنا السياسي بعد معاهدة ١٩٣٦م) نادى بفكرة

قيام مؤتمر للخريجين، على أن هذا الجنين الشرعي للحركة الوطنية قد شب سريعاً. فى عام ١٩٣٨م أصبح المؤتمر جسماً له معنى، وأصبح الأزهري سكرتيراً للمؤتمر، وأصبح أحمد خير أهم اللاعبين فيه.

في عام ١٩٣٩م أتت فرصة من ذهب لأحمد خير لدراسة القانون في مدرسة الحقوق، إغتنم أحمد خير تلك الفرصة، ودخل المدرسة، وإنكب في الدراسة والتحصيل، وبينما أحمد خير يقلب في الكتب، كانت البلاد تتقلب في أجواء ساخنة. مضت سنوات الدراسة سريعاً له، حيث تخرج في العام ١٩٤٣م. ومعه عدد من زملائه، ومنهم بابكر عوض الله، وقد إلتحق أحمد خير بالمحاماة.

تتابعت الأحداث في السودان، ونال السودان إستقلاله، ثم تولى إسماعيل الأزهري الوزارة، وجاء بعده عبدالله خليل ممتطياً جواداً بين جواد السيدين، وفي العام ١٩٥٨م إستولى الفريق إبراهيم عبود على السلطة، وأحمد خير من الذين جملوا وجه سلطة الفريق عبود، حينما دخل في التشكيل الوزاري وزيراً للخارجية، فهو من أنجح الوزراء الذين تولوا هذه الوزارة. على أنه حينما جاءت ثورة مايو بقيادة نميري، لم يهادن تلك الثورة بل عارضها.

هؤلاء الزعماء الخالدون دخلوا فقراء على الدنيا، وبنفس تلك الكيفية خرجوا منها، ولكنهم تركوا السيرة، والأسوة الحسنة. تُوفيَ في يناير ١٩٩٥م.

٥٥ ـ الشيخ علي عبدالرحمن

كان يرتدي جبة وعباءة وقفطان، وهي أزياء بلدية، ومع ذلك فهو سياسي حتى النخاع، فالأزياء التي نرتديها لا علاقة لها بهوية الشخص وإتجاهاته.

الشيخ علي عبدالرحمن الأمين الضرير، سليل أسرة آل الضرير المشهورة في تاريخ السودان بالعلم والدعوة الإسلامية، ولد الشيخ بالخرطوم، تدرج في مراحل التعليم المختلفة، حتى دخل كلية غردون عام ١٩٢٦م حيث تخرج من قسم القضاء فيها، حيث عمل قاضياً شرعياً، وتنقل في أنحاء السودان المختلفة، ولعل من أهم المناطق التي عمل فيها، جزء عزيز من الوطن، إنشطر عنا نتيجة لأطماعنا، لا نملك إلا ونتمعن في الأطلس القديم، ثم تنساب منا الدموع على الخدود، إنه الجنوب الحبيب، وهو حينما ينقل إلى أي مكان لا يسأل عن الجار والدار كما جرى العرف، ولكنه يسأل عن المساجد ومنابرها حتى يعتلي تلك المساجد، فتخرج منه كلمات معتقة ليس فيها (شق ولا طق) كما طاف مناطق الجنوب الحبيب، وهو داعية

ولا المساجدُ يسعى في مآذِنِها
مع العشيّاتِ صوتُ اللهِ رَيّانا

كأن هذه القصيدة أيها المحجوب، قد قيلت في الجنوب، وليس الأندلس.

بعد ذلك نخرج معه في هواء الله الطلق إلى العمل السياسي، وهو من (البدرين) الذين إنضموا إلى مؤتمر الخرجين، ثم بعد ذلك ذهب إلى حزب الأشقاء، وعندما قامت ثورة يونيو المصرية ١٩٥٢م عملت إلى توحيد الأحزاب الإتحادية في حزب واحد، تحت مسمى الحزب الوطني الإتحادي، إنضم الشيخ له، بعد إتفاقية ١٩٥٣م والتي قادت البلاد إلى الإستقلال، أصبح وزيراً للمعارف فى حكومة أزهري.

ندخل العام ١٩٥٦م حيث لم تكن نظرية (كل ختمي إتحادي، وليس كل إتحادي ختمي) نظرية ثابتة مثل نظرية فيثاغورث، فالسياسة لها نظرياتها الخاصة بها، حيث إنشق الإتحاديون والختمية، فكون الختمية، حزب الشعب الديمقراطي، لم تكن هنالك مشكلة في رعاية الحزب، فالسيد علي الميرغني موجود، أما الرئاسة فهي لك يا شيخ علي، إذن فهنالك سيد وشيخ وابن سيد، مما يعني أن الإمور فى السليم. واصبح أحمد السيِّد حمد سكرتيراً للحزب، ومقره في أم درمان، وأصدر صحيفة الجماهير، إلى جانب صوت السودان، كما أجاز دستوره الدائم، الذي يعمل على (تحقيق وحدة الأمة العربية، ووحدة الوطن العربي)، والإقرار بالإسلام ديناً رسمياً للدولة، مع مراعاة حقوق الأقليات.

لم تكن هنالك إلا بضعة أشهر من خروج الإنجليز من السودان، حتى غطى ضباب لندن الشهير الخرطوم، ليس هنالك طريقة لإنقشاع تلك الغيوم إلا بلقاء السيدين، السيد علي والسيد عبدالرحمن وقد تم ذلك، ومن ثمرة ذلك اللقاء إخراج أفضل لاعب في الفريق، أيها

الأزهري اذهب إلى كنبة الإحتياطي، وتشكلت حكومة إئتلافية بين حزبي الأمة والشعب، وأصبح عبدالله خليل رئيساً لتلك الحكومة، وأصبح الشيخ نائباً له، ووزيراً للداخلية، على أن هذه الحكومة لها بعض الإنجازات في التعليم والصحة، وهنالك مشاكل أخرى تعيق ادائها.

استولى الفريق إبراهيم عبود فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م على السلطة فبعد هذا الإنقلاب هادن الشيخ وحزبه النظام العسكري.

لم يستمر الفريق عبود في السلطة كثيراً، فقد قامت ثورة إكتوبر الشعبية عام ١٩٦٤م وتولى سرالختم الخليفة رئاسة الوزارة، وقامت بعد عام من ذلك إنتخابات، عارضها وقاطعها حزب الشعب.

ندلف إلى العام ١٩٦٧م ونشاهد تصافح الأيدي بين الإتحادين، ودمج الحزبين فى حزب واحد هو الإتحادي الديمقراطي، وأضحى الشيخ نائباً لرئيس الحزب، حيث خاض الحزب الإنتخابات وفاز الشيخ في دائرة بحري، وأختير عام ١٩٦٨م نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية.

كانت لديه (شعرة معاوية) فقد إحتفظ بعلاقات قوية مع الحزب الشيوعي، والذى يسيطر على أغلبية الإتحادات، مما دعا خصومه أن يطلقوا عليه (الشيخ الأحمر)

وله علاقات خارجية متميزة، حيث شارك في مؤتمر شعوب القارات الثلاث في هافانا، كما له علاقات متميزة مع الرئيس المصري جمال عبدالناصر.

في ١٩٦٩م إستولى المشير نميري على السلطة، وأراد أن يستفيد من تجربة الشيخ في الحكم، حيث دعاه للمشاركة في نقاش حول تجربة الحكم المحلي، إلا أن الشيخ هاجم تلك التجربة، ورأى أنها ستحيي القبلية، وقد صدق فيما يقول. كما حذر نظام النميري من فرض نظام الحزب الواحد.

من أهم كتبه كتاب (الديمقراطية والإشتراكية في السودان) توفاه الله في العام ١٩٨٠م.

٥٦ - عبدالحليم محمد

أن تكون على قمة الهرم الرياضي والسياسي والطبي فهذه قدرات ليست طبيعية، ولكن هي طبيعية عند هذا، أيِ لقب أطلقه عليه من الألقاب، ولكن حسبه أن كل شيء آتٍ له، وزهد في كل شيء.

عبدالحليم محمد عبدالحليم، هنالك مركز الحركة الوطنية والرياضية، مدينة أمدرمان تعج بكل شيء، كأنها مجرة من المجرات، تجر كل مدن السودان حولها، ولد عبدالحليم عام١٩١٠م درس علومه المختلفة بمدينة أمدرمان، ثم بعد ذلك اتجه إلى دراسة الطب بمدرسة كتشنر الطبية.

ندخل بعد ذلك الملعب، وأرى من على البعد الحكم يتأهب لإطلاق الصافرة، ولكن لا أدري أي لبسة ألبسها، هل الكرفتة، أم ألبس معطفاً أبيض، أم فانلة وشورت، وأي لقب أطلقه عليه؟

عفوا أيَّها الرياضيون نتجه إلى السياسة، أسس مع آخرون جمعية الفجر، الواجهة السياسية والثقافية لأبناء الهاشماب بحي الموردة، ضمت فطاحلة الصفوة السودانية، عرفات محمد عبدالله، أحمد يوسف هاشم، التجاني يوسف بشير، يوسف التني ومحمد أحمد المحجوب، الذى كان و حليم روحين في جسد واحد، لم تكن السُّره شقيقة حليم، وزوجة المحجوب هي الرابط، ولكن هنالك روابط كثيرة ربطت بينهم، فكتبا معاً كتاب (موت دنيا).
جاء إسم الهاشماب من جد الأسرة، الشيخ أبوالقاسم هاشم، ويقع الحي الآن في منطقة تشتم منها رائحة التاريخ، حيث يقع غرب دار الرياضة أمدرمان، وشمال حي الموردة. وهذه الجمعيه كأنها تقول (الأوصياء يمتنعون)، وهي ضد الوصاية والقداسة السياسية، والطائفية المقيتة، حيث أن نظرتهم قومية.

قام في عام ١٩٣٨م مؤتمر الخريجين كأنه تمساح عشاري يفتح فكيه لكي يلتهم الطائفية والقبلية، فقد كان حليم وزملائه ممن شاركوا في قيام المؤتمر، وكانوا ممن كتبوا مذكرة المؤتمر الشهيرة، والتي عرفت بمذكرة المطالب، وتنادي بجملة بنود: أهمها حق تقرير المصير للسودانيين، وقيام حكم ذاتي لمدة ثلاث سنوات، ويبدو أن المخابرات البريطانية تعلم جيداً مكان أنياب العشاري، فلم تحتاج إلى عناء كبير لخلع تلك الأنياب، فأتت رياح هوجاء حركت كتلة المؤتمر، فتناثرت الصخرة إلى أجزاء صغيرة هي الأحزاب السياسية.

تتابعت الأحداث في السودان، وقامت الإنتخابات، واكتسح الحزب الوطني الإتحادي الإنتخابات، وتم إعلان الإستقلال، وقد عمل عام ١٩٥٦م وحتى عام ١٩٦٠م رئيساً لمجلس بلدية الخرطوم، ثم بعدها إستولى الفريق عبود على السلطة، وقامت ثورة شعبية أطاحت به في إكتوبر ١٩٦٤م وتم حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وتم تكوين حكومة مدنية

إنتقالية، برئاسة سرالختم الخليفه، وتم تكوين مجلس السيادة الثاني، وهو مؤقت لمدة عام، حتى يتم إجراء إنتخابات عامة، والأعضاء فيه عبد الحليم محمد، التجاني الماحي، مبارك الفاضل شداد، إبراهيم يوسف سليمان ولويجي أدوك.

الآن نلبس معطفاً أبيضاً وندخل عليه بهدوء حتى لا نزعج المرضى، تخرج من مدرسة كتشنر الطبية بإمتياز عام ١٩٣٣م وعمل بالمصلحة الطبية عقب تخرجه، نال عام ١٩٤٨م عضوية الكلية الملكية للأطباء بلندن، وكذلك زمالة الكلية الملكية للأطباء بلندن.

عمل مديراً لكل من مستشفيات الخرطوم وأمدرمان، كما شغل منصب رئيس مجلس إدارة جامعة الخرطوم.

حان الآن وقت نزع الكرفتة والمعطف ولبس الفانلة والشورت، هنالك فتى نحيف يهرول داخل الميدان عندما يصاب أحد اللاعبيين، سأل الانجليز عنه، فعلموا أنه نجح في الطب بإمتياز، على أن الهرولة إستمرت بعد ذلك، ثم تحولت إلى قعدة وقار داخل المحافل الكبرى.
إتجه بعد ذلك من الطب الرياضي، إلى العمل الإداري، حيث تمكن من تأسيس اللجنة الأولمبية السودانية عام ١٩٥٧م ومكونة من عدد من الإتحادات: أهمها التنس الأرضي وألعاب القوى وكذلك أسس إتحاد كرة القدم السوداني، ومن المؤسسين للإتحاد الإفريقي لكرة القدم، حيث تكون من أربعة دول وهى السودان، ومصر، وإثيوبيا وجنوب إفريقيا، ثم بعد ذلك تم إستبعاد جنوب إفريقيا، وذلك لسياسة الفصل العنصري، وفى عام ١٩٦٨مجاء حليم رئيساً للإتحاد الإفريقي، حتى عام ١٩٧٢م حيث حقق الفريق القومي السوداني في عهده بطولته الوحيدة وذلك عام ١٩٧٠م.

له عمل رياضي ضخم ومؤثر، وبفضله أصبح السودان عضواً في عدد من المؤسسات الرياضية، وأصبح عبدالحليم عضواً في الفيفا، واللجنة الأولمبية الدولية، وعضو مكتب تنفيذي في الإتحاد الإفريقي، ومسؤول عن اللجنة الطبية في الإتحاد الإفريقي والدولي، وعضو فخري في الإتحاد الإفريقي، ورئيساً فخرياً للإتحاد الإفريقي.
ظل حليم رقماً مهماً في بطولات كأس العالم من ١٩٥٨م وحتى ٢٠٠٢م، وفي الدورات الأولمبية من ١٩٦٠م وحتى ٢٠٠٤م، وكل بطولات الأمم الأفريقية.

و له دور في مقاطعة دورة مونتريال بسبب الفصل العنصري، ودورة موسكو بسبب غزوها لأفغانستان.

كرمه رئيسا الإتحادين العالمي والأفريقي بلاتر وحياتو، وذلك حين حضرا للسودان لحضور إحتفالات الكاف بيوبيله الذهبي بحضور المشير عمر البشير ،ويحمل العضوية الفخرية للجنة الأولمبية الدولية.
(أراك هجرتنا هجراً طويلا ...وما عودتنا من قبل ذاكا) وكان ذلك الوداع الحزين بتاريخ ٢٠٠٩م.

٥٧ - التجاني الماحي

طبيب نفسي ورائد الطب النفسي في إفريقيا، والرئيس الانتقالي للسودان بعد ثورة أكتوبر.

ولد التجاني الماحي عام ١٩١١م، مدينة الكوة ترقد على ضفة النيل الأبيض، هنالك حيث الصفاء الروحي "عاد لا حوله لا قوّه.....حبيبي الليله في الكوة" درس مراحله الأولى في الكوة، والأوسط في مدينة رفاعة، والثانوي في الخرطوم، تخرج من مدرسة كتشنر الطبية، التابعة لكلية غردون عام ١٩٣٥، حيث حصل على دبلوم عالي في الطب النفسي عام ١٩٤٩م وهو أول سوداني، لا بل أول إفريقي يتخصص في الطب النفسي.

إنضم التجاني إلى الخدمة الطبية في السودان، حيث عمل بالمصلحة الطبية، وعمل بعدد من مدن السودان المختلفة، مثل العاصمة المثلثة، وادي حلفا وكوستي، وانشأ عيادة للأمراض العصبية بالخرطوم بحري،كما عمل مستشاراً إقليمياً في منظمة الصحة العالمية حول الطب النفسي، وذلك في أعوام١٩٥٩ -١٩٦٩م، وعضواً في لجنة الصحة العقلية، وعضواً في اللجنة التنفيذية للإتحاد العالمي للصحة العقلية.

كانت له مكتبة ضخمة، ولكنها كانت مرصوصة فى ذلك الذهن الوقاد، حيث كان يتلقف كل دورية عربية أو إنجليزية تطلع إلى حيز الوجود، هو (دكشنري) بمعنى الكلمة، حيث يقرأ فى اليوم ما يقارب من الثمانية عشرة ساعة، بالإضافه إلى ذلك لم يكن طبيباً نفسياً فحسب، ولكنه طبيب إجتماعي، يصلح بين القبائل المختلفة، لو مثل هؤلاء موجودون الآن، لحلت مشكلة دارفور قبل أن يوزع الساقي أقداح المياه.

قامت في ٢١ اكتوبر ١٩٦٤م ثورة إكتوبر حيث ثارت قطاعات من الشعب ضد حكم الفريق عبود، وبعد أن نجحت الثوره قدم الفريق إبراهيم عبود إستقالته، وإستقالة حكومته، ومجلسه، كما تم تعيين سرالختم الخليفة رئيساً لمجلس الوزراء، وتكوين مجلس سيادة رئاسته دورية، وهذا المجلس مؤقت لفترة عام واحد، حتى يتم إجراء إنتخابات عامة. وتشكل على النحو التالي: عبد الحليم محمد، التجاني الماحي، مبارك الفاضل شداد، إبراهيم يوسف سليمان ولويجي أدوك.

أخرجت جبهة الهيئات هذه الولادة القيصرية المتمثلة في تلك الحكومة، ومجلس سيادتها، وهنالك رأي لبعض أعضاء الجبهة بتأجيل الإنتخابات العامة، ولكن هنالك التجاني يعلم بأن تأجيل الإنتخابات يعمل (نفسيات) للشعب السودانى، إذن (الروشته) جاهزه، قيام الإنتخابات في وقتها المعلوم، وقد لعب التجاني دوراً كبيراً في ذلك، حتى يتم تسليم السلطة للقوى المدنية المنتخبة.

عمل رئيساً لقسم الطب النفسي في كلية الطب بجامعة الخرطوم، ومن مؤسسي جمعية الطب النفسي الإفريقية، ويعتبر التجاني عميد الطب النفسي الإفريقي، ويدرس الأثار والحضارات الإفريقية القديمة.

من المؤكد إنه لم يكن بالقرب من شامبليون حينما فك رموز اللغة الهيروغليفية فيما يعرف بحجر رشيد، ولكن التجاني تعلم تلك اللغة وأجادها، وهو يعزف البيانو، وله معرفة بأغلبية الفنون.

ولقد أعجبت ملكة بريطانيا الملكة إليزابث بقدراته الثقافية والعلمية، وذلك حينما زارت السودان وذلك عام ١٩٦٥م.

ويذكر أن الدكتور بروك تشيشولم قدم التجاني لدى إنعقاد الإجتماع حول أفريقيا التغيير الإجتماعي، والصحة العقلية في نيويورك عام ١٩٥٩م، بقوله: "دكتور التجاني طبيب نفسي مميز... وفي كل حالة كان دكتور التجاني الماحي مدهشاً...ربما أن عقله الباحث، ودافعه الإستثنائي، وإهتمامه اللامحدود بالسلوك الإنساني، وشجاعته وإخلاصه هي الأشياء التي خلقت شخصية التجاني الفريدة"

انتخب التجاني الماحي نقيباً لأطباء السودان، ورئيساً للجمعية الطبية السودانية، ومنح درجة الدكتوراة في العلوم في كل من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، وجامعة الخرطوم تكريماً له، وهو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

له عدد من المؤلفات أهمها مؤلفه مقدمة في تاريخ الطب العربي، خلفه صدقة جارية تستفيد منها الأجيال قاطبه، ومكتبة ضخمة فهو يحب أن يقتني الكتب المختلفة والنادرة، وهي جزء من مكتبة جامعة الخرطوم، تحتوي علي عدد من المخطوطات النادرة، ويعتبر مستشفى التجاني الماحي هو أول مستشفى ينشأ للصحة النفسية والعصبية في السودان، في مدينة أم درمان، وقد أقيم تخليداً لذكراه.

مع هذا الصفاء الروحي والنفسي فقد أتت النهاية، فقد سكت هذا القلب الذي كانت نبضاته كأنها منبه، ينبه الناس إلى أن الآجال معلومة، وذلك عام ١٩٧٠م.

٥٨ - الصديق المهدي

هنالك على البعد صوت يشبه صوت الأستاذة وصال الصديق المهدي، ولكنه ليس صوتها، صوت كانت فيه قوة دفع، يخترق المكان والزمان، ويقول بهمس وأدب، ومن وراء سُتر وبفخر "أنا زوجة خليفة، وبنت خليفة، وأخت أربع خلفاء" إنه صوت فاطمة بنت عبدالملك بن مروان.

هو الصديق عبدالرحمن المهدي، حفيد الإمام المهدي، وابن الإمام عبدالرحمن، ووالد الإمام السيد الصادق المهدي، الزعيم السوداني البارز. ولد في مدينة أمدرمان، عاصمة الدولة المهدية عام ١٩١١م والدته السيدة خديجة بنت الخليفة محمد شريف.

تلقى دروس في القرآن الكريم والفقه بخلوة مسجد الإمام عبد الرحمن بودنوباوي، على يدي الفكي ود أحمد، ثم درس الأولية بودنوباوي، ثم تخرج من كلية غردون قسم الهندسة، حوالي عام ١٩٣٣م.

في منتصف الثلاثنيات كان السودان هادئاً، ولم يكن العالم بنفس الهدوء، أما الحركة الوطنية فقد ضُربت في مقتل، بعد أحداث ثورة ١٩٢٤م هنالك الحركة الوطنيه تقف على الرصيف، لا تنتظر قطاراً، ولكنها تنتظر حدثاً عالمياً يخرجها من عزلتها، وإنكفائها على ذاتها، كان الشاب الصديق بكامل هندامه من المنتظرين.

أتى الحدث سريعاً، الأزمة الإقتصادية العالمية، أمَّا المثقفين قد تخوفوا من السياسة، حينما علموا بأن بها إعدامات، أما الطلاب وهم وقود المستقبل، فيقتحمون هذه اللجة، فقد قام طلاب كلية غردون نهاية عام١٩٣١م بقيادة مكي المنا، ولجنة لتسيير الإضراب بها سبعة أعضاء، والسيد الصديق من ضمنهم، ومن أهداف الإضراب، الإحتجاج على تخفيض مرتبات العاملين في الدولة، جراء الأزمة الإقتصادية المذكورة، وكذلك للمطالبة بحقوق الطلاب، وحقوق الخريجين الوظيفية، وقد تجلت حكمة السنين عند السيد عبدالرحمن، فكان له دور في إنجاح المفاوضات، والتوسط بين الطرفين، وإنهاء الإضراب.

بعد إحتفالات التخرج، توجه إلى الجزيرة أبا، المعقل الرئيسي لطائفة الأنصار، حتى يتم له الإستزاده من العلوم الدينية، وكذلك معايشة المجتمع الأنصاري، والمشاركة في همومه، على أنه بعد ذلك أصبح الساعد الأيمن لوالده، حيث تقلد إدارة قاعدة إقتصادية ضخمة، وهي دائرة المهدي، وبكافة مسمياتها المختلفة، التجارية، الزراعية، والعقارية.

دخل العمل السياسي من أوسع أبوابه، حيث شارك في العمل السياسي مع حزب الأمة، وقاد وفد الجبهة الإستقلالية لمجلس الأمن في نيويورك ١٩٤٧م، وذلك أثناء مناقشة مجلس الأمن للمسألة السودانية، في الفترة من يوليو إلى سبتمبر ١٩٤٧م وبصحبته فطاحلة العمل السياسي، مثل عبد الله خليل، ومحمد صالح الشنقيطي، ومحمد أحمد المحجوب.

أنتخب أول رئيس لحزب الامة عام ١٩٤٩م والحزب تحت رعاية السيد عبدالرحمن.

قامت إنتخابات فى السودان بعد اتفاقية ١٩٥٣م فقد كانت سابقة لم تتكرر بعد ذلك، حيث أحرز الحزب الوطني الإتحادي بزعامة أزهري أغلبية مريحة مكنته من تشكيل الحكومة منفرداً، والسيد الصديق قد فاز في دائرة كوستي الشمالية، ويبدو أن الأزهري قد أصيب بعين، أليس العين حق؟ فقد خرج الختمية منه، وأصبح وحيداً، ولم يكن بالقرب منه طوب حتى يشتكي إليه. ثم في عام ١٩٥٦م سقطت حكومة الأزهري، وقام إئتلاف بين حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي، الموالي للختمية، برئاسة عبدالله خليل.

لم تكن الصراعات بعيدة عن حزب الأمة، فقد إحتدم الصراع داخل الحزب بين تيارين: الأول وهو الأقوى، ويقوده السيد الصديق، ويرى بفض الشراكة مع حزب الشعب، والإتجاه إلى شراكة مع الحزب الوطني، وتكليف أزهري برئاسة الوزراء، وهذا الجناح يرى أن حزب الشعب غير جاد في إجازة الدستور الدائم للبلاد، والتيار الآخر يقوده عبدالله خليل، والذى صمت، وأن في الصمت لكلام، الواضح أن المشوار بين القصر الجمهوري، والقيادة العامة، ليس بعيداً، أيها العسكر (البلد بلدكم).

في١٧ نوفمبر ١٩٥٨م إستولى أو تسلم -لا يهم فالعبارات في هذا البلد ليس لها شروح- الفريق ابراهيم عبود السلطة، أصدر السيد عبدالرحمن بياناً بتأييد الإنقلاب، كان السيد الصديق في جولة في أوروبا، وحينما علم بذلك قطع الرحلة وعاد فوراً، ومن المطار إلى السرايا مباشرة، حتى الماء لم يشربه، وهنالك عتاب رقيق، بين الأب والابن، وفي حدود الأدب الجم الذي تتمتع به هذه الأسرة.

في ٢٤ مارس ١٩٥٩م انتقل السيد عبدالرحمن إلى رحمة مولاه، وتمت مبايعة السيد الصديق إماماً للأنصار، ليستمر وبقوة في معارضة حكم الفريق عبود.

في ٢١ اغسطس١٩٦١م هنالك أحداث المولد، حيث أطلقت الشرطة الرصاص الحي على المتظاهرين، وإستشهد حوالي سبعة عشر شهيداً، هل يحتمل قلبك الرهيف هذا الحدث؟ المؤكد لا، أين مثل هؤلاء الزعماء؟ فبعد إثنين وأربعين يوماً لحقت بهؤلاء الشهداء، تشكو ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

٥٩ - محمد طلعت فريد

هنالك عدد من الشخصيات يلبسون عدداً من الجلاليب المختلفة، يجد الكاتب مشقة كبيرة في متابعة هذا الشخص المعني، والركض خلفه، وتحديد الاتجاهات التي يتمتع بها هذا الشخص.

اللواء محمد طلعت فريد ليس هنالك شيء يستعصى عليه، إداري محنك، ووزير له درجة عالية من الكفاءة، ولاعب قل أن تجد له نظير في فريق الهلال، وأول من أدخل اللعب بالأحذية في كرة القدم السودانية.

ولد عام ١٩١٣م أكمل تعليمه الأولي والأوسط بأم درمان، ثم درس بكلية غردون، وتخرج منها عام ١٩٣٢م، الآن ننزع عنه البزة العسكرية، ونلبس الفانلة والشورت وندخل معه الميدان، ولكن مهلاً لم يلبس البزة العسكرية بعد، فالآن إلى (الميدان يا حميدان).

بدأت مسيرته الرياضية وهو يافع، حيث بدأ في فريق الحي فيما يعرف ب (كرة الشراب)، كان ثوار ١٩٢٤م يتحركون في العاصمة، أما هو فيتحرك ومعه الكرة، لا يعنيه ما يحدث الآن، فهمه منصب نحو اتجاه واحد، أما العسكرية فلها أوانها.

وجد عناية بدنية من أساتذته في المدرسة الأولية بأم درمان، خاصة من الأستاذ المصري أحمد حشمت، الذي يشجعه، برع محمد في فريق كلية غردون ومن أبرز أعمدته ، وله تكوين جسماني ممتاز، وكان مهاجماً فذاً يعرف طريق الشباك جيداً، ولكن هل هنالك شباك وأحذية، وعلى ذكر هذه الأخيرة، فهو أول من أدخل الأحذيه في السودان.

بعد ذلك بدأت مسيرته بالطواف على الأندية الرياضية، حيث لعب لفريق عباس الرياضي، وبعدها تحول إلى فريق المريخ، ثم ذهب إلى الهلال، ثم إلى المريخ، بعدها عاد إلى الهلال، (والعود أحمد)، وكان ذلك عام ١٩٣٥م تقاعد عن اللعب عام ١٩٤٠م لظروف صحية، ثم رجع للميادين مرة أخرى حتى إعتزل في عام ١٩٤٩م. وفي عام ١٩٣٠م من المفترض أن ينطلق صاروخه من منصة الإنطلاق في الخرطوم إلى إنجلترا، ليلتحق بأحد فرقها الكبيرة، لكنه رفض السفر، وفضل اللعب بالسودان.

هل نخلع الفانلة ونتجه نحو البزة العسكرية؟ ليس بعد فما زلنا معها، ولكن في إتجاهات أخرى، له عشق مع الرياضة، ليس هنالك لعبة عصية عليه، التنس والجمباز والملاكمة.
منح الهلال والمريخ والموردة، قطع أراضي لتشيد عليها أنديتها، وإستاداتها حتى صار لقبه (أبو الرياضة).

الآن وقد أخذت منا الرياضة كل المساحة، فقد إشتقنا للبس البزة العسكرية والبوت، فالآن نتجه إلى ميدان الدروة ،تخرج محمد برتبة ملازم ثان من الكلية الحربية، وذلك عام ١٩٣٨م والكلية تعرف بـ (مركز تعليم) وترتيبه الثالث على الدفعة.

ومن أبرز أفراد دفعته اللواء أحمد عبد الوهاب واللواء حسن بشير نصر، ثم إلتحق بقوة دفاع السودان، التي قاتلت الطليان في جبهة شرق إفريقيا، على منطقة كسلا، خلال الحرب العالمية الثانية، وقد جرح في تلك الحرب.

عمل بالفرقة الإستوائية قائداً لحامية توريت، وفى هذه الاثناء استولى الفريق إبراهيم عبود على السلطة ،تم استدعاء محمد طلعت على عجل، أيها الفريق مكانك عضواً في (المجلس الأعلى للقوات المسلحة).

ثم بعد ذلك لبس الكرفتة ودخل ميدان العمل السياسي، من أوسع أبوابه، وبنفس التكتيك والتكنيك الذى أدخله فى كرة القدم، فقد أدخله فى العمل السياسي، عمل فى عام ١٩٥٨ - ١٩٦٢م وزيراً للاستعلامات والعمل والرياضة، ثم وزيراً للتربية والتعليم ١٩٦٣م - ١٩٦٤م.

بعد سقوط حكم الفريق عبود واصل العمل الرياضي والإجتماعي، حيث ترأس اللجنة الأولمبية السودانية ١٩٧٥م - ١٩٧٦م ثم تكريمه من قبل المؤتمر الرياضي العربي بالمغرب، والمؤتمر الرياضي الإفريقي بالجزائر. كرمته ثورة الإنقاذ الوطني عام ١٩٩٠م وتم منحه وسام الرياضة، وأطلق اسمه على مجمع شؤون الرياضة، ليصبح مجمع اللواء محمد طلعت فريد. كما تم تكريمه من قبل أندية الهلال والمريخ والموردة والإتحادات الرياضية.

ثم ماذا أيها الفريق... رحمة مولاه... نعم المولى ونعم النصير وذلك عام ١٩٩٢م ودفن بمقابر فاروق بالخرطوم.

٦٠ - التجاني يوسف بشير

قم يا طرير الشباب غن لنا غـــــن
يا حلو يا مستطاب أنشـودة الجــن
وأقطف لى الأعناب وأمـلأ بها دنـــي
من عبقري الرباب أو حرم الفـــن
وامسح على زرياب واطمس على معبد
وأمش على الاحقاب وطّف على المربد
وأغشى كنار الغاب في هدأة المرقـد
وحدث الأعراب عن روعة المشهـــد

يا طرير الشباب، لا تقم وإنك لا تستطيع إلى ذلك سبيلاً، نم قرير العين، زرياب رحل من المشرق إلى المغرب، يعلم كل شيء من الغناء إلى الطب، فقط شيء واحد يجهله، أن الحسد قاتل، أما أنت يا تجاني، فكنت تعلم الشعر والجملة الأخيرة.

التجاني يوسف بشير بن الإمام جزري الكتيابي، شاعر سودانى معروف، ولد في مدينة أم درمان العاصمة الوطنية، ومصنع الثقافات، وذلك عام ١٩١٢م هو من جهة الأب كتيابي، أما من جهة الأم فهو جعلي، إذ أن أمه نور الشام بابكر محمد علي الجعيلى، وأسرته مكونه من شقيقين، وست شقيقات، وهو خال الشاعر المشهور عبدالقادر الكتيابي.

تعلم في خلوة عمه الشيخ محمد الكتيابي، حيث حفظ القرآن الكريم صغيراً، ومن زملائه في الخلوة الشاعر محمد عبدالقادر كرف.

ذهب للدراسة في المعهد العلمي، به كل العلوم الدينية كأنه أزهر مصغر، وقد رشحه شيخ الخلوة لدخول المعهد، وتم قبوله، والمعهد يدرس إثنى عشر عاماً، وبعدها يتخرج الطالب بالشهادة العالمية.

دخل التجاني المعهد في المرحلة الإبتدائية، درس في المعهد علوم اللغة العربية والفقه وكان يقرض الشعر بين أنداده، وهو حاد الذكاء كأنه إياس بن معاوية في ذكائه، لم تكن هنالك سن عمرية لدخول المعهد، وقد درس على شيوخ كبار، أما هو فقد كان عمره حوالي ثلاثة عشر عاماً، ونتيجه لهذا العمر الصغير كان مشاغباً، ويسأل عن أشياء أكبر من عمره، حيث أراد هؤلاء الشيوخ التخلص من هذه الشخصية، ودبرت هذه المؤامرة، والعين تشوف العين، وفصل من المعهد لخلاف فكري بينه وزملائه، تم تصعيده لمرحلة تكفيره.

على أن هذه قصة لها أصل ورواية، لا بل عدد من الروايات، ولكننا هنا نستصحب الرواية المتواترة، هنالك نقاش حاد بين الطلاب حول شعر شوقي، وشعر حافظ، هل هؤلاء الشيوخ يجرونه إلى شيء معين؟ وحينما سئل عن رأيه، قال: الفرق بين شعر حافظ وشوقي

كالفرق بين القرآن الكريم وأي كتاب آخر، فقال الطلاب أن التجاني يقول أن شعر شوقي مثل المصحف، وذهبوا به إلى شيخ المعهد، أحمد محمد ابودقن وتم فصله.

قالوا وَارجفت النُفوس وَأوجفـــت
هَلَعاً وَهاجَ وَماجَ قُسـور غابـه
كفر إبن يوسف مِن شَقي وَأعتَدي
وَبَغى وَلَستُ بِعابـئ أو آبـه
قالو احرقُوه بل اصلبوه بل انسفو
للريح ناجس عظمه وإهابـــه
وَلَو ان قُوق المَوت مِن مُتلمـس
لِلمَرء مـد إلَـي مِـن أسبابـــثه

ثم بعد ذلك حاول إكمال دراسته في مصر، إلا أن ظروفه لم تسمح له بذلك، كما أن الأسرة تخاف عليه كثيراً، إلا أن التجاني طرح أحزانه بعيداً، ودخل الحياة العملية، حيث عمل عاملاً في محطة لبيع الوقود، ثم عمل في شركة سنجر، وهذه الشركة تبيع ماكينات الخياطة، وبيوت الخياطة من أرقى البيوت آنذاك.

في مطلع الثلاثينات ظهرت الأزمة الإقتصادية العالمية، عملت حكومة العهد الثنائي على تخفيض مرتبات العاملين، ظهرت إحتجاجات خجولة من المثقفين الذين انكفؤوا على أنفسهم. كما أن التجاني قاد تمرداً، ومعه مجموعة من الأشخاص، إحتجاجاً على ما حصل، فتم فصله عن العمل.

ثم بعد ذلك توجه إلى بلاط الصحافة، عمل مراسلاً لبعض الصحف المصرية، كان كحامل المسك يوزع هذه الجرائد، وينتفع منها والجرائد المصرية مثل الرسالة والبلاغ المصرية والمقطم والصحف السودانية: مرآة السودان والمجلة التجارية، ثم بعدها عمل مصححاً مع سليمان كشة في صحيفة مرآة السودان، ثم مع عرفات محمد عبدالله فى صحيفة الفجر، ثم عمل محرراً في مجلة أمدرمان لمحمد عبدالرحيم.

هنالك شعر ضاع من الشاعر التجاني، أيها الشاعر الفخيم سرق منك كل شيء، حتى الأعمال الأدبية حتى الصحة ،وهو أثناء عمله في مجلة أمدرمان، وحينما يجد مواد لم تكتمل فإنه ينزل فيها أشعاراً وبإسماء مستعارة، ونفس هذا الكلام ينطبق على مجلة الفجر "أضاف إلى التراث الأدبي السوداني والعربي ديواناً رائعاً أسماه [اشراقة] تسمت الكثير من بنات السودان في حينه، يضم قصائد روعة في الإنشاد والبلاغة والخيال" كما قال الشاعر العراقي فالح الحجية. كما يقول عنه د. عبدالله الطيب: "لم يجد التجاني يوسف بشير من نقاد العربية ما يستحقه من التقدير، ولم يشتهر بما هو أهل له من الإشتهار، وذلك عائد لحداثته، ولكونه من السودان" آه من العبارة الأخيرة.

أثناء عمله بالصحافه كان ينكب على القراءة، كأنه يعلم بأن عمره هارب منه، فإنكب على دراسة كتب الأدب القديم، وكتب أخرى، حيث دب فيه الوهن، وأصيب بداء الصدر، ولا يزوره إلا صديقه الشاعر محمود أنيس.

كَيفَ أجزيكَ يا أنيس وَما لي
مِن يَد بِالجَزاء مثلي تُساق

وحينما أتى إليه الموت، إبتسم في وهن

وَأنا اليَوم لا حِراكَ كَأن قَد
شَدَ في مَكمَن القِوى أوثاق
بِتُ أستَنشق الهَوى إقتِسارا
نَفس ضَيق وَصَدر طـــــاق
وَحَنايا مَعروقة وَعُيـــون
غائِرات وَرَجفة وَمَحـــــاق

أيها الجسد النحيل، هل تحتمل كل هذا (الطاءات)؟ طغيان الإنجليز و (طاعون العصر) داء الصدر، فقد تفاقمت عليه أعراض المرض، ولله ما أعطى، ولله ما أخذ، فقد أسلم الروح إلى بارئها عام ١٩٣٧م.

٦١ - محمد هاشم الهدية

الدين هنا أو هنالك، دخلت فيه شوائب كثيرة أفسدت العقيدة، وإخرجتها من مضمونها التوحيدي. إنبرى لتصحيح العقيدة رجال، هنالك الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أما هنا فأنت لم تكن أولهم، والمؤكد أنك لست آخرهم.

هو محمد هاشم الهدية، ولد عام ١٩١٢م في مدينة رفاعة، هذه المدينة ترقد بهدوء على الضفة الشرقية للنيل الأزرق، حالمة سعيدة برجالها هؤلاء. درس المرحلة الإبتدائية، ثم المتوسطة فيها، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة.

عمل في مصلحة البريد والبرق بالخرطوم، منذ العام ١٩٣٠م وعمره آنذاك لم يتجاوز سبعة عشر عاماً، وهي من أكبر المصالح آنذاك، وبها أميز الأدباء السودانيين، فإكتسب خبرات واسعة لمواجة أعباء الدعوة الإسلامية، والتي نذر نفسه لها. ثم بعد ذلك نقل إلى (فاشر السلطان) ثم نقل إلى الأبيض، ثم رجع إلى الفاشر، هؤلاء الأفذاذ يجبون هذا البلد الواسع، ويكتسبون خبرات في جميع المجالات.

و في عام ١٩٣٤م ذهب للعاصمة الخرطوم، حيث تطوع كفني لاسلكي في قوة دفاع السودان، حيث ظل مرافقاً للجيش السوداني حتى عام ١٩٣٨. واصل عمله في مصلحة البريد والبرق، ثم بعد ذلك أحيل للمعاش عام ١٩٦٨م.

دخل الطريقة الختمية، ثم بعد ذلك دخل الطريقة العزمية، ودرس علوم القرآن الكريم، على الشيخ عبد الباقي يوسف النعمة، من خريجي الأزهر الشريف، وقد تأثر هذا الشيخ بعلماء المدينة المنورة، وهم متأثرون بالحركة السلفية، الشيخ هذا كان سبباً في دخول شيخ الهدية فى جماعة أنصار السنة.

ثم بعد ذلك بدأت مراحل الدعوة في الحركة السلفية، في عام ١٩٤٦م درس على يد شيوخ الدعوة الأوائل، والذين اناروا له نوراً لهداية الحائرين، ومن هؤلاء الشيخ عبدالباقي يوسف السالف الذكر، والشيخ يوسف أبو.

تدرج في السلم الوظيفي للجماعة السلفية، لم يبالي بطول السلم أو قصره فالعبرة بالنهايات، وهذا السلم سوف يوصل إلى القمه حتماً، حيث استلم أمانة المال للجماعة، وكان (محل ما يسري يمري) ثم هو داعية، والكلمات تخرج من فيه كأنها در منضود، ثم إمام مسجد.

ظل بعد ذلك يعمل إماماً لمسجد فيصل في أمدرمان منذ إنشائه في عام ١٩٦٨م وحتى عام ١٩٩٢م ثم فى هذا العام المذكور، تنازل عن إمامة الجامع طواعية، لأحد شباب الدعوه، حتى يعطى الفرصة للشباب لتحمل المسؤوليات، وهو الأستاذ كامل عمر البلال.

ثم بعد ذلك تولى منصب الأمين العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، منذ عام ١٩٥٦م وحتى وفاته عام ٢٠٠٧م له الكثير من أعمال البر والخير، حيث أشرف على بناء المساجد، ودور القرآن الكريم والمرافق الصحية المختلفة.

أما المشاركات السياسية فله منها نصيب الأسد، مثل الإستقلال، ومباحثات السلام في نيفاشا، وإغاثة المنكوبين والكوارث التي مرت على السودان، مثل الجفاف والتصحر والسيول والفيضانات.

عمل على نشر العقيدة الصحيحة، مما أصابها من الدجل والغبش والإتساخ، وقد عمل على جعل العقيدة الدينية كأنها المرآه التى ليست بها شقوق ولا نتوف. وقد تعرض إلى كثيرٍ من الأذى، إلا أنه كان صابراً محتسباً. تمتع بعلاقات واسعة مع المسؤولين وأهل البر، والمنظمات الإسلامية داخل القطر وخارج القطر.

استمر كيان الجماعة مترابطاً ومتحداً، حتى بداية الألفية الجديدة، حيث إنتقلت عدوى إنقسامات الأحزاب السياسية إلى الجماعة. وقد تفجّر الخلاف بين الشيخ الهدية ونائبه الشيخ أبوزيد محمد همزه، نتيجة لجوانب تتعلق في المشاركة فى السلطة، وجوانب تنظيمية وادارية داخل الجماعة، حيث تم إعفاء الشيخ أبوزيد من منصبه، وفشلت محاولات داخلية وخارجية للصلح بينهما، لأن كل طرف تعنت لموقفه.

كانت سماء الحارة الأولى بمدينة الثورة بأمدرمان صافية، وشمسها مشرقة حينما عقدت مجموعة الشيخ أبوزيد مؤتمراً إستثنائياً، تمخض عن عزل الشيخ الهدية، وتعين الشيخ أبوزيد رئيساً للجماعة، وذلك (لفشله وعجزه وكبر سنه) لم تكن حكومة الانقاذ بعيدة عن الصراع، وهذه اللعبة تجيدها جيداً، فقد انتهى وقت مسك العصا من المنتصف، حيث شارك ممثل رفيع في هذا المؤتمر، إلا أنّ المركز العام بقيادة شيخ الهدية اعتبر تلك القرارات باطلة وغير شرعية.

بكى الشيخ أبوزيد كثيراً وأبكى من حوله، ولم يكن القبر يحتاج إلى مياه لكي ترش به، فقد كانت دموع شيخ أبوزيد وحدها تكفي لذلك، نم هنيئاً أيها الشيخ الوقور الهدية، فقد أزفت النهاية، دار البقاء والخلود، وذلك عام٢٠٠٧م.

٦٢ - ابراهيم الكاشف

مالو أعياه النضال بدنـــي
وروحي ليه مشتهية ود مدني

المبدع الموسيقار محمد الأمين يتغزل في مدينته ودمدني، ولكن كلنا نحب ودمدني، ليس لأنها المدينة الثانية في السودان فحسب، ولكن لأنها أنجبت أفذاذاً، وأنت واحد من هؤلاء الأفذاذ.

هنالك في مدينة مدني، يمر النيل الأزرق الثائر على هذه المدينة، ولكن حين يصل البداية فيها، تختفي الثورة منه تماماً، ويرسل لها أمواجاً، ومعها إيقاع خفيف، كأنه يرسل لها التحيات، هنالك وُلد ضيفنا الفنان الشهير بإبراهيم الكاشف، وهو إبراهيم محمد أحمد أبو جبل، وكان ذلك عام ١٩١٥م. وأشتهر بلقب الكاشف، نسبة إلى جده من جهة أمه محمد علي كاشف، وهذا الجد قائد عسكري، جاء مع الحملة التركية على السودان.

" لم يتلق الكاشف من العلم إلا اليسير، فقد دخل مدرسة البندر الأولية في مدني، إلا إنه هجرها بعد ثلاثة أعوام، وهنالك قصة طريفة يتداولها السودانيون، وهي أن إذاعة وادي النيل إستضافت الفنانة عائشة الفلاتية، فسألها المذيع إن كانت تجيد القراءة فردت بسرعة: "والله أنا وأخوي الكاشف دا ما بنعرف نقرأ " وكان الكاشف وقتها معها فى اللقاء، فضرب الكاشف يد على أخرى وقال: "إنتي سألوك من الكاشف" على الرغم من أنه غنى أغنية.
حبيبي اكتب لـــيوانا اكتب ليـــــــك
بالحاصل بـــــــيو الحاصل بيـــــــك

جاء العام ١٩٤٠م رحل الكاشف من ود ومدني والدموع تنساب من عينيه، وأتى هنا (خرطوم الفيل) وسكن حي الديوم، وأصبح يعرف بلقب إبراهيم مدني، ومنها أم درمان، وسكن في حي الموردة، حيث عمل بالتجارة. له دور كبير في تطوير الأغنية السودانية، ويغني في البداية بمصاحبة آلة الرق، وتصفيق الكورس، وترديده للمقاطع الرئيسية في الأغنية، وهذا أسلوب تقليدي، إلاَّ أن الكاشف انسحب من ذلك الإسلوب انسحاب (فني) حيث اتجه في عام ١٩٣٤م إلى الغناء الحديث المصحوب بموسيقى الآلات الوترية، وقدم أغنية (أنا ما بقطف زهورك).
أنا ما بقطف زهـوركبس بعاين بعيونـــي
يا الغصن في نهـورك يا البدر في خـدورك
مترقب ظهورك أتأمل في محاسنـــــــــك
واتمتع بي مناظـرك وأتوسع في فنونـي

والأغنية بمصاحبة فرقة مصرية، ومعها الفنانون نجيب الريحاني وتحية كاريوكا، والأغنية في مدني. وقد لاقت الأغنيه إعجاباً منقطع النظير، وتجاوب معها الجمهور كثيراً،

ثم كرر نفس التجربة عام ١٩٤٠م حين قدم أغنية (الشاغلين فؤادي) في حفل لأحد الأندية. ثم بعد ذلك كون الكاشف أوركسترا خاصة به.

كانت التقليدية في وادٍ، وهو في وادٍ آخر، حيث يعتبر أول من أدخل الصوت النسائي في الغناء السوداني، فيما يعرف بالكورس المصاحب للمغني، أو ما اصطلح عليه في السودان (بالشيالين)، كما يقوم في كثير من الأحيان يترك مساحة زمنية في بعض أغنياته، حتى يتمكن الجمهور من المشاركة معه. كما قام بإعادة توزيع بعض الأغاني مثل أغنية الفنان الكبير خليل فرح عزه في هواك، وهو يحفظ الشعر الذى يريد أن يغنيه بصورة سريعة، على الرغم من قلة إلمامه بالقراءة والكتابة، ويقوم بتلحين بعض أغانيه بنفسه. كما تمكن من مقاومة رافضي التجديد والذين كانوا يريدون المحافظة على أنماط الاغنية السودانية، واستطاع أن يقاوم إنتقادات رافضي التجديد والرعيل المحافظ لأنماطه الغنائية.

تعامل الكاشف مع أفضل شعراء الأغنية السودانية، ففي مدني كان محتكراً للشاعر الكبير المساح، وحينما أتى الخرطوم تم فك الإحتكار وتعامل مع عدد من الشعراء ولعل أبرزهم عبيد عبدالرحمن، وشكلا ثنائياً رائعاً متجانساً، وكذلك كل من خالد أبوالروس وعبدالمنعم عبدالحي وسيد عبدالعزيز وصالح عبدالسيد والأستاذ الكبير السر قدور، صاحب البرنامج الشهير أغاني وأغاني.

طويت الماضي في قلبي
وعشت على صدى الزكرى
وهذا الدمع قد ينبـــي
بظلم المهجة الحـــيرى
لماذا الهجر يا حـــبي
لماذا الهجر يا حـــبي لماذا دهرنا ضنّـــى
وشبع روحي بالـــيأس
وداعاً روضتي الغـــنّاء
وداعاً معبدي القدســـي
أيها الهرم الكبير ... وداعاً وتاريخ الوفاة اغسطس ١٩٦٩م.

٦٣ - بشير النفيدي

هو الحاج بشير أحمد محمد صالح النفيدي، ولد عام ١٩١٧م بمدينة القطينة (جنة بلال) درس بخلوتها مبادئ القراءة وعلوم القرآن الكريم، وعند بلوغه الرابعة عشرة من عمره إستخرج تأشيرة خروج من (جنة بلال) إلى جنة أخرى، هي الخرطوم، حيث لحق بشقيقيه محمد أحمد محمد صالح ومحمد صالح أحمد و كانا يديران متجراً بالسوق العربي، ويعمل ليله ونهاره، أما في ضوء الشمس فيعمل مع شقيقيه في المتجر، وحينما تأذن الشمس بالغروب، كان هو أيضاً يستاذن شقيقيه في الذهاب إلى أحد كورسات محو الأمية بنادي العمال بالخرطوم.

توسعت أعمال الشركاء، مما حدا بهم أن يفضوا الشراكة، ويتجه كل واحد إلى إتجاه (ويا دار ما دخلك شر) واتجه حاج بشير إلى مجال النقل، وساعده الأيمن ابنه الأكبر عمر. ثم بعد ذلك دخل في نقلة كبرى، حيث ركل التجارة التقليدية إلى شركات مساهمة خاصة. هذه الشركات تنتهج العلمية إسلوباً لها، كما إستعانت بأحدث تقنيات العصر، حيث كون شركتا النورس وريبا للنقل.

كانت حكومة الإنقاذ الوطني في قمة الحصار الإقتصادي والسياسي، وفي هذه الظروف العصيبة، أرادت الحكومة إنشاء خط أنابيب البترول الأول، وكذلك مصفاة الجيلي، إين الناقل الوطني؟ خرج النفيدي (كأنه قنديل من السماء) ولسان حاله يقول: (أنا لها) وهو البلسم الشافي، الذى يوضع في أي جرح فيطيب ذلك الجرح، حيث قامت شركة النورس بذلك العمل الضخم، حيث قامت بترحيل أنابيب خط البترول الأول والثاني والثالث والرابع وكافة معدات مصفاة الخرطوم بالجيلي، مما حدا برئيس الجمهورية إلى منح الشركة وسام الإنجاز تقديراً لدورها الوطني.

انطلقت أعمال النفيدي التجارية، لم تكن في سرعتها كقطار يعدو، ولكنها كانت كأنها مركبة فضائية متجهة لكوكب الزهرة، أو أي كوكب آخر، حيث تمكن من عمل الشركة العقارية، وهي من أوائل الشركات التي تقوم ببناء (الفلل)، ثم بعد ذلك تقوم بتمليكها لأفراد الشعب، ثم انشأ مصنع زيوت النفيدي، وكذلك دخل في مجال التوكيلات التجارية، حيث أصبح وكيلاً لعربات الهونداي، وكذلك وكيلاً لعربات (B.M.W) وله كذلك أسهم في البنك الإسلامي السوداني، والبنك الأهلي السوداني، وميناء الخرطوم البري، وعندما جاء عام ٢٠٠٥ م كون مجموعة النفيدي، وعملت هذه المجموعة على توظيف خمسة الف وظيفة ثابتة، وثلاثة الف وظيفة موسمية، يا إلهي هل هذا عمل فرد وأحد أم حكومة؟ وبذلك تكون المجموعة من أكبر مساهمي القطاع الخاص في التوظيف.

لم يجلس النفيدي في مكتبه يحسب الأموال فحسب، ولكنه كان ينتمي إلى أسرة تجري في دمائها الطريقة الختمية، فهو يتمتع بصداقات قوية مع السيد علي الميرغني، مرشد

الطريقة الختمية، وأصبح من المقربين له، وأعطاه لقب خليفة، وله مهام خاصة معه، وبعد وفاته تواصل الود مع السيد محمد عثمان الميرغني، وكان صديقاً أثيراً للزعيم الخالد إسماعيل الأزهري، حيث عمل على إذابة الجليد المترسب بين الفرقاء الإتحاديين.

لدينا قصة عن الأزهري نهديها للمسؤولين ومن غير أن نضع عليها رتوش أو براويز أو إكسسوارات، نحكيها كما حكيت، هل تصدق أن الرجل الأول فى السودان في ذلك الوقت قد أرسل خطاباً إلى النفيدي يطلب منه سلفة مبلغ معين من النقود "... والآن أرجو أيضا أن تسلفني مائة وثلاثين جنيها، وتكون الجملة علي مائتان وثلاثون جنيه، وسنبدأ التسديد إن شاء الله في منتصف هذا العام، وأكون لكم من الشاكرين بهذا " ليس هنالك أي تعليق على هذا الخطاب، فندعه داخل هذا القوس حتى يجد راحته. فلم تكن علاقاته محصورة في الختمية والاتحاديين فقط، ولكن كان لديه علاقات أخرى مع السيد عبدالرحمن المهدي، وآل المهدي، وآل الهندي، وكذلك مع الشيخ عبدالرحيم البرعي والبادراب.

أخذ العمل الخيري منه نصيباً كبيراً، فقد أسس خلوة لتعليم القرآن الكريم، بمسجد السيد علي بالخرطوم بحري، وكل متطلبات الخلوة منه، كما أسس عدداً كبيراً من المساجد في السودان، كما قام بتأسيس عدداً من المدارس القرآنية، وأهمها تلك التي في الشجرة، وله دور في مشروع الزواج الجماعي خاصة فى مدينة القطينة.

حان الآن الوداع أيها الحاج، فقد كان في رحلة استشفاء في بلاد العم سام، وحينما قرر العودة عن طريق القاهرة، وذلك بتاريخ ١٦ مارس ٢٠٠٨ فاضت روحه الطاهره، وخلف وراءه حسرة وذكرى.

٦٤ - الهادي المهدي

(وهذا الأبيض الهادي) لماذا يحتضن تلك الجزيرة، إنها الجزيرة أبا ترقد في أحضانه، وقد ألف كل منهما الآخر، ولكن هنالك العسكر ، أين تذهب أيها الإمام؟ هل ودعت الجزيرة أبا؟ حينما خرجت هل سالت الدموع؟ الأبطال يتماسكون، وأنت منهم.

الإمام الهادي عبدالرحمن محمد أحمد المهدي إمام الأنصار، تولى الإمامة في ظروف حرجه، لم يتركه ابن أخيه السيد الصادق المهدي ينعم بالراحة، وأكمل النميري باقي الرواية، ثم أصبح العم وابن الأخ على الغريب، تلك هي السياسة، لا علاقة لها بالنظريات الرياضية الثابتة، فهي عالم متموج.

ولد عام ١٩١٨م أبوه السيد عبد الرحمن المهدي أول إمام للأنصار، والدته السيدة بخيتة مصطفى ابنة عمدة الشوال، وهي مدينة تقع بالقرب من الجزيره أبا. تعلم العلوم الدينية المختلفة، ثم بعد ذلك دخل كلية فكتوريا، وهي في الإسكندرية، وهي أقدم وأكبر كلية إنجليزية في مصر، وقد خرجت عدداً من الزعماء، وقد تخرج السيد الهادي منها.

كان يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م هو اليوم الذي حصل فيه إستلام الفريق عبود للسلطة، ماذا كان موقف السرايا هنالك في الخرطوم، كان الموقف متذبذباً بين أفراد الأسرة الواحدة، أما الإمام عبدالرحمن قد أيد الإنقلاب. على أنه بعد وفاة السيد عبدالرحمن ١٩٥٩م آلت إمامة الإنصار إلى إبنه الصديق المهدي، والذي لم يعش كثيراً بعد الإمامة، ومات عام ١٩٦١م.

كيف آلت له إمامة الأنصار، كان سيدنا عمر بن الخطاب وهو على فراش الموت، قد أوصى أن تكون الخلافة في ستة أنفار من الصحابة، أما أنت أيها الصديق المهدي فقد عملت شيئاً من هذا القبيل، فقد ركزت على أن الإمامه شورى يقررها الأنصار وحدهم، وقد تم تكوين لجنة خماسية، برئاسة السيد عبدالله الفاضل المهدي، وبها ثلاثة من ابناء السيد عبدالرحمن وهم الهادي المهدي، يحيى المهدي وأحمد المهدي، بالإضافة إلى الصادق المهدي، وانحصر الأمر بين الهادي والصادق، وتم ترشيح الهادي المهدي إماماً للأنصار عام ١٩٦١م.

ثم قامت ثورة إكتوبر ١٩٦٤م وسلم الفريق عبود السلطة، ثم قامت حكومة انتقالية برئاسة سر الختم الخليفة، إستمرت حتى عام ١٩٦٥م، وجرت في هذا العام انتخابات، وقامت ثلاث وزارات إئتلافية، برئاسة حزب الأمة.

ثم بعد ذلك حصل الإنقسام الكبير في حزب الأمة، وانقسم إلى جناحين: جناح الإمام الهادي، وجناح السيد الصادق، ثم كانت انتخابات ١٩٦٨م حيث حصل جناح الإمام علي ثلاثون دائرة، وجناح السيد الصادق على ست وثلاثين دائرة، ثم تكونت وزارة محمد أحمد المحجوب الثالثة.

أتت النهائية سريعاً، هل كنت مثل مصطفى سعيد بطل رواية موسم الهجرة إلى الشمال عند الطيب صالح، تموت في بداية الراوية، وتستمر الرواية ويستمر الجدل، مالنا ولهذا، ندع الروايات والقصص، ونتجه إلى أحداث التاريخ.

في ٢٥ مايو ١٩٦٩م شوهدت الدبابات والمصفحات، وتم الإستيلاء على السلطة بالكامل، وأعلن العقيد آنذاك جعفر محمد نميري قائداً على البلاد، وأذاع البيان الأول. ندع الخرطوم وضجيجها ونذهب هنالك جنوباً إلى الجزيرة أبا نستمع.

في بدايات ١٩٦٩م تصالح السيد الهادي والسيد الصادق، ما أعجبك أيتها السياسة السودانية! وحينما حصل ذلك الإنقلاب، تم رفضه من قبل الأنصار. حاول النظام الجديد التفاوض مع الأنصار، وعدم الإشتباك معهم، كان في خواطرهم جملة واحدة، (ما لنا ولقتالهم).

هنالك كتل بشرية ضخمة في الجزيرة أبا، منتظرة إشارة ما من المرجعية، ولكن كان إبهام الإمام في وادي آخر، فقد جاءت إلى الإمام القوى الإسلامية الحديثة، أعني الأخوان المسلمين، فقد تصالح الزيت والنار.

أرسلت الحكومة وفداً إلى الجزيرة أبا للتفاوض مع الإمام الهادي، وقرروا أن يتفاوضوا مع الصادق المهدي في الخرطوم. ولكن تم إعتقال السيد الصادق، وقرر نميري زيارة تفقدية لمناطق النيل الأبيض، رفض مجلس شورى الأنصار تلك الزيارة.

نترك الجزيرة أبا تصارع الأمواج والطبيعة والعسكر، ونتجه هنالك إلى عرين الرجال، القيادة العامة، أغضب ذلك الرفض نميري، أليس هو حاكم عموم السودان؟ أليس من حقه زيارة تلك العموم؟ أم يقتصر هذا اللقب على الإنجليز فقط؟ ولكن سوف ينتقم، خاصة وأن وفداً آخر من أعضاء المجلس العسكري قد ذهبوا إلى الجزيره أبا، وتمت مقابلتهم (كأنهم لم يحضرو) حسب رأيهم. عرض نميري أمر دك الجزيرة أبا على أعضاء مجلس قيادة الثورة، رفض الشيوعيون ذلك القرار، لم يعبأ نميري بهم كثيراً، فهم أنفسهم لهم يوم معلوم، أما الآن فضرب الجزيرة أبا.

وفي يوم ٢٧ مارس ١٩٧٠م تم قصف مكثف على الجزيرة أبا، وبلغ القصف قوته في يوم ٣٠ مارس وانطلقت الطائرات من قاعدة وادي سيدنا تدك الجزيرة أبا، هو يوم وحشي. لم يكن النيل أبيضاً في ذلك اليوم، فقد كان فيه إحمرار، وليس ذلك الإحمرار من إنعكاس شفق المغيب عليه فحسب، ولكن الدماء التي سالت ألم تكن بالآلآف؟ أين أنت أيها الإمام؟ الرحلة طويلة، اتجاه الحبشة، كان الركب في لوري، ومعهم عدد من القيادات بما فيهم الكاروري، أما محمد صالح عمر فلم يستشهد في فلسطين، ولكنه أراد أن يختلط دمه بتراب هذه الأرض.

تحرك الركب وبالقرب من الكرمك على حدود الحبشه تم الاشتباه في القوه، وتم قبضها من قبل دورية عسكرية، وحصلت مناوشات بين مجموعة الإمام، والدورية، فما كان من أحد

العساكر إلا وأطلق النار في فخذ الإمام، والذي نزف، وتُوفيّ في الحال، ودفن هنالك. وفي عام ١٩٨٦م تم نقل رفاته في موكب مهيب إلى قبة الإمام المهدي بأمدرمان.

٦٥ - سرالختم الخليفة

تم إيقاظه من النوم الساعة الرابعة صباحاً، ليتم إبلاغه بأنه تم اختياره رئيساً لمجلس الوزراء، هل يعتقد أن هذا هو حلم، أم كابوس ألم به، لا يستطيع الفكاك منه، مع العلم بأن إثنين قبله رفضوا هذا المنصب، إنه سودان جميل في ذلك الزمن. فلنبدأ من الأول.

هو سر الختم الخليفة الحسن، رئيس وزراء الحكومة الإنتقالية ١٩٦٤م ولد في مدينة الدويم الحالمة " حل زى الصقر خوى ... بالبدر الدويم ضوّى " وكان ذلك عام ١٩١٩م.

تلقى تعليمه الأولي بمدارس الدويم، وكذلك المرحلة المتوسطة، ثم ببخت الرضا، ثم تخرج في كلية غردون التذكارية، مدرسة المعلمين، عام ١٩٣٧م ثم كلية أكستر جامعة أوكسفورد، ١٩٤٦م عمل معلماً بمعهد تدريب المعلمين، بخت الرضا ١٩٣٨-١٩٤٤م وترقى لوظيفة باش مفتش تعليم محافظة الإستوائية ومدينة جوبا، في الفترة ١٩٥٠–١٩٥٧م.

ثم عمل مساعداً لمدير التعليم في الجنوب، وعمل على نشر اللغة العربية في الجنوب، ومن أكثر المناطق محبة إلى قلبه وفؤاده، وله علاقات متميزة مع أهل الجنوب، حيث أجاد لهجة الدينكا، وقد ألف الجميع، وله شعبية كبيرة هنالك.

نأخذ لمحات خاطفة عن ثورة إكتوبر ١٩٦٤م اتهمت الإحزاب السياسية والقوة النقابية، الفريق عبود بالدكتاتورية، لم تكن تلك الكلمة في ذلك الزمن إلا ترفاً سياسياً، وقد عملت على مقاومته، وكان الطلاب هم رأس الرمح في تلك الثورة، وخاصة طلاب جامعة الخرطوم، ولكنها سرقت منهم، عبارة نسمعها كثيراً، وغالباً ما تقيد ضد مجهول. ودخل في نهاية الشوط الأول لاعبون مهمون، وهم إتحاد نقابات السودان، كعمال السكة حديد والنقابات المهنية، كالإطباء والمحامين والمزارعين، وقد إتفقت القوى النقابية على عودة الحياة المدنية. ثم في الشوط الثاني دخل لاعبون مهمون استطاعوا أن يحسموا المباراة، وهم الأحزاب السياسية عامة، وأخص الأمة، الإتحادي، الشيوعي والإخوان، وتكونت من بعض الأحزاب جبهات متحدة. قامت ندوات مختلفه حول الوضع الراهن، أهمها التى قامت فى ٢١ اكتوبر ١٩٦٤م فى جامعة الخرطوم، احتشد لها أكثر من ألف طالب، وقام البوليس بإطلاق الرصاص الحي، وأستشهد الطالب أحمد القرشي طه " وكان القرشي شهيدنا الأول ..." وهذه هي الشرارة، واستجاب الفريق عبود لمطالب الثوار، وأعلن حل مجلس القوات المسلحة ومجلس الوزراء.

على أن يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٦٤م كان يوم آخر، فقد حُسم عدد من المواضيع بواسطة الجبهة القومية، وتبقى رئيس الوزراء، والإتفاق على أن يكون مستقلاً ومحايداً،

من هو الشخص المناسب لتلك الوظيفة؟ نعم بابكر عوض الله، إسم له رنين خاص، إلا أنه رفض بحجة أنه قام بدور وطني فقط، وليس من أجل أي منصب، كما أنه يفضل مجال القضاء. وهنالك إقتراح آخر، الدكتور نجيب شداد، مدير مستشفى أمدرمان، وتم الإتصال به

في الساعة الثانية والنصف صباحاً، ورفض، لكم الله، قدمتم لنا دروساً مجانية في رفض السلطة وبريقها.

كان السيد سرالختم يستعد لمناسبة زواجه، سمع طرقاً على الباب الساعة الرابعة صباحاً، هل سرى له خيال، أم ترآءى له حلم، لا إنها حقيقة، فكانا هما اللواء عوض عبد الرحمن صغير، والمقدم حسن الفحل، يطلبان منه أن يرافقهما لمهمة وطنية، نعم الوطن فوق الجميع، وكذلك شهر العسل ملحوق، عرض عليه رئاسة مجلس الوزراء فوافق، بعد أن تاكد أن كل القوى مجمعة عليه.

وبعد أن تأكد من إجماع كل الجهات عليه، وحينها طلب منه أن يكتب خطابه الأول، الذي حدد فيه مهمته، ويشمل أن يتم إجراء إنتخابات خلال ستة شهور، وإستقلال القضاء، والخدمة المدنية، ووضع دستور مؤقت.

ضمت حكومة إكتوبر ممثلاً لكل من أحزاب الإتحادي، الأمة، الشعب، الميثاق والشيوعي وسبعة وزراء لتمثيل النقابات والمهنيين ووزيرين من الجنوب.

له مجلس وزراء متعدد السحنات والأهواء والمطامع والمطالب. ومع ذلك تعامل معه في هدوء، وفي أول مؤتمر صحفي، أجاب عن أسئلة الصحفيين الوطنين والأجانب بحضور ذهن صافي.

مشكلة الجنوب هي صداع دائم لكل الحكومات منذ الإستقلال، وحتى حكومة سرالختم، حيث عمل على محاولة حلها، وعقد مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٦٥م في حضور ٢٤ جنوبي و ١٨ شمالي ومن المقرر عقده في جوبا، إلا إن الوضع الأمني حال دون ذلك، فعُقد في الخرطوم.

وقاد مركبه بسلام، حيث أجريت إنتخابات ١٩٦٥م وجاءت بالسيد محمد أحمد المحجوب رئيساً للوزراء. سر الختم جندي مخلص يعمل في أي مكان يوضع فيه، وتم إختيار سر الختم سفيراً للسودان بإيطاليا أعوام ١٩٦٦-١٩٦٨م ثم سفيراً ببريطانيا اعوام ١٩٦٨-١٩٦٩م ونال لقب سير من ملكة بريطانيا.

في ٢٥ مايو ١٩٦٩م إستولى جعفر نميري على السلطة، وتم إعفائه من منصبه، واتجه إلى المجال التربوي، وأسس مجلة الفارس، تهتم بثقافة وأدب الطفل، إلا أن الحال لم يدم طويلاً، حيث إحتاج له النميري، وعينه في منصب مستشار وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٧٢ – ١٩٧٣م ثم منصب وزير التربية والتعليم العالي ١٩٧٣ –١٩٧٥م ثم مستشاراً لرئيس الجمهورية للتعليم في ١٩٨٢ – ١٩٨٥م

ثم أصبح من المؤسسين لمؤسسة حجار الخيرية عام ١٩٨٦م وأصبح رئيس مجلس إدارتها. تُوفيّ في ١٨ فبراير ٢٠٠٦م ودفن في مقابر البكري بأمدرمان "...أن الفقيد عرف بالتواضع والأدب الجم والإخلاص للوطن وتميز بعلاقات واسعة مع الجميع".

٦٦ - عبدالله الطيب

موسوعة متحركة ما في ذلك شك، لو كان ليس من هذه البلاد، لكان الطريق الذي يسير فيه مفروشاً بالورد والرياحين، ولكنه حسبه أن له صدقة جارية، تلك الإذاعة الرسمية تذيع يومياً تفسيره للقرآن الكريم منذ أكثر من نصف قرن.

هو عبدالله الطيب عبدالله الطيب، ولد بقرية التميراب غرب الدامر عام ١٩٢١م وينتمي إلى أسرة المجاذيب المشهورة، فإذا ذكرت هذه الأسرة، ذكر العلم والصلاح والتقوى، ولجدهم محمد المجذوب قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

كان والده معلماً، نال الابن حظاً من ذلك، تنقل الوالد في مدارس السودان المختلفة، وتنقل الابن معه، فلأسفار فوائد، أما أنت فلا أحسبك تجعلها خمس، فزد فيها حيثما تشاء.

درس بمدارس كسلا والدامر وبربر، وبعد إكماله المرحلة الوسطى دخل كلية غردون، وتخرّج فيها عام ١٩٤٢م ثم معهد التربية ببخت الرضا.

على أنه بعد ذلك أتت له فرصة نادرة إلتقطها، وأظهر مواهبه النادرة، حيث ابُتعث إلى بريطانيا لتلقي كورس في التربية، ومعه بعض من زملائه، هؤلاء عادوا إلى السودان بعد إكتمال فترة الكورس التدريبي، إلا أن عبدالله تم إستبقاؤه هنالك لكي يعمل البكلاريوس، وحينما تم ذلك بنجاح، تم التسجيل له لعمل الدكتوراة، وقد أتمها بنجاح من جامعة لندن، وهو ثالث سوداني ينال درجة الدكتوراة، مثل الأصمعي تماماً، فقد أسماه الرشيد (شيطان الشعر) ويحفظ اثنى عشرة ألف أرجوزة قبل أن يبلغ الحلم، ويعرف القراءات القرآنية، والعلوم الدينية.

وخلال فترة وجوده بلندن تزوج السيدة جوهرة، (جيرزالدة) وذلك عام ١٩٤٨م، درست بكلية التربية بجامعة لندن، حيث تعّرف عليها البروفسور وتزوجها، وهي فنانة تشكيلية معروفة، أسلمت على يديه عن قناعة، تبادلا الحب والوفاء والإخلاص.

عمل بالتدريس في المدرسة الأهلية الوسطى بأم درمان، ومعهد بخت الرضا لتدريس المعلّمين، كما تولى عدداً كبيراً من المناصب، وقام بأعمال كبيرة وخاصة في المجال الجامعي، شهدت على كفائته وحنكته.

حيث عمل عميداً لكلية الآداب بجامعة الخرطوم، أعوام ١٩٦١-١٩٧٤م، ثم مديراً لجامعة الخرطوم ١٩٧٤-١٩٧٥م وأول مدير لجامعة جوبا ١٩٧٥-١٩٧٦م.

ثم تمكن من تأسيس كلية عبدالله بايرو في كانو بنيجريا، والآن أصبحت جامعة بايرو، ثم أصبح أول عميداً لها عام ١٩٦٤م، وفي عام ١٩٧٦م تقاعد إختيارياً من جامعة الخرطوم.

تم تعيينه أستاذاً ممتازاً مدى الحياة بجامعة الخرطوم، وذلك فى عام ١٩٧٧م، أما المغرب فقد إستفاد منه، أليس هنالك تشابه وصلات قوية بين البلدين؟ حيث عمل أستاذاً للغة العربية بالمغرب، في كلية الآداب، بجامعة سيدي محمد بن عبدالله بمدينة فاس المغربية، ليس فاس

وحدها حتى الدار البيضاء عمل أستاذاً في جامعتها، وعمل أستاذاً زائراً في عدد من الجامعات في أوروبا، إفريقيا، أسيا والعالم العربي.

في عام ١٩٩٣م عمل رئيساً لمجلس جامعة الخرطوم، وهو عضو عامل بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ ١٩٦١م، في عام ١٩٩٤م تم إنشاء مجمع اللغة العربية السوداني، وأصبح أول رئيس له. وعضواً في هيئة تحرير الموسوعة الإفريقية في غانا.

حصد عدداً من الجوائز داخلياً، منها جائزة الشهيد الزبير محمد صالح للإبداع والتميز العلمي، وخارجياً أبرزها جائزة الملك فيصل العالمية في الأداب عام ٢٠٠٠م.

له عدد من المؤلفات، ولكن أهم كتاب كان سبباً في شهرته هو المرشد لفهم أشعار العرب. وله عدد من الدواوين منها، أصداء النيل، اللواء الظافر، سقط الزند الجديد، أغاني الأصيل، أربع دمعات على رحاب السادات وبرق المدد بعدد وبلا عدد.

وله عدة مؤلفات أبرزها من حقيبة الذكريات، من نافذة القطار، الأحاجي السودانية، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: من خمس مجلدات، مع أبى الطيب، الطبيعة عند المتنبي وكلمات من فاس.

و له في تفسير القرآن الكريم أيضاً عدة مؤلفات منها جزء عمّ، جزء تبارك و جزء قد سمع. أما الفاكهة والهدية الطيبة التي قدمها للشعب السوداني، والشعب المسلم أجمع، إنه تفسير القرآن الكريم في الإذاعة السودانية، ومعه رفيق الدرب، صديق أحمد حمدون، فاذا أدرت مؤشر (الراديو) الساعه ٦:٤٥ فإنك تعيش في جو روحي كامل الدسم، منذ عام ١٩٥٨م وحتى الآن، تعاقب على حكم السودان العسكري و غير العسكري، والبرنامج في القلب، أتى عبود، النميري، المهدي والبشير والبرنامج موجود، جاء الشيوعيين والأخوان والبرنامج في صميم الصميم، لم يتفق السودانيون على شيء، بقدر ما إتفقوا على هذا البرنامج، سُجّل في تشاد، ومالي، وفي الإذاعات الصومالية، الموريتانية، ومكتبة الكونغرس الأمريكي.

ومن أبرز المسرحيات الشعرية له، زواج السمر، الغرام المكنون، قيام الساعة، مشروع السدرة ونكبة البرامكة.

من أبرز محاضراته، محاضرة الإسبوع في الإذاعة السودانية، وسير وأخبار، وشذرات من الثقافة في تلفزيون السودان.

وكذلك يشارك فى الدروس الحسنية، ويحضرها حضرة جلالة ملك المغرب الراحل الحسن الثاني.

ثم ماذا، في ٢٠٠٠م زلزال حصل في السودان، أصاب الجميع في مقتل، عندما أصيب عبدالله الطيب بنزيف دماغي أفقده القدرة على النطق والحركة، ثم أتت الفاجعة عندما توفي في ١٩ يونيو ٢٠٠٣م.

٦٧ - إدريس جماع

والنيل مندفع كاللحن أرسلـه
من المزامير إحساس وجدان
حتي إذا أبصر الخرطوم مونقة
وخالجته إهتزازات وأشجـان
وردد الموج في الشطين أغنية
فيها اصطفاق وآهات وحرمـان
وعربد الأزرق الدفاق وإمتزجا
روحاً كما مزج الصهباء نشـوان

أيها الفارس المنمق، ماهذه اللوحات السريالية الخالدة، كأني أرى الرسام العالمي سلفادور دالي، وبالقرب منه مجموعة ألوان، يمزج هذه بتلك، مثلما يمتزج الأزرق الدفاق مع الأبيض الهادي، فى مقرن النيلين.

إدريس محمد جماع شاعر شهير في تاريخ السودان، مدينة حلفاية الملوك بالخرطوم بحري تحتضن وتضم هذه الشخصية، ميلاده بتاريخ ١٩٢٢م.

إذا أدرت مؤشر المذياع، وإستمعت للمطربين، ولعل من أبرزهم المطرب العملاق سيد خليفة، فإنك تستمع لهذه الدرر.

أعلى الجمال تغار منا
ماذا عليك إذا نظرنـــــــا
أنتِ السماءُ بدتْ لـنا
واستعصمتْ بالبعدِ عـــــنا
هلاَّ رحـمتَ مـتيمــاً
عصفت به الأشواق وهـــــنا
وهفت به الذكـــرى
فطاف مع الدجى مغنى فمغنى
أنـسـت فيكَ قداسةً
ولـمستُ إشراقاً وفنـــــــاً
ونظـُرتُ فـى عينيكِ
آفاقاً وأسـراراً ومعـــــــنى

ونحن طلاب في المرحلة الثانوية العامة (رحمها الله رحمة واسعة) نجد صعوبة في حفظ أشعار إدريس، ولكن رغم ذلك كنا نستمتع بها أيما استمتاع، نشأ في أسرة كريمة، حيث هو

سليل أسرة العبدلاب المشهورة في تاريخ السودان، ووالده محمد جمّاع بن الأمين بن الشيخ ناصر وهو شيخ القبيلة.

بدأ تعليمه في سن مبكرة في خلوة حلفاية الملوك، حيث تمكن من حفظ القرآن الكريم، ثم في عام ١٩٣٠م دخل مدرسة حلفاية الملوك الأولية، ثم بعدها دخل مدرسة أمدرمان الوسطى عام ١٩٣٤م ثم كلية المعلمين ببخت الرضا بالدويم وذلك عام ١٩٤٦م.

أألقاكِ في سحركِ الساحرِ
مُذًى طالما عِشْنَ في خاطري
أحقّاً أراكِ فأروي الشعـــورَ
وأسبحَ في نشوةِ الساكـــــرِ
وتخضلَّ نفسي بمثل الندى
تَحدّرَ من فجركِ الناضـــــــر
تُخايلني صورٌ من سنـــاكِ
فأمرحُ في خفّة الطائـــــــــر

ليست هذه القصيدة لواحدة من فتيات أحلامه، ولكن لمدينة القاهرة، فكم عاشها في شعوره وأحاسيسه، حيث ذهب لها عام ١٩٤٧م ليدرس في معهد المعلمين بالزيتون، في كلية دار العلوم، وتخرج منها عام ١٩٥١م حيث حاز على درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وكذلك الدراسات الإسلامية، ثم التحق بمعهد التربية للمعلمين، وذلك عام ١٩٥٢م ونال دبلوم التربية.

أما حياته المهنية فقد عمل معلماً بالمدارس الأولية بين أعوام ١٩٤٢ و ١٩٤٧م، وبعد عودته من مصر عام ١٩٥٢م عمل معلماً بمعهد التربية في مدينة شندي.

تدافع النيلُ من علياء ربوتـــــهِ
يحدو ركابَ الليالي وَهْوَ عجلان
ما ملَّ طولَ السُّرى يوماً وقـــد
دُفِنتْ على المدارج أزمانٌ وأزمان
ينساب من ربوة عذراءَ ضاحكـــةٍ
في كلّ مغنًى بها للسحر إيـــوان
حيث الطبيعة في شرخ الصِّبـــا
ولها من المفاتن أترابٌ وأقـران
وشاحُها الشَّفقُ الزاهي وملعبُها
سهلٌ نضيرٌ وآكامٌ وقيعـــــــان
وربَّ وادٍ كساه النورُ ليس لـــهُ
غيرُ الأوابدِ سُمّارٌ وجيـــــــران

وربّ سهلٍ من الماء استقرَّ بـهِ
من وافد الطيرِ أسرابٌ وَوُحـــْدان
ترى الكواكبَ في زرقاء صفحتهِ
ليلاً إذا انطبقتْ للزهر أجـــــفان

من المؤكد أن هذه القصيدة في النيل، ولكنك أيها الإدريسي كنت مثل النيل في صفائه ونقائه وانسيابه، فقد تنقلت في مناطق السودان المختلفة.

ثم بعد ذلك ذهب إلى مدرسة تنقسي الأولية، ومدرسة الخرطوم الأولية ومدرسة الحلفايا الأولية، ثم نقل بخت الرضا بمدينة الدويم، وفي عام ١٩٥٦ عمل مدرساً بمدارس المرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية، في مختلف مناطق السودان.

أما شعره من ناحية أدبية، فهو قمة من الجمال حيث يغلب عليه الحب والجمال والحكمة، ويعبر شعره عن وجدانه وتجاربه العاطفية، وكذلك وجدان أمته، ويتسم إسلوبه برقة الألفاظ، كما تناول قضايا السودان وقضايا الأمة العربية، ويعتبر جماع من رواد الشعر التجديدي في العالم العربي.

له ديوان واحد مطبوع بعنوان (لحظات باقية) وقد جمع أشعاره بعض أصدقائه وأقاربه لأن ظروفه الصحية لم تسمح له بذلك.

وصدر حوله كتاب بعنوان (جماع قيثارة النبوغ) من تأليف محمد حجَّاز مدثر ،كما أن هنالك رسالة دكتوراة حول شعره، أعدها الأستاذ عبدالقادر الشيخ إدريس بعنوان (الشاعر السوداني إدريس جماع، حياته وشعره)

إن حظي كدقيق فوق شوك نثروه
ثم قالوا لحفاة يوم ريح أجمعـــــوه
عَظِم الأمرُ عليهم ثم قالوا اتركـوه
إن من أشقاه ربي، كيف أنتم تسعدوه

ندب إدريس حظه كثيراً، وأصيب بمرض نفسي أقعده كثيراً، وكانت الخاتمه عام ١٩٨٠م.

٦٨ ـ عائشة الفلاتية

هي عائشة موسى أحمد إدريس، ولدت بمدينة أمدرمان حي العباسية، وذلك عام ١٩٢٢م وعرفت فيما بعد بعائشة الفلاتية، ولهذه القبيلة دور كبير في التطور الإقتصادي والإجتماعي في السودان.

عاشت عائشة في بيئة دينية، ولوالدها خلوة، حيث تعلمت في هذه الخلوة قراءة القرآن الكريم، حيث كانت تقرأ ولكنها لا تجيد الكتابة، أي كانت (نصف أمية) وهي سريعة الحفظ، ولا تدع حتى الجزئيات.

الآن نحن معها فى محاولة الصعود للسلم الفني، وهي تحفظ الأغاني الخفيفة، وتغني في الحي وحفلات الزفاف، هنالك فنانون حينما يصدحون كأن (الحيطان) تتجاوب معهم، أحمد المصطفى وحسن عطية ومحمد أحمد سرور وهي تقلدهم في أدائهم، والراديو بالقرب منها لا يفارقها لحظة، والعين هنالك على الحلم الكبير، جواز السفر الدولي، الإذاعة السودانية، كان في السودان أيام الإنجليز ثلاثة أشياء، إذا دخلت واحدة منها فإنك إقتربت من (شُبيك لبيك) وهي كلية غردون ومدرسة حنتوب والإذاعة السودانية (هنا أم درمان).
لكن تحقيق الأحلام ليس بالصعوبة بمكان.

من يوم عشقت دلالك جيوش هواك أضنوني تزيد علي في دلالك وأزيد عليك في فنوني هل إذاعة أمدرمان تزيد في دلالها على عائشة، بالطبع لا، ولكن حينما دخلت حوش الإذاعة كانت عائشه تزيد في فنونها، سمع عنها حسين طه زكي مراقب الإذاعة، فأثنى عليها، والموافقة جاهزة، حيث تم تقديمها، وهكذا دخلت ذلك الحوش العجيب، وقدمت أغنية (البلآل تزورني).

إذا أينعت الزهور فإن الفراشات تدور حولها، فقد خرجت عائشة إلى الوجود الفني، وصوتها مثار إعجاب المطرب أحمد عبدالرازق، الذي وضع لحنين لأغنيتين هما (الريدة الريدة) والثانية (يا جافي حرام) كما إشترك في الغناء معها، كما إشتركت في الغناء مع الفنان الكبير عبد الحميد يوسف في أوبريت.

أتى العام ١٩٣٦م وهنالك حراك سياسي في السودان والشقيقة مصر، كانت معاهدة ١٩٣٦م توضع على المنضدة، ولكن دعنا منها واقتفي لنا أثر عائشة في أم الدنيا، وأول أغنية سجلتها هي إسطوانة (يا حنوني عليك بزيد في جنوني) وفي مصر التقت عائشة بالفنان فريد الأطرش، والملحن رياض السنباطي، الذي عرض عليها تلحين أغانيها، لكنها أبلغته صعوبة أداء ألحانه لأن أغلبية أغانيها باللهجة السودانية.

ندلف إلى العام ١٩٣٩م بحذر شديد، هو على كل حال بدايات الحرب العالمية الثانية، كان هتلر هنالك كأنه ليث إفترس أحدهم أحد أشباله، وغضبه ليس له حدود، وبريطانيا تخاف من أنياب الليث، ولذلك أرادت أن تستعمل جميع الأسلحة، أليس الفن هو سلاح من أسلحة

الحرب؟ فى عام ١٩٤٠م تلقت دعوة من إدارة الحكم الثنائي للسفر مع مطربين آخرين إلى أسمرا في إريتريا، بهدف تقديم حفلات ترفيهية، للجنود هنالك في معسكرات خشم القربة والمناطق القريبة من تسني، وحيث واصلت رحلاتها حتى جبهة كرن في إريتريا، حيث وقعت معارك هنالك

الله لي طياره جات بي فوق
الله لي حامله المدافع كوم
الله لي جات تضرب الخرطوم
ضربت فؤاد مألـــــــوم
الله لي جاهل صغير وحمامة
الله لي يوم لبَّسو الكمامـة
الله لي ودوهو خشم القربـة
يا الله عوده سلامة للعاصمة

لها أكثر من ١٠٠ أغنية منها ٥٠ أغنية مسجلة في الإذاعة السودانية ٥٦ أغنية أخرى تم تسجيلها في القاهرة، وتسجيلات أخرى في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية، الكويت، إثيوبيا والصومال.

تعاملت عائشة مع عدد من الشعراء منهم علي محمود التنقاري، الذي كتب معظم أغانيها الشهيرة، وغنت لعبد المنعم عبد الحي، ومحمد علي أبو قطاطي، وبشير محسن، وعبد الرحمن الريح والسر قدور وغيرهم، كما قامت عائشة بتلحين الكثير من أغنياتها.

من أشهر أغنياتها المسجلة: من دار الإذاعة، الدار ال ما داري، التجني، الحب، الليمون، الممنوع وصالو، يا حبيبي غبت عني، الربيع، الريدة، عريسنا ورد البحر، شوفتك غالية، سمسم القضارف، بلال تزورني مرة، ياحنوني، يجو عايدين.

قلبي إنفطر دمعي إنهمر
الليلة السفر ابقي قمرة جوه القطر

نعم فى العام ١٩٧٤م إنهمر دمع الشعب السوداني، وانفطر قلبه، لانتقال الفنانة عائشة الفلاتية لرحمة مولاها.

٦٩ - عبدالرحيم البرعي

الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ محمد وقيع الله عرف بالبرعي، وهو لقب أطلقه على نفسه، تيمناً بمحب الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الذي في اليمن، الشيخ عبد الرحيم البرعي اليمني.

ولد الشيخ عبدالرحيم بقرية الزريبة التابعة لمحافظة أم روابة، وكان ذلك عام ١٩٢٣م. ثم بعد ذلك توسع في علوم الشريعة، لم تفته فيها شاردة ولا واردة، حيث درس على والده الشيخ محمد وقيع الله، ودقق معه كثيراً خاصة في المتون، واستوعب جميع العلوم الشرعية، كما أضاف لها العلوم الحديثة، وله معرفة كثيرة بها، وواضح هذا من إسلوبه البلاغي الراقي.

ثم بعد ذلك انتقل إلى الطريق الصوفي، حيث سلك الطريق على والده الشيخ محمد وقيع الله، والده قد سلك الطريق على الشيخ عمر الصافيابي المشهور (براجل الكريدة).

على أنه حينما تقلد الخلافة عام ١٩٤٤م كان ينتظره عمل ضخم، ويعلم أن لكل خطوة من خطواته لها مكان معين، وبدأ بتوسيع رقعة التعليم، وقام ببناء مسجد في الزريبة، ودور التعليم المرفقة فيه، والمنافع المختلفة، وتسامع طلبة القرآن الكريم بذلك المسيد، وتوافدوا عليه، على أن الشيخ عبد الرحيم طفر طفرةً كبيرة، حيث أسس معهد الزريبة العلمي، على غِرار معهد أمدرمان العلمي، وذلك عام ١٩٧٤م حيث كان الطلبة يدرسون العلوم الشرعية بعد حفظ القرآن الكريم .

كذلك تمكن من بناء عدد من المساجد الدعوية والإرشادية في مناطق متفرقة من السودان، حيث قام عام ١٩٦٩م بإفتتاح زاوية السمانية، وذلك في مدينة الأبيض.

في عام ١٩٨١م افتتح المسجد الذي أقامه بأمدرمان في أم بدة، وفي العام ٢٠٠١ افتتح المجمع الإسلامي، والذي يضم مسجداً وملحقاته، وذلك بمدينة المجاهدين بالخرطوم. كما افتتح مساجد في كل من ودمدني، الأبيض، أم روابة وبارا، وكذلك إفتتح مساجد في مناطق متفرقة من القطر، ومع هذه المساجد تم إلحاق خلاوي بها لتدريس القرآن الكريم، وعلوم الدين المختلفة.

ثم بعد ذلك نأتي إلى مؤلفات الشيخ عبدالرحيم له ديوان (رياض الجنة) وهو ديوان يشتمل على شعره الفصيح، وله كتاب أسماه (هداية المجيد) وهو عبارة عن منظومتين في علم التوحيد وعلم الفقه.

قام حفيده الشيخ عبد الرحيم حاج أحمد والذى له إهتمامات بتوثيق تراث الشيخ البرعي، بإصدار مجموعة من قصائد الشيخ تحت عنوان (من روائع برعي السودان).

في عام ١٩٩١م قامت الدولة بتكريم الشيخ عبد الرحيم البرعي، وتم منحه وسام الدولة للآداب والفنون من الطبقة الأولى، وفي عام ١٩٨٥م منحته جامعة أم درمان الإسلامية

الدكتوارة الفخرية، وفي عام ١٩٩٤م منحته جامعة الجزيرة الدكتوارة الفخرية، وكذلك جامعات أخرى، كما حصل على شهادات تقديرية من المؤسسات التعليمية والتنفيذية. كما تم تكريمه من دول خارجية.

وله إسهامات إجتماعيه خاصة في إقامة مهرجانات الزواج الجماعي، وفي الخمسينيات من القرن السابق، أقام عقد لألاف الزيجات بطريقة ميسرة، وهي محصورة في سكان الزريبة وما جاورها، وقد وجد هذا المهرجان نجاحاً، والمهر عشر جنيهات فقط.

كما أقام مهرجاناً آخر في منتصف السبيعينات من القرن المنصرم، وتم فيه تزويج المئات من الشباب بمهر لا يزيد عن خمس وعشرون جنيهاً.

وفي عام ١٩٩٣م شرفّ الرئيس البشير مهرجاناً تم فيه تزويج خمسة آلاف شاب وشابة، وقد نال المتزوجون هدايا من الدولة تعينهم على مواجهة متطلبات الحياة.

ذات إحسان أميرة وملكة
وسالم جسمها من علكة
ترجاك بالروائح تـــلك
العود والمسوح والدلكة
صل يامن لشرعو يتوج
لي من قوم المتعـــوج
البرعي للبضاعة يروج
دايما للأيامى يـــــزوج

لم يقتصر دوره الإجتماعي هنا فقط بل كان واسطة العقد بين القبائل المتناحرة، وكثيراً ما كان يصلح بينها.

تُوفيّ الشيخ البرعي عام ٢٠٠٥م عن عمر بلغ إثنتين وثمانون عاماً، وحضر مراسيم الدفن النائب الأول للرئيس علي عثمان محمد طه، وعدد من المسؤولين في الحكومة، ونعاه مجلس الوزراء " إنما تنعي قيثارة المديح، الذي عطر أماسي السودان بناجع القول... وتنعي فيه أيكة المساكين المديدة الظل... وكافل الأيامي واليتامى، ذوي المسغبة والمتربة هجوعاً وعشاء وضحى، وشرافة اللوح الجليلة والزاهية في أيدي اليفع
"

٧٠ - حسين الهندي

هو الحسين يوسف الهندي محمد الأمين (ود الهندي) وهم ينتسبون إلى الأشراف، ولد في حي بري الشريف في بري اللاماب، عام ١٩٢٤م نشأ وترعرع بها في بيت عادي من بيوت الطين، عاش عيشة بسيطة، وكذلك في كل سني حياته كان بسيطاً في كل شيء، ووالده يضاف إلى الإثنين الآخرين، وهم زعماء البلاد الدينيين الثلاثة.

أتم حفظ القرآن الكريم بخلوة أبيه ببري، ثم أخذه جده وأدخله المدرسة الأولية في مدينة سنجة، ثم أخذه خاله أحمد خير المحامي، وأتم المرحلة الأولية في مدينة ود مدني، ثم درس كذلك الأميرية الوسطى بها، وذلك عام ١٩٣٥م كان يقفز في مراحل التعليم قفزاً، وقبل أن يتم عامه الدراسي سافر إلى مصر ليتلقى دراسته الثانوية، هنالك كلية فكتوريا في الإسكندرية في مصر، أعدت بشكل خاص لشخصيات خاصة، وعندما عاد حسين في الإجازة، كان له زي لا يشبه ما إعتاد عليه أبوه، والذى فيه مسحة من التقليدية، فأراد منعه من الرجوع إلى مصر، أين أنت أيها السيد عبدالرحمن المهدي الصديق المقرب من الشريف يوسف، وتدخل المهدي، وأقنعه بأن يسمح له بالرجوع إلى مصر.

على أنه في نهاية الثلاثينات، أتت رياح هوجاء لا تذر شيئاً، وهي رياح الحرب العالمية الثانية، فعاد حسين لتكملة الدراسة في كلية غردون بالخرطوم.

ثم بعد ذلك اتجه للإستثمار، حيث بدأ بالزراعة في مشاريع مختلفة في السودان، درت عليه أرباحاً وفيرة.

شعاره السياسي أنه لا قداسة مع السياسة، وحينما خرج الختمية من الإتحاديين وكونوا حزب الشعب الديمقراطي، إنحاز هو إلى الوطني الإتحادى، ثم دخل إنتخابات ١٩٥٧م وفاز في دائرة الحوش، ممثلاً للحزب الوطني، وأظهر قدرات أدبية فذة، وحارب الفساد بكلتا يديه.

في العام ١٩٥٨م إستولى الفريق إبراهيم عبود على السلطة، ذهب حسين إلى مصر كانت عنده مثل (دروة التيوة) يستريح فيها، ثم يخرج منها (رباعي) هنالك خلق علاقات وطيدة مع جمال عبد الناصر، كما ساند الحركات العربية المختلفة، وخاصة الثورة الجزائرية، كما أنه لم ينس مقاومة الديكتاتورية هنالك في الخرطوم.

في ٢١ اكتوبر ١٩٦٤م قامت ثورة إكتوبر، هل هي ثورة المترفين في الأرض؟ ولكن ما لنا ولهذه المصطلحات؟ فلنعلّم الشعوب قاطبة، أننا إذا أردنا أن نسقط الآلة العسكرية لأسقطناها، إذا وجد السبب أم لم يوجد.

انخرط الشريف حسين بعد ذلك في فترة الديمقراطية الثانية في العمل السياسي والتنفيذي، وعمل وزيراً للري، ثم المالية، ثم الحكومات المحلية، ثم المالية مرة ثانية، وأظهر في كل الوزارات التي تولاها كفاءه نادرة.

كما عمل الشريف على إصلاح السياسات الإقتصادية العرجاء، وإخراج الإقتصاد السوداني من الإختناقات التي كان يمر بها.

في عام ١٩٦٧م عقد مؤتمر القمة العربي بالخرطوم وعرف بمؤتمر (اللاءات الثلاث) والمؤتمر من أجل التطبيب ومسح الرؤوس للزعماء المهزومين، أكثر من كونه مؤتمر للاءات الثلاث. كان عبد الناصر يعزف منفرداً، والملك فيصل له مزماره لوحده، ماذا يحصل لو جمعوا في (أوركسترا) واحدة، وهذا ما تكفل به محمد أحمد المحجوب والشريف حسين.

في ٢٥ مايو ١٩٦٩م إستولى جعفر محمد نميري على السلطة، والشريف منهمكاً في عمل رسمي حتى قبيل الصباح، حينما علم بالإنقلاب ذهب إلى مدني، ثم لحق بالإمام الهادي في الجزيرة أبا، ثم نجح الإمام الهادي فى إخراج الشريف إلى إثيوبيا، حتى يذهب إلى هيلاسلاسي، والملك فيصل لطلب الدعم منهم.

في يوم ٢٧ مارس ١٩٧٠م تم قصف مكثف على الجزيرة أبا، إنتهى جيب من جيوب . المعارضة بالداخل، كانت أنظار المعارضة كلها متجهة نحو الشريف اللاعب (الجوكر) في المعارضة، نتجه لعوامل إقليمية، نقلت الجبهة الوطنية نشاطها إلى ليبيا، وهو يقود تلك الجبهه ومعه الصادق المهدي.

في الثاني من يوليو ١٩٧٦م قادت الجبهة إنقلاباً ضد نميري، وفشل الإنقلاب.

فشلت الجبهة بقيادة الشريف في الإستيلاء على السلطة؟ وتعرض نميري لضربات موجعة من المعارضة، على أن المعارضة نفسها قد أنهكت، فلتكن المصالحة، وكانت المصالحة الوطنية بين نميري والجبهة الوطنية، وذلك في عام ١٩٧٧م إلا أن الشريف رفض تلك المصالحة، واصل فى المعارضة، لاقى نميري من الشريف عنتاً شديداً، كانت الكلمات التي تخرج من مجلة الدستور كأنها (دانات) يصعب السيطرة عليها.

هذا الجسد النحيل المتعب بهموم الوطن ليس له راحة، فليطر إلى أثينا، هنالك في اليونان كأنه سقراط يحاضر في الحكمة والفلسفة والسياسة، كان الشريف له ندوة مع الطلبة السودانيين والجالية السودانية باليونان، ثم تعرض لأزمة قلبية، تُوفيّ على إثرها في ٩ يناير ١٩٨٢م ثم نقل جثمانه من أثينا إلى ليبيا، حيث أقيم له حفل تأبين هنالك، ثم نقل إلى الخرطوم بطائرة خاصة، ودفن في بري بالخرطوم.

٧١ - جعفر محمد نميري

نتقدم خطوة، واحدة بإتجاه واحد، لرجل قاد مسيرة البلاد بمركب كانت الرياح تتناوشه من كل جانب، ثم تسكن الرياح، ثم تعود إلى هذه الدوامة مرة أخرى، ولكن ندع حديث الطبيعة، ونتجه إلى حديث السياسة، والتي تحاكي شحنة إعصار ليس لها ضابط تتجه أينما تريد.

جعفر محمد نميري، ولد عام ١٩٣٠م بقرية ود نميري بالقرب من دنقلا، وإسمها على جد العائلة، والده رجل ورع، وكذلك الوالدة لم تكن أبداً بعيدة عن هذا الجو. تعلم نميري في ود نميري الأولية، ثم دخل الثانوية في حنتوب في مدني. تُوفيّ الوالد والوالدة في يوم واحد، في حادث إنقلاب عربة، وأحدث هذا الحادث أثراً عميقاً في نفس نميري فيما بعد.
على أننا نطوي هذه الأحداث هرولة حتى نصل إلى ٢٥ مايو ١٩٦٩م في جو ليس على بعضه من شيء، كل شيء مختل، هنالك نذير بعمل ما، لو لم تأتي أنت يا نميري لأتى أيِ شخص آخر، أما الإنشقاقات قد وصلت مرحلة بعيدة المدى، ففي خلال أربعة سنوات قامت أربع وزارات.

في التاريخ أعلاه إستولى الضباط الأحرار على السلطة، بزعامة العقيد آنذاك جعفر محمد نميري، وأبرز أعضائه بابكر النور، أبوالقاسم محمد إبراهيم، هاشم العطا وفاروق حمدالله وغيرهم.

وقد تضمن البيان الأول إتهام للأحزاب أنها لم تدرك معنى الإستقلال، ولم تحرص على مصالح الوطن، عبارات فضفاضة مافي ذلك من شك، وتواصلت المراسيم والقرارات حل مجلس السيادة، ومجلس الوزراء، والجمعية التأسيسية، وحل كافة الأحزاب وتعطيل الصحف. ثم ماذا؟ إعتقالات حتى أنت يا أزهري؟ الزعيم التاريخي، لم تسلم منها، وفوق ذلك فقد تدهورت صحة ذلك الزعيم حيث تُوفيّ في أغسطس ١٩٦٩م.

على أن النظام الجديد قد رفع شعارات حمراء، ومعها العين الحمراء في آن واحد، والرائحة الشيوعية تشتم منه، حتى من صاحب الزكام، مما دفع القوى اليمينية إلى التجمع حول الإمام الهادي المهدي إمام الأنصار، في الجزيرة أبا، فالشريف حسين الهندي في مقدمة الصفوف. أما زعماء الميثاق الإسلامي محمد صالح عمر، الكاروري ومهدي إبراهيم، فشكلا حضوراً بارزاً، كان سبب الضربة معلباً، هل يحتاج النظام العسكري إلى سبب؟ وضُربت الجزيرة أبا بالطيران، انسحب الإمام الهادى، مثلما انسحب الخليفة عبدالله في مشهد كهذا، وكانت النهاية واحدة، وإن إختلف الزمان والمكان، كانت نهايتك أيها الإمام في الكرمك بالقرب من الحبشة.

لقد تمت سرقة الثورة، من السارق؟ وما المسروق؟ لا أدري، عباره تقال كثيراً لتبرير الأحداث، في ١٩يوليو ١٩٧١م واستولوا الشيوعيين على السلطة لمدة ثلاثة أيام، على أن

التحرك المضاد أعاد نميري إلى السلطة في ٢٢ يوليو. عقدت محاكمات لأعضاء الحزب الشيوعي (نحروه أم إنتحر) وهي قاسية عليهم، وتم إعدام ثلاثون ضابطاً، وعدداً آخر من أبرزهم عبدالخالق محجوب والشفيع أحمد الشيخ.

ثم تواصلت محاولة الإنقلابات ضد السلطة، كانت الحركة الإسلامية تشق طريقها بهدوء وتعلم أن النحت على الصخر يحتاج إلى زمن وتركيز، وهنالك عمل منظم في الجامعات والمدارس الثانوية.

تواصلت الحركات ضد النميري، فقامت حركة المقدم حسن حسين ذات الميول الإسلامية، وفشلت الحركة.

علي أن أم المعارك في المحاولة الإنقلابية التي قامت بها الجبهة الوطنية، والقيادة العسكرية للحركة في يد العميد محمد نور سعد، وفشلت الحركة أيضا.

"ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة" عبارة فقدت بريقها كثيراً أو على الأقل في عام ١٩٧٧م، فقد حصلت المصالحة الوطنية بعد وساطة فتح الرحمن البشير والأمير محمد الفيصل، بين النميري والجبهة الوطنية بقيادة الصادق المهدي، واللقاء في بورتسودان. حيث عادت القيادات إلى الداخل وعلى الرغم من خروج الصادق المهدي بعد ذلك إلا إن جبهة الميثاق إستفادت من المصالحة الوطنية، حيث فصّلت للترابي زعيم الجبهة عدداً من الملابس الرسمية، يرتدى منها كيفما شاء، علاوة على دخوله المكتب السياسي لتنظيم الإتحاد الإشتراكي، حزب الحكومة الوحيد في السودان.

حدثت مفاجاة كبرى في سبتمبر ١٩٨٣م حيث أعلن نميري تطبيق قوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية. على أن جبهة الترابي أيدت ذلك بقوة، وسيرت المسيرات المليونية، ولكن عاد النميري وانقلب عليهم في أواخر عهده، وأودعهم السجون، وذلك بضغط من عناصر الإتحاد الإشتراكي، وبطبخة (بوشية).

لم تكن العبرة بالخواتيم عند النميري، فقد إنتهى من صداع الجنوب عام ١٩٧٢م في مؤتمر أديس ابابا، حيث منح الحكم الذاتى لمديريات الجنوب، واستمر رأس النميري لا يحتاج إلى أي مسكن، ولكن في عام ١٩٨٣م إنشقت الأرض، وأظهرت العقيد جون قرنق الذي أعلن تمرده، وتكوين الحركة الشعبية لتحرير السودان.

كانت كل الأحداث تعطي إشارة بأن النهايات قد قربت، اندلعت المظاهرات في مارس ١٩٨٥م خرج نميري من الخرطوم، ومن نافذة الطائرة يرى بأم عينيه الحرائق تشتعل، هل استعجلت أيها المشير؟ أم أن لكل أجل كتاب؟.

في ٦ ابريل ١٩٨٥ إنحاز الجيش للشعب، وأعلن الفريق أول عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب الإستيلاء على السلطة، وتكوين مجلس عسكري إنتقالي؟ ونهاية فترة مايو .

في مايو ١٩٩٩م عاد نميري إلى البلاد، ودخل بعد ذلك في انتخابات لا تسمن ولا تغني من جوع. تُوفيّ يوم السبت الموافق ٣٠ مايو ٢٠٠٩م بعد صراع طويل مع المرض.

٧٢ - عبدالخالق محجوب

كان الحزب الشيوعي السوداني يهز ويرز، ويملأ الأرض، أما الكون فكان هنالك الحزب الشيوعي الاندونيسي، لماذا فعلت هذا يا سوهارتو؟ بل لماذا فعلت هذا يا نميري؟ هل كلاكما وجهان لعملة واحدة؟

ولد عبد الخالق محجوب في حي المكي بمدينة أم درمان، عام ١٩٢٧م درس مراحله المختلفة فيها، وهو شخصية ذات أثر كبير في محافل الشيوعية العالمية، حاول إيجاد صيغة محلية كبديل للصيغة العالمية، كما رفض تبعية الحزب إلى الإتحاد السوفيتي.

عارض انقلاب جعفر نميري في ٢٥ مايو ١٩٦٩م لتعارضه مع مبدأ الديمقراطية التي ظل يدعو إليها الحزب، ولكن لم يستطع الحصول على موافقة أغلبية السكرتارية المركزية للحزب لإدانة الإنقلاب، والذي حسب على الحزب الشيوعي السوداني المشارك فيه، نظراً لتعيين عدد من أعضاء الحزب في الحكومة التي شكلها نظام ٢٥ مايو.

نميري له علاقات وطيدة مع الشيوعيين، وقد التقى عبدالخالق محجوب أكثر من مرة، وقد أسر نميري بفكرة الإنقلاب إلى الشيوعيين، إلا أن الواضح أن الشيوعيين أنفسهم لم يكونوا على وفاق، فهنالك جناحين، وعبدالخالق مع الجناح الذى يرفض الإنقلاب.

٢٥ مايو ١٩٦٩م تاريخ له معنى، كأن لسان حال نميري يقول لعبدالخالق سوف أستولى على السلطة شئت أم أبيت، وقد شكّل الشيوعيين داخل مجلس قيادة الثورة خميرة عكننة للثورة، كان نميري يشرّق وهؤلاء يغربون في أمور عدة، منها ضربة الجزيره أبا، فقد رفض الشيوعيون الضربة وبشدة، إلا أن الضربة وقعت فعلاً، وهي في منتهى الفظاعة والقسوة والبربرية، لم تكن هنالك ثلاجة حتى يضع فيها عبد الخالق أعصابه، فقد أدانت مركزية الحزب الشيوعي هذه الضربة وبقوة، على أن نميري نفسه لم تكن له لغة تفاهم إلا السجن أو النفي، إذهب أيها الرفيق إلى المنفى، إلا أن الزعيم المصري جمال عبدالناصر قرر إستضافته في مصر، فله علاقات متميزة مع عبد الناصر، ومعه السيد الصادق المهدي، إلا أنهما عادا بعد شهر من تلك الإستضافة.

تم إعفاء ثلاثة أعضاء شيوعيين من مناصبهم، وتم إعتقال عبدالخالق محجوب للمرة الثانية، ووضح أن هنالك طلاقاً بائناً بينونة كبرى بين الطرفين. أتت المعلومات إلى نميري بأن عبدالخالق قد تمكن من الخروج من سجنه. استنفر نميري أجهزة أمنه للبحث عن عبدالخالق، لو دخل كومة قش أو شارعاً أو "زنقة زنقة" إلا أن الشيطان نفسه قد لا يعلم مكان عبدالخالق، فقد كان يخبأ أسفل مكتب نميري!

أيها المخرج هل عبدالخالق والشيوعيون يؤيدون إنقلاب ١٩ يوليو ١٩٧١م ؟ كان هاشم العطا قائد الإنقلاب، واجتمع مع عبدالخالق في تلك الحجرة الجهنمية، ورفض عبدالخالق

فكرة الإنقلاب، متخوفاً من فشل هذه المحاولة قد يؤدي إلى نهاية الحزب الشيوعي، وأن يحدث لهم ما حدث في أندونيسيا، وكذلك رفض مكتبه السياسي تلك الفكرة.

١٩ يوليو ١٩٧١م تاريخ (إتمسح) من الذاكرة السودانية، كانت المارشات العسكرية تنطلق الساعة السادسة صباحاً، أما هنا فقد إنطلقت منتصف النهار، تعلن عن حركة تصحيحية شيوعية إستمرت ثلاثة أيام، هل بلياليها؟ الواقع نعم، لأن الشيوعيين لم يناموا قط في هذه الأيام.

على أن الإنقلاب قد إنهار تماماً، بعد ثلاثة أيام فقط، وعاد بريق السلطة مرة أخرى لنميري، فقد كانت بعد ذلك لحظات الإنتقام قاسية على الإنقلابيين، والحزب الشيوعي، أيها القائد اللماح كأنك كنت تقرأ في فنجان، وكأن نزار قباني بالقرب منك، (يطبطب) عليك ويقول لك: "لو أني أعرف أن البحر عميق جداً .. ما أبحرت، لو أني أعرف خاتمتي ما كنت بدأت..." ولكن من منا يعرف خاتمته.

نغوص بعد ذلك فى هذا البحر العميق، وهو أعمق مما تتصورون، فقد وقعت مجزرة بيت الضيافة، وفيها تمت تصفية أكثر من عشرون ضابطاً، وقيد الحادث ضد مجهول. رفض عبد الخالق اللجوء إلى سفارة ألمانيا الشرقية، حيث تم القبض عليه في منطقة الهجرة بأمدرمان، ونقل إلى المدرعات بالشجرة، وتمت محاكمته، وحول المحاكمة إلى محاكمة للنظام، وأصر أن يكون فى كامل هندامه، وتم تنفيذ حكم الإعدام عليه شنقاً حتى الموت، وذلك في ٢٨ يوليو ١٩٧١م.

٧٣ - محمد ابراهيم نقد

مدينة الجغرافيا مدينة عريقة هي أم المدن، بها عدد من المسارب والمرتفعات والمنخفضات والفجاج وفوق الأرض وتحت الأرض.

محمد إبراهيم نقد سياسي شهير، داخلياً وخارجياً حتى حينما كان تحت الأرض( ) كانت الأفئدة كلها معلقة به، أين يعيش في هذه (التحتية) ولكننا ندع هذه الآن، ونخرج معه في البر أليس (الفي البر عوام)؟.

ولد بمدينة القطينة عاصمة التحدي عام ١٩٣٠م تلقى تعليمه الأولي بها، وأكمله فى حلفا الأولية، ثم حلفا الوسطى، ثم شد الرحال إلى حنتوب، حيث درس الثانوي بها. كان قوس قزح يمر فى سماء حنتوب ثم ينسل خلسة، ويعطي بعض ألوانه لها، ولكن الإحمرار يغلب على جميع الألوان. إين أنت أيها النميري؟ العدو اللدود للشيوعيين، أما الآن فنحن في حنتوب، وهنالك صداقة وزمالة بينك وبين نقد، على أنه لأول مرة يظهر شق أرضي في حنتوب، ويخرج منه نقد لكي تلاقي يده يد نميري، في إحتفائية اليوبيل الذهبي لثانوية حنتوب، ولكن بعد هذه المصافحة عادت سماء حنتوب صافية، وأرضها متساوية، لا شقوق بها ولا نتوف.

ظهر هذا الشاب بوجه سافر في السياسة، حينما شارك فى المظاهرات ضد الإنجليز عام ١٩٤٦م حيث عارضت بعض القوى إنشاء الجمعية التشريعية.

له حس أدبي مرهف، فالسياسة والأداب في السودان صنوان، فقد أشرف على جمعية التمثيل والمسرح، وقدمت عدداً من الأعمال وخاصة للأديب السوداني خالد أبوالروس، ولعدد من العباقرة السودانيين.

دخل في عام ١٩٥٢م جامعة الخرطوم، كلية الأداب، ونتيجه لعمله السياسي ونضاله الوطني تم فصله من الجامعه، وعرف طريق السجن جيداً. وبعد أن خرج من السجن قرر الاتجاه غرباً، إلى هنالك، أوروبا الشرقية حيث الإشتراكية والحرية، وفي ذلك الوقت تهب على العالم نسائم الحرب الباردة بين القطبين، الديك الأمريكي والدب الروسي، حيث ذهب إلى بلغاريا، وأكمل دراسته الجامعية في جامعة صوفيا، حيث درس الفلسفة والعلوم الإجتماعية.

عاد من أوروبا عام ١٩٥٨م والكرفتة عليه كانهأ وشاح للتفوق، بعد ذلك تفرغ للعمل في المجال السياسي، وفي سكرتارية الحزب الشيوعي السوداني، ثم ما لبث قليلاً إلا واستولى الفريق إبراهيم عبود على السلطة، وذلك بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م أين الموقع من الإعراب؟ المؤكد السجن، فقد نشأت صداقة بينه وبين جدران السجن الأربعة، فقد سجن لمدة عام. كان الفريق إبراهيم عبود حليماً وحكيماً ورحيماً، حينما تخلى عن السلطة بعد ثورة إكتوبر الشعبية، وتمت تصفية مؤسسات الحكم العسكري، وإقامة حكومة موقتة برئاسة سرالختم الخليفة، إستمرت لمدة عام.

كان عام ١٩٦٥م عاماً له إيقاع خاص عند الشيوعيين، وعند نقد كانت الخاتمه أسوأ من البداية، دخل البرلمان ممثلاً للحزب الشيوعي، ونواب الحزب في هذه الإنتخابات إحدى عشر نائباً، وعدد نواب البرلمان ١٥٨ ويبدو أن قبة البرلمان لا تستطيع أن تستوعب كل هذا العدد، ولذلك وفي حال فردية حسبت على الحزب الشيوعي، أثارت المشاعر الدينية، تم حل الحزب الشيوعي، وطرد أعضاوه من البرلمان، أما صوت السياسة فهو أقوى من صوت القضاء، فقد أبطلت المحكمة العليا هذه القرار، إلا أن حكومة الصادق المهدي مضت فيه، ثم عادت الأمور إلى نصابها عام ١٩٦٧م بشرعية الحزب الشيوعي.

فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ إستولى العقيد جعفر محمد نميري علي السلطة، بمباركة من الشيوعيين. ألا أن خلافاً حصل بينهم ونميري، ونتيجة لذلك، فقد استولوا على السلطة لمدة ثلاثة أيام، من ١٩-٢٢ يوليو ١٩٧١م ثم إنهار الإنقلاب سريعاً، وعاد نميري إلى السلطة، وقامت مجازر عنيفة للشيوعيين، هزت الضمير العالمي قبل المحلي، ومن ضمن الإعدامات عبدالخالق محجوب، سكرتير الحزب الشيوعي. حزب كبير كهذا لا بد وأن يتعامل مع هذه الأحداث بهدوء، تم تعيين نقد سكرتيراً للحزب الشيوعي. أين أنت أيها الرفيق؟ باطن الأرض أفضل من ظاهرها، على الأقل حتى الآن، إختفى نقد عن الأنظار، ولم يظهر إلا فى مدة محدودة وفي حنتوب.

جاء يوم ٦ ابريل ١٩٨٥م و يبدو أن (الجرافات) قد بسطت الأرض تماماً، فخرج نقد بعد الإنتفاضة الشهيرة، والتي أطاحت بنميري، وتم تعيين الفريق أول عبدالرحمن سوار الذهب رئيساً للمجلس الإنتقالي. في عام ١٩٨٦م فاز في دائره جغرافية في قلب العاصمة الخرطوم، وهي دائرة الديوم والعمارات، ولكن تقلص عدد نواب الحزب الشيوعي في هذه الإنتخابات إلى ثلاثة نواب.

ننتقل إلى تاريخ آخر ٣٠ يونيو ١٩٨٩م فقد إستولى العميد آنذاك عمر حسن أحمد البشير على السلطة، وتحويل القادة الأربعة نقد، المهدي، الميرغني والترابي للسجن، أما رابع الأربعة فقد كان من أجل المجاملة والتمويه لاغير. تم إطلاق سراح نقد بعد سنتين، ويبدو أن (الجرافات) قد إختفت، وظهرت الشقوق على الأرض، وعاد الرفيق مرة أخرى إلى باطن الأرض، وكان ذلك في عام ١٩٩٣م ولم يظهر إلى العلن إلا عام ٢٠٠٥م عند إنفراج نسبي في العلاقة بين الحكومة والمعارضة.

في عام ٢٠٠٩م تم إنعقاد المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي، وتم إنتخاب نقد سكرتيراً له. من كتبه قضايا الديمقراطية في السودان علاقات الأرض في السودان، علاقات الرق في المجتمع السوداني، وحوار حول الدولة المدنية.

فى ٢٢ مارس ٢٠١٢ فى باطن الأرض، ولكن هذه المرة بصورة دائمة، فقد انتقل إلى رحمة مولاه في مدينة لندن، ونقل إلى الخرطوم، وبكى عليه الشعب السودانى كثيراً، لأخلاقه وتواضعه بين الناس، ودفن في مقابر فاروق.

٧٤ - هاشم العطا

منتصف النهار هو على أي حال وقت للقيلولة، وقفة قصيرة في مسيرة الحياة اليومية، وتنشط القدرات العقلية، وتحسن من الأداء العقلي، مقارنة بالأدوية المنبهة، ولكن يا حضرة الرائد لم تترك السودانيين ينعمون بتلك الفوائد المذكورة، فقد (طارت) سنة النوم منهم، وهذا الجهاز العجيب أمامهم يديرونه ميمنة وميسرة.

ولد هاشم العطا بأم درمان بتاريخ ١٩٣٦م حيث أتم المرحلة الثانوية عام ١٩٥٧م والتحق بالكلية الحربية السودانية عام ١٩٥٧م وتخرج منها عام ١٩٥٩م أوفد في بعثة دراسية إلى بريطانيا عام ١٩٦٢م ثم المانيا الغربية عام ١٩٦٣م ثم مصر عام ١٩٦٥م.

كما عمل بعدد من المناطق، لعل من أهمها القيادة الوسطى عام ١٩٥٩م ثم بمدرسة المشاة عام ١٩٦٣م ثم عمل بالقيادة الجنوبية عام ١٩٦٦م كما تولى عدداً من المناصب لعل أهمها: عضواً بمجلس ثورة مايو ١٩٦٩ ثم وزيراً للثروة الحيوانية، ثم مساعداً لرئيس الوزراء للقطاع الزراعي.

دعونا الآن نرفع درجة الإستعداد ١٠٠% ونقترب كثيراً لنرى ماذا حدث؟ أراد جعفر محمد نميري أن يستولي على السلطة وبأي وسيلة، كأن نقولا ميكافيلي كان بالقرب منه ويدفعه للتحرك، والشيوعيون بعضهم يريد أن يدخل ذلك (الميدان) والآخر يتهيب ذلك اللقاء، ونميري يتقدم بخطوات عسكرية رشيقة إلى دار الإذاعة ليس فيها (إلى الخلف دور) كان يوم ٢٥ مايو ١٩٦٩م حاضراً في الذاكرة كثيراً. دخل ثلاثة شيوعيين مجلس قيادة الثورة وهم المقدم بابكر النور والرائد هاشم العطا والرائد فاروق حمدناالله. ونميري لا يستطيع قيادة إجتماع مجلس قيادة الثورة إلا وحبوب (الكافينول) أمامه، من كثرة ما يسببه هؤلاء له من صداع. فقد كانوا يعارضون كل موضوع يوضع أمام المجلس، أيها القائد أرم بهذه الحبوب في سلة المهملات. أمَّا هؤلاء فالإذاعة ليست بعيدة عليك. ففي ١٦ اكتوبر ١٩٧٠ تم إعفاء هؤلاء الضباط الثلاثة، ووضح من مجريات هذه الأحداث أن العلاقة بين نميري والشيوعيين قد وصلت درجة تحت الصفر، وتم إعتقال عبدالخالق محجوب سكرتير الحزب.

كان تاريخ ١٩ يوليو ١٩٧١م يوم طويل فى تاريخ السودان. الإنقلابيون يريدون تأييد الحزب الشيوعي لهذا الإنقلاب، كانت عصا موسى حاضرة معهم، حيث تمكنوا من إخراج عبدالخالق من معتقله، ولكن يبدو أن السجان أطلق لهم عبد الخالق، وسجن العصا. ولكن هل يستطيع إلى ذلك سبيلا، أتى الرد سريعاً من الشيوعيين، أنهم يرفضون هذه المغامرة، خوفاً أن يحدث لهم ما حدث لإخوانهم في اندونيسيا، ولكن تعهدوا بتأييد الإنقلاب إذا توفرت له الظروف الموضوعية لإنجاحه. لم يهتم الانقلابيون كثيراً بذلك، ومضوا في خططهم نحو تنفيذ الانقلاب.

دعونا ندخل القيادة العامة، ونشارك نميري في غذائه، لم يكن الحوت قد خرج من طبق الغذاء (ودخل البحر عجبا) ولكن الذي دخل عليهم هم ثلاثة من قادة الحرس الجمهوري، وتم إعتقال نميري ومجلس قيادة الثورة في ثوانٍ معدودة، وأدخل نميري في مخزن قديم.

ندخل خفية مبني الإذاعة، حيث أن البرامج العادية قد قطعت، والإذاعة تردد " سنذيع إليكم بياناً هاماً من الرائد هاشم العطا ... فترقبوه " والبيان فيه ريحة شيوعية قوية العطر، فإشتم الطلاب الشيوعيون هذه الريحة، التي وصلت إلى جامعة الخرطوم فطلعوا في مظاهرات.

لا نخرج من مبنى الإذاعة، هنالك بيان تشكيل المجلس الجديد، المقدم بابكر النور رئيساً، والرائد فاروق عثمان حمدنا الله عضواً، وهاشم العطا نائباً للرئيس، ولكن أين الأولان؟ هنالك في عاصمة الضباب، كانت الطائرة التي تقلهم إلى الخرطوم ليس في خط سيرها المرور بالإجواء الليبية، ولكن العقيد القذافي هنالك له أذرع استخبارتية، حيث تم تحويل مسار الطائرة إلى مطار بنغازي، وفور وصولها المطار كان البروتكول المعد لإستقبال رئيس السودان الجديد مختلفاً تماماً عن البروتكولات المعلومة، وفور نزول الطائرة في ذلك المطار، تحركت لها قوة مدرعات مدججة بالسلاح وحاصرتها، وثم إعتقال بابكر النور وفاروق حمد الله.

أيها العقيد القذافي، إخراج أهم لاعبين من المباراة وبالكرت الأحمر يعني نهاية المباراة، وذلك قد حصل، وانهار الإنقلاب سريعاً، حيث تحرك هجوم مضاد، وتم إحتلال الإذاعة والأسلحة المختلفة، وعودة نميري إلى السلطة مرة ثانية يوم ٢٢ يوليو ١٩٧١.

جرت محاكمات عسكرية سريعة، وتم إعدام عدد من الضباط، وشخصيات أخرى، وهاشم من بينهم، حيث حكم عليه بالأعدام رمياً بالرصاص، وواجه الموت في صبر وجلد.

٧٥ - حسن حسين

كثيرون يدخلون الكلية الحربية، ويتخرجون منها، ويذهبون إلى المعاش، وفي فترة الخدمة لا يعرفون شارع الإذاعة بأمدرمان، وإذا عرفوا هذا الشارع، فإنهم يتحاشون المرور به، حتى لا تكون هنالك تفسيرات خاطئة.

هو حسن حسين عثمان عربي، كان الجد الثاني يعمل قاضياً، وكذلك الجد الأول، أما الوالد فقد كان مامور أ، أما الابن فهو رئيس السودان (مع وقف التنفيذ) أيها القضاة.

وينتمون هؤلاء إلى قبيلة الهوارة، حيث موطنهم مدينة الأبيض، وقد عرفوا بالتدين والورع، وينتسبون إلى الطريقة الختمية. ولد حسن عام ١٩٣٨م ودرس بالمدرسة الأولية في عام ١٩٤٦م، ثم المدرسة الوسطى عام ١٩٥٠م، والتحق بمدرسة خورطقت الثانوية (حنتوب اخرى) عام ١٩٥٤م.

في عام ١٩٥٨م التحق بالكلية الحربية، وتخرج برتبة ملازم ثانٍ في الفاتح من مايو ١٩٦٠م، كانت إحتفالات التخرج كبيرة، ولكن "المكتوب على الجبين لابد تراه العين".

ثم بعد ذلك جال أنحاء السودان المختلفة، إلى أن صعد على ظهر دبابة، واتجه بها إلى الإذاعة، ولكن تلك لها قصة أخرى ندعها الآن، ونواصل معه. عين (بفاشر السلطان) ثم بقوات الأمم المتحدة، وعمل بعد ذلك بسلاح الهجانة بالأبيض (عروس الرمال) ثم الجنوب، ورجع للأبيض، ثم عمل بالدلنج، ثم نقل في عام ١٩٧٤م للعمل بسلاح النقل بالخرطوم.

كان يوم الجمعة ٥ سبتمبر ١٩٧٥م هو يوم العطلة الرسمية في السودان، حيث تستلقي الأسر حتى قريب إفطار الصباح، ثم بعدها تباشر عملها، ولكن شخص واحد استيقظ باكراً، فصحيت العاصمة كلها باكراً، أيها المقدم حسن، ماذا حدث؟ كان أثير أمدرمان في ذلك اليوم لم يرسل حروف إلى ست الريدة، ولكنه أرسل مارشات عسكرية متقطعة، حيث تم إحتلال الإذاعة بكل سهولة ويسر، وتوجه المقدم بخطى عسكرية ثابتة نحو إذاعة البيان الأول، ولكن أيها المقدم الحصيف، أين البيان الاول؟ لعن الله هذا (البنطال) اللعين، لقد نسيته فيه، ولكن ماذا يضير؟ فلتتواصل المارشات العسكرية، حتى يتم إذاعة البيان الأول، تم إعداده داخل الإذاعة على عجل، تم إذاعة البيان، وفيه نفس الأشياء التقليدية بما فيها كلمة حل وتوابعها المختلفة، ولكن اللافت للنظر هو إلغاء نظام (توتو كورة) وهو نظام مراهنات رياضية، حيث الواضح أن نفس الأخوان المسلمين موجود فى هذا الإنقلاب.

ولكن بنفس السرعة التي تم بها إحتلال الإذاعة، كانت نهاية الإنقلاب، فقد أهملت عدد من الأماكن الحساسة، ولم يتم الإستيلاء عليها، وهنالك قاعدة (وادي سيدنا) ترقد حصينة، أهمل الإنقلابيون تلك القاعدة، وتحرك رجل المهام الصعبة، الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم، نحوها وتقدم رتل من المدرعات، وفي مقدمتها وحدة مشاة، وتقدمت نحو الإذاعة وأرجعتها في سهولة ويسر.

ولكن نسينا أمراً هاماً، أين القائد (الملهم)؟ أين نميري؟ نعم موجود، ولكن في مخبأ ما!!! وفي الحقيقه أنه تلقى مكالمة هاتفية، من رئيس جهاز الإستخبارات يبلغه فيها أن قوة من سلاح المدرعات تمردت، وهي الآن متجهة صوب الإذاعة، فقد كان رد القائد عليكم بالمتابعة حتى تصل تعليمات أخرى مني، ولكن لم تصل هذه التعليمات حتى كتابة هذه السطور، أما بعد ذلك فلا علم لي بها، كان أبوالقاسم كريماً فقد قدم السلطة على طبق من ذهب لنميري.

كلنا يا حضرة المقدم محكوم علينا بالإعدام، ولكن متى التنفيذ؟ الآن نترك (كلنا) إلى يومها المحتوم، ونقبل عليك أنت، فقد جرت محاكمات، في مدينة عطبرة، وخلصت المحكمة إلى حكم الإعدام على عدد كبير من الضباط، ومن بينهم المقدم حسن.

نأتى إلى اليوم الأخير لتنفيذ الحكم، حيث سمح لزوجته نوال وابنه حسين الذي يبلغ من العمر -ست سنوات- بالبقاء معه يوماً قبل تنفيذ الحكم، أخرج المقدم في الصباح لحظة تنفيذ الحكم، في كامل هندامه، كانت الأرياح المعطرة تفوح منه، كأنه غضنفر يشق فلاة لا يعبأ بأحد، كانت الزوجة متماسكة، أما حسين فلم يكن ابن الست سنوات كما كتبت، ولكن زادته هذه الأحداث بسطة في العمر، أما نضال ... أين هي؟ فى بطن أمها، هى لحظة ذرفت لها الدموع كثيراً حينما انحنى ذلك المقدم الوقور نحو حسين وودعه الوداع الأخير، وأعطاه الساعة حتى يعرف بها مواعيد الصلاة، هذه الكلمة في خاطرك دائما أيها المقدم.

٧٦ - محمد نور سعد

يقول أحبابنا العرب أن من يصحو من السودانيين باكراً فإنه بلا شك سوف يستولي على السلطة، ولكن يبدو أن العميد قد أخذته سنة من النوم، فضاعت عليه السلطة.

هو محمد نور سعد نورين عبدالله، ترجع جذور الأسرة إلى منطقة الأضية جنوب النهود، وهو من قبيلة المسبعات، هاجر والده إلى الجزيرة أبا، ورافق السيد عبدالرحمن المهدي إلى أمدرمان، ثم انتقل والده ليسكن في حي المزاد في بحري، ثم انتقل إلى أمدرمان حيث نشأ محمد نور هنالك.

وبعد أن أكمل تعليمه العام بمدرسة خور طقت الثانوية، دخل الكلية الحربية، وتخرج منها، ومن دفعته الفريق عبد الماجد حامد خليل واللواء عمر محمد الطيب واللواء توفيق أبو كدوك، ثم ذهب إلى ألمانيا لمدة ثماني سنوات، ودرس هندسة الأسلحة، والزخيرة، وحينما عاد أصبح قائداً لسلاح الأسلحة والزخيرة.

والآن الحديث عن الإنتفاضة التي قام بها، وهزت الكرسي الوثير الذى كان يجلس عليه نميري، مالنا وللحديث عن الكرسي الآن، والنميري لا يعرف مكان هذا الكرسي، ولمدة ثلاثون ساعة، والعميد من أكفأ القيادات العسكرية، إلا أنه كان مغضوباً عليه، والتقارير عنه منذ عام ١٩٧٤م أنه يتململ من النظام، كما أن جذوره أنصارية، حيث أراد نميري أن يتخلص منه، وبعثه في بعثة دراسية خيالية إلى ألمانيا، وقع نميري في المحظور، وأصبح الرجل حراً طليقاً، ولكن الطيران إلى إي بلد ليس بعيداً، وخاصة إذا كانت ليبيا، فقد أرسل العميد شفرة إلى القيادة العامة بأنه في ليبيا، في مهمة خاصة، حتى لا يثير الشكوك.

كانت الجبهة الوطنية تعمل هنالك في ليبيا لإسقاط النميري، وتضم أسماء إذا سمع نميري واحداً منها قد يصاب بصداع دائم، مثل الصادق المهدي والشريف حسين الهندي وعثمان خالد وغيرهم.

تم لقاء السحاب بينه والصادق المهدي، وبعد الإتفاق أصبح هو القائد لعملية التحرك، وتتلخص الخطة ببساطة في تحرك رجال الجبهة الوطنية بأسلحتهم نحو أمدرمان، لشن هجوم كاسح على العاصمة، ثم بعد ذلك يتم نسف طائرة نميري القادمة من أوروبا الساعة السادسة صباحاً.

أما ساعة الصفر فهي الساعة السادسة صباحاً، وهي موعد عودة نميري من فرنسا، أيها القائد (الملهم) الجغرافيا، المراسيم والحظوظ كلها داخل بزتك العسكرية، لم تكن الساعة التي يلبسها نميري هي نفس الساعة التي يلبسها الإنقلابيين ،فقد طلبت السلطات الفرنسية منه أن يقدم موعد قيام الطائرة نصف ساعة، حتى يتمكن الرئيس الفرنسي جيسكار من توديعه، أما الرياح فكأن لسان حالها يقول للإنقلابيين إلى الخرطوم قبلهم.

لم تكن الخرطوم هي نفس الخرطوم

في تاريخ ٢ يوليو ١٩٧٦م حيث قدم نميري، وهو يصافح نائبه الأول محمد الباقر، وبعدها وصلت طلائع الإنقلابيين وسمع نميري صوت رصاص، أين القائد؟ (كان كأنه فص ملح وذاب) أيها العميد محمد نور أين هذه الخطة المحكمة؟ أين الإذاعة؟ أكبر الإخفاقات عدم تشغيل الإذاعة، فقد فشلوا في تشغيل الإذاعة الخاصة بالحركة، كما فشلوا في الحصول على مهندسين لتشغيل إذاعة أمدرمان.

كان السودانيون حينما يديرون مؤشر الراديو لا يسمعون إلا هذه (الشخشخة) اللعينة ،اللواء محمد الباقر يعمل في صمت لإستعادة السلطة، أما وزير الإعلام بونا ملوال فقد تمكن من إذاعة بعض البيانات بواسطة إذاعة جوبا التى ترقد حصينة، وكذلك وكالة الإنباء الرسمية (سونا) التي ترقد حرة طليقة، ظهرت عبارات على شاكلة (قوات غازية ليبية) (مرتزقة) فكان الشارع يغلي حين سمع هذه العبارات، وإنقلب السحر على الإنقلابيين.

أين المفر أيها العميد؟ :البحر أمامك والعدو خلفك" كانت حاسة العميد تنبئه أن كل شيء قد إنهار فى هذا النهار، وعليه الفرار بجلده، هذه (الشخشخه) قد وقفت عن الإذاعة، واستعادت الإذاعة عافيتها، تمت إذاعة بيان بدحر المرتزقة، وتذيع أوصاف العميد الذي انسحب بسيارة (لاندروفر) وتم القبض عليه بالقرب من قرية الشيخ الصديق، غرب مدينة القطينة، على بعد مائة كيلو من أمدرمان.

أيها العميد إلى أين؟ حبل المشنقة، لا آسف الإعدام رمياً بالرصاص، لا يهم فالموت واحد، وجيء به إلى التلفزيون حتى يدلي بإعترافاته، كان الرجل قوياً وثابتاً، وبعد محاكمات صورية تم إعدامه.

٧٧ - حسن الترابي

هنالك أناس حتى حينما يأتى إليهم الموت، تظل الأحداث تتحرك تباعاً، كأن هذا القبر لم يحوي هذا الشخص.

ولد الشيخ حسن عبدالله الترابي عام ١٩٣٢م بكسلا، في الإقليم الشرقي، وهذه من محاسن الصدف له، أن تنسم في أجواء السودان المختلفة.

وينتمي إلى أسرة صوفية شهيرة، ودخل في نسب مع أسرة المهدي، إذ تزوج (وصال) الصديق المهدي شقيقة الصادق المهدي، الزعيم السوداني المعروف.

درس القرآن الكريم والسنة الشريفة على والده، حيث حفظ القرآن الكريم بعدة قراءات.

واصل تعليمه حيث حصل على إجازة الحقوق من جامعة الخرطوم، ثم حصل في عام ١٩٥٧م على الماجستير من جامعة أكسفورد البريطانية، ثم حصل عام ١٩٦٤م على الدكتوراة من السوربون الباريسية، وقد أجاد الإنجليزية والفرنسية والألمانية إجادة تامة. عمل الترابي أستاذاً في جامعة الخرطوم، ثم عُين عميداً لكلية الحقوق بها، ومنذ العام ١٩٦٤م أصبح رقماً مهماً في تاريخ السودان، حيث أصبح أحد أعضاء جبهة الميثاق، ثم تقلد الأمانة العامة لها.

أتى العام ١٩٦٤م يحمل البشرى لذلك الشاب السياسي، كانت الندوة في جامعة الخرطوم هي الشرارة التي أشعلت ثورة إكتوبر، والتي تحدث فيها الشيخ حسن، صفق له الجميع، ومن أمسك يديه عن التصفيق، كان يعلم أن لهذا الرجل شأن.

انطلق قطار الشيخ بعد ذلك لا يلوي على شيء.

هيهات هيهات لا جنٌ ولا سحره

بقادرين على أن يلحقوا أثره قامت إنتخابات في السودان عام ١٩٦٥م لم يكن لجبهة الميثاق كسب يذكر، هنالك الأحزاب تتصارع وتتقاتل والإسلاميون يعملون بصمت، يعرفون موطأ القدم جيداً.

والإسلاميون يكتسحون إنتخابات إتحادات الطلاب خاصة في جامعة الخرطوم (السودان المصغر).

فى ٢٥ مايو ١٩٦٩م الساعة السادسة صباحاً، ماذا هنالك؟ العقيد آنذاك جعفر محمد نميري يستولي على السلطة، أين وضع الشيخ من الإعراب؟ وهل هناك غير السجن؟

وَعلى الجِـــدارِ الـصُّلبِ نافـذةٌ

بها معنـــى الـــحياةِ غـليظةُ القُضْبُـــان

وقضى في السجن سبع سنين.

على أن نميرى منذ إستيلائه على السلطة حتى ١٩٧٧م لم يذق طعم الراحة، كثرت المحاولات الإنقلابية، ماذا عساه أن يفعل؟ نعم المصالحة، ففي ١٩٧٧م تمت المصالحة

الوطنية بين نميري والجبهة الوطنية المعارضة، بقيادة الصادق المهدي، واللقاء في بورتسودان، والمستفيد الأكبر من تلك المصالحة الإسلاميون. على أن نافذة الجدران الصلب لم تكن غليظة على شيخ حسن، فخرج منها، ونزع الشيخ العباءة ولو إلى حين، ولبس الكرفته، ألم يدخل الإتحاد الإشتراكي عضواً في مكتبه السياسي؟

في سبتمبر ١٩٨٣م فاجأ نميري العالم قبل أن يفاجئ نفسه، بإعلان قوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية، عرفت فيما بعد إصطلاحاً بقوانين سبتمبر، وجدت هذه القوانين ردود فعل واسعة في جميع الإتجاهات، وعارضها الزعيم السوداني البارز الصادق المهدي، واصفاً إياها في تصريح شهير أنها لا تساوي الحبر الذي كتبت به. أما الاسلاميون وزعيمهم شيخ حسن فقد أيدوها تاييداً منقطع النظير، حيث قاموا بعمل الندوات والمسيرات المليونية، إلا أن الرياح الخارجية أتت هوجاء، فقد جاء نائب الرئيس الامريكي بوش بزيارة إلى السودان، وقبل أن يختفي العجاج الذي خلفته طائرة نائب الرئيس بوش، كان الشيخ حسن في السجن ومعه بعض القيادات.

تعرض نظام نميري إلى ضربات موجعة، لم ينفعه الكرت الأخير الذي لعب به لإنقاذ النظام، فقد تمرد العقيد جون قرنق هنالك في الحامية توريت، وكون الجبهة الشعبية لتحرير السودان، وأعلنها حرباً على النظام لا تذر شيئاً، كما أن نميري اختلف مع اللاعب الأساسي، وهم الإسلاميون، فماذا بقيّ له؟

لم يكن الفريق أول سوار الذهب يحتاج إلى تفكير كثير، فقد كان يرى بأم عينيه الحرائق والمظاهرات في أمدرمان والخرطوم وباقي مدن السودان المختلفة، ففي ٦ ابريل ١٩٨٥م أعلن الفريق سوار الذهب الإستيلاء على السلطة، وتكوين مجلس إنتقالي لإدارة البلاد لمدة عام واحد.

كون الشيخ حسن الجبهة الاسلامية، وجرت انتخابات، وأحرزت الجبهة واحد وخمسون مقعداً، وعلى الرغم من أن الشيخ حسن لم يفز في دائرته في الصحافة بالخرطوم، إذ تكتلت الإحزاب ضده، وفاز النائب الإتحادي حسن شبو، وتشكلت حكومة إئتلافية بين الأمة والإتحادي، وأصبحت الجبهة في مقاعد المعارضة، وأصبح الصادق المهدي رئيساً للوزراء. ظهرت صراعات حزبية، واشتعل الجنوب، وكون الصادق المهدي خمس وزارات في غضون أربع سنوات، آخرها مع الجبهة، وتولى الشيخ حسن حقبة الخارجية.

كان يوم ٣٠ يونيو ١٩٨٩م يوم من أيام الخريف على كل حال، ولكن في هذا اليوم لم تهطل أمطار، ولكن أليس للسياسة أمطار؟ هطلت أمطار السياسة بغزارة، وأعلن العميد آنذاك عمر حسن أحمد البشير الإستيلاء على السلطة، وتكوين مجلس عسكري، وحل الحكومة والأحزاب وجميع المؤسسات الدستورية. وهذا الإنقلاب كان بواسطة الجبهة الاسلامية، فقد تلاقى (السيدان) البشير والترابي وقال الثاني للاول العبارة الشهيرة: "أذهب إلى القصر رئيساً، وسأذهب إلى السجن حبيساً" ذهب الشيخ إلى السجن، ولكن لم يكن السجن هو

السجن، أما نافذة الجدران فلم تكن غليظة القضبان، بل كان بها هواء جيد، مالنا ولحديث السجن ولسوف نرجع له، فقد انخرط الشيخ حسن في حكومة الإنقاذ الوطني، مستتراً ثم بارزاً.

في عام ١٩٩١م أسس الترابي حزب المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي، الذي يضم ممثلين من دول عربية وإسلامية، وأصبح أميناً عاماً له، على أن دوام الحال من المحال، فقد حدث الخلاف بين الإسلاميين، وأصدرت مذكرة العشرة وحل البرلمان وأدخل (السجن حبيساً) بحق وحقيقة.

وبعد أن خرج من السجن أسس حزب المؤتمر الشعبي وقاد المعارضة بنفسه.له عدد من المؤلفات أبرزها: التفسير التوحيدي، قضايا الوحدة والحرية، تجديد أصول الفقه، تجديد الفكر الإسلامي، الأشكال الناظمة لدولة إسلامية معاصرة، الدين والفن، الصلاة عماد الدين، الإيمان وأثره في الحياة، منهجية التشريع، المصطلحات السياسية في الإسلام، المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع، السياسة والحكم، عبرة المسير لإثنتي عشر من السنين وتجديد الدين.

أما آن لك أن تستريح، نعم في ٥ مارس ٢٠١٦ م "في السادسة والنصف يموت الترابي موتته الاخيرة، يخرج صديق دامع العينين، يعلن خير الوفاة، يضج مستشفى رويال كير، وتسمع الدعوات تتعالى ممزوجة بتكبير ولوعة."

٧٨ - يس عمر الامام

ضيفنا كان يحفظ جداول الضرب جيداً، يعلم علم اليقين أن إثنين × إثنين = اربعة. ليس لها أي مجال أن تصبح خمسة، أو ثلاثة، لا يهادن، ولا تأخذه في الحق لومة لائم.

ميلاد الشيخ يس عمر الامام "أنا أم درمان تأمل في ربوعي ...أنا السودان تمثل في نجوعي ..." لك الله أيها المبدع عبدالمنعم عبدالحي.

تاريخ الميلاد ١٩٣١م والتدين يجري في عروق الأسرة الكريمة، حيث كان والده إمام مسجد أمدرمان، و له خلوة يدرس فيها القرآن الكريم، وعلوم الدين المختلفة، تنقل يس في الخلاوي المختلفة، ثم بعد ذلك ذهب مع أخيه إلى مدينة النهود بغرب السودان، حيث درس فيها المرحلة الأولية، وذلك عام ١٩٤٠م ثم بعد ذلك إلى أين؟ أنتِ يا مدينة أمدرمان، أتي إلى ذلك الفضاء الواسع، حيث درس بمدرسة أمدرمان الأهلية، وذلك عام ١٩٤٤م ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الثانوية، حيث درسها بمدرسة فاروق الثانوية، وذلك عام ١٩٥١م.

حينما كان بالمدرسة الأهلية، كانت الأفكار تموج بها الساحة السياسية، والفكر اليساري له (شنة ورنة) وهنالك عبارات رنانة ومرحلية، ظهرت الجبهة المعادية للإستعمار، منتصبة القوام، وهي ذراع من أذرع الحزب الشيوعي، كانت دماء الشباب تجرى فى عروق يس، دخل على هذا التنظيم بإستحياء، ثم بعد ذلك كان لسان الحال يقول لهم (باي باي).

في نهاية الأربعينات من القرن المنصرم، بدأت الحركة الإسلامية تتحسس طريقها وسط متاهات الصخو، هنالك الشيخ الوقور علي طالب الله ينقش بهدوء على هذه الصخور، والصخور نفسها تتهيب هذا الشيخ الذي عين مراقباً للأخوان من قبل الشيخ حسن البنا، ثم هنالك الشيخ بابكر كرار، الذى أسس حركة التحرير الإسلامي، لم تكن الحركة والأخوان مثل النيلين الأبيض والأزرق يلتقيان في اتجاه وأحد، ويكونان نهر النيل ،ولكن هنالك صراعاً بينهما، وكثرت المؤتمرات واللقاءات حتى العام ١٩٥٤م حيث قرروا توحيدها في مسمى الإخوان المسلمين، إلا أن الشيخ بابكر كرار قد انزوى بعيداً منهم، كان يس ضمن أفراد الحركة ثم بعد ذلك التنظيم الموحد.

ثم بعد ذلك انتقل يس إلى أجواء أخرى، هذا اللوح الرخامي الناصع البياض، إنه مثل جواز السفر العالمي، يحملك أينما تريد، فقد عمل معلماً، وتنقل بين عدد من المدن، منها مدني والمدينة عرب.

الآن ندع الطباشيرة والجواز، ونتجه نحو المسرح، دققنا النظر جيداً، من هذا الشاب الملتحي؟ وعليه الكرفتة، وعلى جانبيها شيء من الوقار والإعتداد بالنفس، قدم الشيخ حسن الترابي من بلاد السوربون، متأبطاً درجة علمية رفيعة، وفرنسا قد خرجت منذ فترة من ثورة كبرى، أما كاتبها جان جاك روسو يصيح بملء فيه "ولد الانسان حراً ... وهو الآن مكبل بالأغلال" وهنا في السودان، المبدع محي الدين فارس يقاوم بصمت

أنا لست رعديداً يُكبل خطوه ثِقل الحديد
وهناك أسراب الضحايا الكادحون

والندوة التي أقامها الترابي بجامعة الخرطوم، هي من ضمن الأسباب التي أدت إلى أشعال ثورة اكتوبر ١٩٦٤م لم يتشبث الفريق عبود بالسلطة كثيراً، فقد قدم إستقالته واستراح.

كانت الأحزاب السياسية تجتهد لكي تزيل الأتربه التي علقت بها، ولكن لم تكن هنالك أتربة على حزب الترابي، إذ دعا إلى تكوين جبهة عريضة عرفت ب (جبهة الميثاق الإسلامي) حيث ضمت عدداً من الصوفية وأنصار السنة، والقيادة بيد الأخوان، وكان ل يس دور فعال في هذه الجبهة، حيث طاف أقاليم السودان المختلفة يقيم الندوات والمحاضرات المختلفة. وهو ضمن المكتب القيادي للجبهة، ثم دخلت الجبهة إنتخابات ١٩٦٥م حيث إكتفت الجبهة بثلاثة مقاعد في البرلمان.

تحرك الزمن و نجح نميري في الإستيلاء على السلطة بتاريخ ١٩٦٩م ودخل فى عداء مع الحركة الإسلامية، وأدخل قيادتهم السجن، وحينما توالت عليه المصائب دخل في مصالحة مع المعارضة عام ١٩٧٧م ودخل يس البرلمان، وأصبح رئيس الهئية البرلمانية بالمجلس، وأصبح رئيس تحرير صحيفة الأيام الحكومية.

تمكنت الإنتفاضة الشهيرة ١٩٨٥م من إسقاط نميري، وتكونت الجبهة الإسلامية، ودخلت إنتخابات عام ١٩٨٦م وكان الكسب بدرجة عالية، وقامت حكومة إئتلافية برئاسة الصادق المهدي، ودخلت الجبهة المعارضة ثم الحكومة. وله عدد من الأعمال ومن ضمنها رئاسة صحيفة الراية الناطقة بإسم الجبهة الاسلامية، وفي أغلب الأحيان النائب الدائم للترابي.

في ٣٠ يونيو ١٩٨٩م إستولت الحركة الإسلامية على السلطة، برئاسة العميد البشير آنذاك، تولى يس عدداً من الأعمال، ولكن محطة الصحف هي أهم محطاته، حيث أدار صحف السودان الحديث والإنقاذ الوطني وصحيفة الأنباء.

في نهايات القرن المنصرم قامت المفاصلة الشهيرة بين الإسلاميين، حيث انحاز إلى صف الترابي، وتكون المؤتمر الشعبي فيما بعد، وأصبح كما كان دائماً الذراع الأيمن للترابي، وحينما دخل الترابي السجن حبيساً، لم يكن يس فى قوائم المطلوبين، كان خارج السجن يتنفس هواء نقياً، ثم يخرج شحنة من هذا الهواء لنقد أصحاب الأمس، ورغم ذلك فقد تمتع بعلاقات جيده معهم، إذ لديه علاقات مميزه مع المشير البشير، ثم عمل رئيساً لمجلس إدارة صحيفة رأي الشعب الناطقة بإسم المؤتمر الشعبي.

نمشي على أطراف الأصابع، هنالك إبنه عمار يتحدث لجريدة الصحافة، والدموع تجري على خديه، أن والده خدم رسالة الإسلام في جميع بقاع العالم، ولم يقعده عن العمل العام إلا المرض.

أيها المرض اللعين، دع هذا الجسد المكدود. أجريت له ثلاث عمليات جراحية إلا إنه أسلم الروح إلى بارئ السماوات والأرض فى ٢٢ يوليو ٢٠١٣ م.

٧٩ - الرشيد الطاهر بكر

ولد ضيفنا بمدينة "السمسم القضارف ...الزول صغير ما عارف" عام ١٩٣٢م لم يكن صغيراً، ولكنه كان أكبر من عمره، وكذلك كان يعرف أشياء كثيرة، أليس الذي يتنقل بين أحزاب الإخوان المسلمين، الوطني الإتحادي والإتحاد الإشتراكي يعرف أشياء كثيرة.

هو الرشيد الطاهر بكر، ينتمي إلى آل بكر، ولهم نظارة في ولاية القضارف، وهم ينتمون إلى سلالة سلاطين الفور المشهورين.

درس المرحلة الأولية بالقضارف، ثم ذهب إلى أمدرمان، ودرس بها المرحلة المتوسطة، بمدارس الأحفاد بأمدرمان، أما الثانوي فقد درسه بمدرسة حنتوب الثانوية ثم كلية الخرطوم الجامعية، والتي صارت فيما بعد جامعة الخرطوم، وقد تخرج من مدرسة القانون، وهو رئيس اتحاد طلاب الجامعة، ذلك عام ١٩٥٤م. لا نخرج من العام ١٩٥٤م فقد لبس العباءه المزركشة، وأصبح مراقباً عاماً للإخوان المسلمين.

هل هنالك سياسي لا يعرف طريق السجن وجدرانه؟ إستولى الفريق إبراهيم عبود على السلطة، لا يهم هذا التوصيف كثيراً إستيلاء أو تسلم، ولكن المقدم علي حامد، ينظر شذراً إلى هذا النظام، حيث دبر محاولة إنقلابية ضده، وذلك في ٩ نوفمبر ١٩٥٩م لماذا هذا الشهر؟ والمقدم علي حامد قد وضع خطة للإطاحة بالفريق عبود، ولكن يبدو أن الخطة كانت كمن يضع الماء في غربال، فقد تسربت هذه الخطة وفشلت، وصدرت أحكام قاسية على أربعة ضباط، حتى شرف الإعدام رمياً بالرصاص لم يعطى لهم، فقد تم شنقهم، وتم إتهام الرشيد في المشاركة فيها، وحوكم بالسجن خمس سنوات، وتم إطلاق سراحه عام ١٩٦٣م خرج من السجن، وذهب إلى القضارف وهي إستراحة محارب، حيث فتح مكتباً للمحاماة، ولكن لم يدم الحال كثيراً، فقد جاء شهر أكتوبر ١٩٦٤م ورياح الربيع العربي تهب هنا في السودان أولاً، أليس السودان معلم الشعوب في الثورات؟ وهو من قادة ثورة إكتوبر بالقضارف.

وعين وزيراً للثروة الحيوانية في حكومة إكتوبر الثانية، بديلاً عن محمد صالح عمر، قامت بعد الفترة الانتقالية إنتخابات، وفاز في تلك الإنتخابات ممثلاً لجبهة الميثاق الإسلامي، لكنه لم يستمر فيها كثيراً، فقد بدأت رحلة الطواف على الأحزاب، حيث قدم إستقالته من جبهة الميثاق، وذلك عام ١٩٦٦م، أتى العام ١٩٦٧م كان فك اللاعبين، وموسم التسجيلات قد بدأ، والأزهري له خبرة كبيرة في هذا المجال، كانت عينه تتفحص الرشيد، وتمكن في النهاية من إستمالته لحزبه.

وإنضم للحزب الوطني الإتحادي حيث عين وزيراً للعدل، ثم وزيراً لوزارة الأشغال في حكومة المحجوب الثالثة في ١٩٦٨م، ثم في أعوام ١٩٦٩ - ١٩٦٨ وزيراً للعدل.

تاريخ ٢٥ مايو ١٩٦٩ هو إستيلاء جعفر محمد نميري على السلطة، شارك فى مايو، حيث شارك سفيراً للسودان بليبيا عام ١٩٧٢م، ثم عضواً بالمكتب السياسي، وأمين للجنة

المزارعين بالإتحاد الإشتراكي السوداني، وذلك بين أعوام ١٩٧٣ - ١٩٧٥م. ثم رئيس مجلس الشعب القومي الثاني ١٩٧٤ - ١٩٧٦م.

في عام ١٩٧٦م تعرض نميري إلى ضربة موجعة من المعارضة، تمثلت في المحاولة الإنقلابية التي قام بها محمد نور سعد، جعلت نميري يعمل تعديلاً واسعاً في جهاز الدولة، حيث تخلى عن رئاسة مجلس الوزراء لصالح الرشيد، ولعل نميري قد أراد أن يتقرب أكثر من شيخ (كركوج) الشيخ الشريف محمد الأمين، والذي تربطه علاقة قوية مع نميري وكذلك مع الرشيد، أو لعله آمن بقدرات الرشيد السياسية، ثم عُين وزيراً للخارجية، ثم رئيس مجلس الشعب الرابع، ثم نائباً عاماً، ثم مساعد رئيس الجمهورية للشئون القانونية والسياسية.

كان جنين الثورة الأرترية يكبر بسرعة، وهنالك عدد من الحركات السودانية تساند القضية الأرترية، والرشيد من أوائل الراعين للثورة الأريترية.

تُوفيَ بالقاهرة في ٢١ يوليو ١٩٨٨م.

٨٠ - الطيب صالح

" فها هي ذي بيوت القرية المتلاصقة من الطين والطوب الأخضر تشرئب بأعناقها أمامنا، وحميرنا تحث السير لأنها شمت بخياشيمها رائحة البرسيم والعلف والماء، هذه البيوت على حافة الصحراء، كأن قوماً في عهد قديم أرادوا أن يستقروا ثم نفضوا أيديهم ورحلوا على عجل، هنا تبدو أشياء، وتنتهي أشياء، ومنطقة صغيرة من هواء بارد رطب يأتي من ناحية النهر، وسط هجير الصحراء، كأنه نصف حقيقة وسط عالم ملئ بالأكاذيب...والنهر، النهر الذي لولاه لم تكن بداية ولا نهاية، يجري نحو الشمال، لا يلوي على شيء، قد يعترضه جبل فيتجه شرقاً، وقد تصادفه وهدة من الأرض فيتجه غرباً، ولكنه آن عاجلاً أو أجلا يستقر في مسيره الحتمي ناحية البحر في الشمال"

هل هذا شعر؟ لا أنه يفوق الشعر، قطع أدبيه كأنها بلور، أو تبر صافي، ورغم ذلك الجمال الآخاذ فإنها مقتطفات قليلة من الرواية العالمية موسم الهجرة إلى الشمال، كل كلمة فيها أو سطر هي قصة قائمة بذاتها كل حرف زل عن مرشفها

نشر الطيب يميناً وشمالا ندخل عليه وريحة الصندل المحروق والند تملأ أجواء المكان.
إسمه الطيب محمد صالح أحمد ولد في ١٩٢٩م في قرية كرمكول، في محلية مروي شمال السودان بالقرب من قرية دبة الفقراء، وهو ينتسب إلى قبيلة الركابية، عاش مطلع حياته وطفولته في ذلك الإقليم .

درس المرحلة الأولية في مدينة بورتسودان في مدارسها الأولية "بناء جميل من الحجر، وسط حديقة كبيرة على شاطئ النيل، يدق الجرس، وتدخل الفصل مع التلاميذ، تتعلم القراءة والكتابة والحساب" حيث الطبيعة والجمال والمرجان، واقتبس من الشمال والوسط والشرق تلك التشبيهات الرائعة التي حشد بها رواياته.

ثم تلقى تعليمه الثانوي بمدرسة وادي سيدنا بأم درمان، ثم إلتحق بكلية غردون الجامعية، وحصل على بكلاريوس العلوم منها، ثم بعد ذلك بدأ حياته الوظيفية في السودان، معلماً بالمدرسة الأهلية بمدينة رفاعة، ولم يدم فيها طويلاً، حيث هاجر إلى بريطانيا عام ١٩٥٢م التحق بهيئة الإذاعة البريطانية القسم العربي، حتى وصل إلى رئيس قسم الدراما.
ثم عاد إلى السودان عام ١٩٦٧م وعمل في الهيئة القومية للإذاعة السودانية كخبير إعلامي. ثم بعد ذلك هاجر إلى دولة قطر، وأصبح وكيلاً لوزارة الإعلام القطرية، ومشرفاً على أجهزتها، ثم عمل مستشاراً لهيئة اليونسكو بالعاصمة الفرنسية باريس، ثم ممثل لليونسكو بالخليج العربي. من خلال حياته بلندن تزوج من إنجليزية ذات ثقافة عالية، وأنجب منها ثلاث بنات.

و نجد أن حالة التنقل والترحال عند الطيب صالح لم تكن لها خمس فوائد فحسب، ولكن كم هائل من المعرفة، والخبرة بأحوال الحياة والعالم المختلفة، وهذا ما جعل رواياته تأخذ بعداً عالمياً.

من أهم رواياته موسم الهجرة إلى الشمال، عرس الزين، دومة ود حامد، ضو البيت، مريود ومنسى.

وبعد هذه الفذلكة البسيطة عن سيرة حياته، ندخل مباشرة في تعريف بسيط لبعض رواياته المشهورة.

وهنالك رواية له وهي (دومة ود حامد) وهي مجموعة قصصية تتكون من سبع قصص (نخلة على الجدول، حفنة تمر، رسالة إلى إيلين، دومة ود حامد، إذا جاءت، هكذا يا سادتي، مقدمات)، هي من أهم أعمال الطيب صالح، تتحدث عن قرية صغيرة، يؤمن أهل تلك القرية بالرجل الصالح المدفون فيها، وأسموه (دومة ود حامد) وعندما حاولت الحكومة قطع تلك الدومة، وقف أهل القرية في وجه الحكومة، ومنعوا إنشاء أي مشروع زراعي يضر بتلك الدومة.

أما موسم الهجرة إلي الشمال فهي أيضاً من أهم رواياته، وهي التي نال بسببها شهرته العالمية، وقد أختيرت لاحقاً ضمن أفضل مائة رواية عالمية، وهي تحدثت عن الصدام بين الحضارات، وموقف إنسان العالم الثالث المتخلف؟ ورؤيته للعالم الأول المتطور "أنت يا مستر سعيد خير مثال على أن مهمتنا الحضارية في إفريقيا عديمة الجدوى، فأنت بعد كل المجهودات التى بذلناها في تثقيفك، كأنك تخرج من الغابة لأول مرة"

أما رواية عرس الزين فقد حولت إلى فيلم أخرجه الكويتي خالد الصديق، والرواية تصور حال القرية في شمال السودان، حيث الزين الرجل غريب الأطوار يقع في حب نعمة وحب الشيخ الصوفي الحنين وتدور الرواية حول هذه المتاهات.

"لا أدري متى أذهب يا صديقي، ولكنني أحس أن ساعة الرحيل قد أزفت فوداعاً"نعم وداعاً أيها الأديب، وذلك في ١٨ فبراير عام ٢٠٠٩م في لندن، شيع جثمانه يوم٢٠ فبراير في السودان، حيث حضر مراسم العزاء عدد كبير من الشخصيات البارزة والكتاب العرب والرئيس البشير والسيد الصادق المهدي، رئيس الوزراء السابق، والسيد محمد عثمان الميرغني.

٨١ - عثمان حسين

صوت حنون ينسل بهدوء وعاطفة، يعطي في النفس أملاً ورجاء، إنه إمتلك سر الغناء، ولكن لماذا يتسائل الشاعر المبدع عثمان خالد.الله يا احلى البنـــــــات

لو كان لقيت سر الغنا
كان طرت عانقت الخيال
حلقت عبر الازمنة
وقلت الخيال يصبح حقيقة
ونهدي ليك خاتم المنى

هو عثمان حسين محمد التوم، ولد بمقاشي بالولاية الشمالية عام ١٩٢٧م تعلم القرآن الكريم، والعلوم الدينية بخلوة محمد أحمد ود الفقير في مقاشي، واقتضت أعمال الوالد منه التنقل، ومن حسن الحظ أن النقل إلى الخرطوم، حيث الوالد يعمل في مصلحة الزراعة، والنقل بتاريخ ١٩٣٢م ثم واصل تعليمه الديني، حيث التحق بخلوة في ديم التعائشه، وهو محل استقرار الأسرة، ثم درس بمدرسة الديم شرق الأولية.

ثم بعد ذلك اتَّجه إلى الحياة العملية، عمل في محل لحياكة الملابس عند محمد صالح زهري باشا، بالقرب من نادي العمال في وسط الخرطوم، كانت الأيدي والأرجل تعمل لوحدها في هذه المكنة، أما الفواد فقد كان في وادٍ آخر، يحلق في أجواء أرجوانية.

قد بدأت الإذاعة السودانية أعمالها، ومن يمتلك مذياع في ذلك الزمن فقد امتلك خاتم سليمان، كأنه يقول له: (شبيك لبيك، الكاشف قريب من أذنيك) وبالقرب منه مقهى العليفون، يوجد في هذا المقهى هذا (الخاتم) فيخرج عثمان خلسة، ولو لبضع دقائق، إلى عالم آخر غير هذا العالم الذي نعيش فيه، فيستمع إلى مطربي الأذاعة، الحاج محمد أحمد سرور، عبدالكريم كرومة، إبراهيم الكاشف، خليل فرح، أحمد المصطفى وعائشة الفلاتية. اسماء لو استمعت إليها فإنها تنسيك كل هموم الدنيا وشواغلها، وحينما يأتي يجد نفسه في عالمه الطبيعي، فتعمل اليدان والرجلان، ولكنه يهمهم بهذه الأغنيات لهؤلاء الفنانين، فقد كان هو في وادٍ، وكان زهري في وادٍ آخر، على أنه بعد ذلك فتح له اباه محلاً صغيراً يمارس فيه مهنة الخياطة، دون أن يكون هنالك رقيب عليه.

اتجه بعد ذلك إلى العمل الفني من أوسع أبوابه، حيث انضم إلى فرقة عبدالحميد يوسف في حي السجانة، يعزف على العود، ويعتبر عبدالحميد أستاذه الأول. لا تأتي الفرصة مرتين، فأتته فرصة، وذلك عام ١٩٤٧م كان الإنجليز يحكمون السودان، أما هو فقد بدأ فى حكم القلوب التي تهفو إلى سماع ذلك الصوت الرخيم، حيث انضم في هذا العام إلى مطربي الإذاعة، ويرجع الفضل في ذلك إلى أخيه طه حسين، ويعمل في مطبعة (ماركوديل) في وسط الخرطوم، والمطبعة تقوم بطباعة مجلة (هنا أمدرمان) وهي مجلة تتبع للإذاعة، فقد طلب

مدير الإذاعة متولي عيد من أخ عثمان، وهو طه حسين أن يرشح له بعض الأصوات الشابة لكي يتم تسجيلها في الإذاعة، بعد أن يتم إجازة اصواتها. دخل الشاب الأنيق مبنى الإذاعة، اختار زيه بعناية فائقة، ألم يقل الشاعر المبدع سيف الدين الدسوقي "...فقد كان أنيقاً في اختيار كلمات أغانيه، كما هو أنيق في اختيار ملابسه" حيث سجل أغنية (أذكرينى يا حمامة) ثم (حارم وصلي مالك) للشاعر محمد بشير عتيق ثم (اللقاء الأول) للشاعر قرشي محمد حسن، ثم تتابعت أغانيه مثل مطر الرمشة، يصب في القرى والبوادي والمدن، قبل أن يرتد إليك طرف عينك.

هو فنان كل الشعب، وبالأخص قطاعات الطبقة الوسطى، أو من يطلق عليهم في ذلك الزمن (الأفندية) وأدخل أساليب فنية جديدة، وأدخل المقدمة الموسيقية الطويلة، وتنويع اللحن والأداء في الأغنية الواحدة. وهو يعتد بنفسه كثيراً في الناحية الموسيقية، مثل زرياب حينما دخل على الرشيد، حيث رفض الغناء له إلا ومعه عوده الخاص "... ولكن عودي أوتاره من حرير ولم يغسل بماء ساخن يكسبها أنوثة ..."

غنى لعدد من الشعراء: لعل أبرزهم حسين بازرعة، فقد نشأت ثنائية بين الطرفين، فقد كانا يركبان على سرج وأحد موشح بالدر والياقوت والحجارة الكريمة، فقد غنى له أهم أغانيه منها (قصتنا) (الوكر المهجور) (عشقك حرام) وغنى لعوض أحمد خليفة (ربيع الدنيا) والسر دوليب (قلبي فاكرك) وكذلك غنى لمصطفي سند وصلاح أحمد إبراهيم.

الله، الله، محراب النيل، النيل يتبختر في مشيته، ولا يدري أن الشعراء هنالك، يقفون بالقرب من القيف، يسجلون ما بدا لهم، معلقة التجاني يوسف بشير، من المفترض أن تكتب بماء الذهب على القلوب، أما مقدمتها الموسيقية فلوحة خالدة، فسبحان من أبدع.

أَنْتَ يَا نِيلُ يا سَلِيلَ الـقَرَادِيسِ
نَيِيلٌ مُوَقَّقٌ فِي مَسَايِـــــكْ
بَيْنَ أَوْقَـاضِكَ الْجَلالُ فَمَرْحَـى
بالْجَلالِ المُفِيضِ مِن أَنْسَايِكْ
حَضَنَتْكَ الأَمْلاكُ في جَنَّةِ الخُلْدِ
ورَقَّتْ على وَضِيءِ عُـبَابِكْ
وأَمَدَّتْ عَلَيْكَ أَجْنِحَةً خُـــضْرُ
وأَضْفَتْ ثِيَابَهَا فِي رحـــابِك
فَتَحَدَّرْتَ فِي الزَّمَانِ وأَقْرَعْتَ
عَلَى الشَّرْقِ جَنَّةً مِنْ رُضَابِكْ

بتاريخ ٧يونيو ٢٠٠٨ م انتقل إلى رحمة مولاه، بعد هبوط حاد في القلب، وصلى عليه جمع من الناس، يتقدمهم المشير عمر البشير، ودفن في مقابر فاروق.

٨٢ - محمد وردي

أيها البلد الجميل، لقد أنجبت هؤلاء المبدعين "يا بلدي يا حبوب"ولكن قبل الولوج في سيرة ضيفنا نتامل هذه اللوحة.

كل كلمة من شفايفك أحلى غنوة
كل نظرة من عيونك فيها سلوى
كل نسمة من ديارك فيها نجـوى
وكل همسة يا حبيبي عندي حلوة

بالتأكيد حينما صاغ الشاعر المبدع إسماعيل حسن هذه اللوحة، لم يكن يقصد ضيفنا من بعيد أو قريب، ولكن الشعب السوادني ينتظر من ضيفنا أحلى الأغاني التي تخرج من شفتيه.

هو محمد عثمان حسن صالح وردي، الشهير بمحمد وردي، من أبرز فناني الغناء والموسيقى في السودان، ويلقب بفنان إفريقيا الأول لشهرته الإفريقية. ولد عام ١٩٣٢م بقرية صواردة تلك القرية الوديعة الجميلة، حيث تقع نحو مائة وثمانون كيلو متراً جنوب وادي حلفا، وثلاثون كيلومتراً جنوب مدينة عبري. ونشأ يتيماً شأنه شأن العظماء، واليتم دافع له لتحقيق طموحاته، وعمه هنالك يلبي له طلباته المختلفة، وهو صغير يحب الأدب والشعر والموسيقى. تلقى تعليمه في مدارس صواردة، ومنها شد الرحال إلى شندي لإكمال تعليمه، ثم التحق بمعهد التربية لتأهيل المعلمين بشندي، حيث تخرج معلماً، أليس التدريس فناً من الفنون؟ أليس حجرة الفصل مسرحاً مصغراً يبرز فيه المعلم إمكانياته المختلفة؟ عمل بمدارس وادي حلفا وشندي وعطبرة والخرطوم. وهو مثل الطير المهاجر عند المبدع الشاعر صلاح أحمد إبراهيم.

بالله يالطير المهاجر للوطن
زمن الخريف
تطير باسراع...ما تضيع زمن
أوعك تقيف
وتواصل الليلة للصباح
تحت المطر...وسط الرياح
وكان تعب منك جناح في السرعة زيد
في بلادنا بترتاح
ضل الدليب أريح سكن

ولكن وردي لم يريح في ظل الدليب، ولكنه إرتاح في مدرسة الديوم الشرقية بالخرطوم، ولعلها آخر مدرسة عمل فيها، حيث قدم استقالته من التدريس.

في عام ١٩٥٩م كانت الطباشيرة تنتحب لأن هذه الأنامل الرقيقة قد فارقتها، ولكن يبدو أن هذه الأنامل صنعت لمداعبة الأوتار. في عام ١٩٥٣م زار وردي العاصمة الخرطوم لأول مرة، ممثلاً لمعلمي شمال السودان في مؤتمر تعليمي.

عام ١٩٥٧م محطة مهمة في تاريخ حياته، أما البلاد فقد تنسمت أجواء الحرية، أما وردي فقد تنسم أجواء أمدرمان، أليس دار الإذاعة تقع بالقرب من النيل؟ فقد تمت إجازة صوته، حيث حقق حلم حياته بالغناء مع فنانين كبار أمثال: عثمان حسين، إبراهيم عوض، عبد العزيز محمد داؤود وأحمد المصطفى وغيرهم. حيث سجل في عامه الأول سبعة عشر أغنية، مما جعل مدير الإذاعة يضرب الميمنة على الميسرة، ويشكّل لجنة خاصة من كبار الفنانين، لتصدر اللجنة قراراً بضم محمد وردي إلى مجموعة مطربي الدرجة الأولى كمغن محترف. تنوع وردي في موضوعات أغانيه مثل الرومانسية والعاطفية إلى التراث السوداني خاصة النوبي والأناشيد الوطنية والثورية والحماسية.

أتى العام ١٩٨٩م وفيه استولى المشير البشير على السلطة، حيث غادر وردي السودان ولسان حاله يردد أغنية الشاعر الكبير التجاني سعيد.

قلت أرحل أسوق خطواتي
من زولاً نسى الإلـــفة
أهون ليل أسافر ليـــــل
أتوه من مرفأ لي مرفى
أبدل ريد بعد ريـــــدك
عشان يمكن يكون أوفي رحلت وجيت في بعـدك

لقيت كل الأرض مـنفى ليعود بعد ثلاثة عشر عاماً قضاها في المنفى الإختياري. يعتبره الكثيرون مطرب إفريقيا الأول لشعبيته الكبيرة، خاصة في منطقة القرن الإفريقي. في عام ٢٠٠٥م نال الدكتوراة الفخرية من جامعة الخرطوم، تقديراً لمسيرته الفنية التي امتدت لأكثر من ستون عاماً، وله أكثر من ٣٠٠ أغنية، حيث يعتبر أسطورة فنية وموسوعة موسيقية.

تغنى لعدد من شعراء غنائيين منهم عمر الطيب الدوش، محمد مفتاح الفيتوري، إسحاق الحلنقي، عبد الرحمن الريح، محمد علي أبو قطاطي، السر دوليب، صلاح أحمد إبراهيم، محمد المكي إبراهيم والتيجاني سعيد. أما الشاعر المبدع إسماعيل حسن فقد كان بينهما (ون تو) وقدما أجمل الأعمال.

وبعد، كنت تتغنى للشاعر المبدع كمال محيسي أغنية جمال الدنيا

ياحبيبي الدنيا ما أحلاها
بديعة وحلوة بين أيـديك
فهل أيامي تنساهـــــا
إذا ما غبت عن عينيـــك

هويتك صرت ولهانـــك

عشقت الدنيا دي علشانك

كتير جددت ذكراهـــــا

كتير غنيت من شوقي إليك

نعم أيها المبدع عشقنا الدنيا كثيراً، ولكن أنت غبت عن أعيننا الغيبة الأبدية، والراحل قد تعرض لفشل كلوي قبل سنوات من وفاته، ثم أصيب بالتهاب حاد، ونقل إلى المستشفى وتُوفيَ بها بتاريخ ١٨ فبراير ٢٠١٢. وشيعه الآلاف من محبيه إلى مقابر فاروق بالخرطوم.

٨٣ - الفاضل سعيد

" أعطني مسرحاً أعطك شعبا "عبارة شهيرة ما في ذلك شك، ومسارح السودان هي لك، وكل الشعب من جنوبه إلى شماله محب لك، أمدرمان عبق التاريخ والحضارة، وحيها بيت المال يرقد هادئاً على النيل، يستنشق روائح الدعاش، هنالك ولد، عام ١٩٣٥م، أشهر كوميدي في التاريخ السوداني، الفاضل سعيد ضرار سالنتود، أبويه جذورهما من منطقة الغدار بالولاية الشمالية، هنالك معادلة داخل الأسرة، حيث والده لا يعرف العربية ويتحدث النوبية، أما والدته لا تعرف النوبية ولكنها تتحدث العربية، وهو المترجم لأسرته الكريمة. في هذا الجو العبق عاشت شخصيتنا. وهنالك جدته مريم بت حاج علي، شاعرة الأنصار، وإحدى نساء أم درمان، وهي معروفة بطرفها وبأجتماعياتها وقوة شخصيتها، تربى على يد هذه الجدة وأثرت شخصيتها فيه، وأقتبس منها شخصيته النمطية المحبوبة عند الشعب (بت قضيم) .

لا لم تكن أوقاته كلها (هزار)، فقد كان للجد فيها أوقات، حيث بدأ دراسته بخلوة الفكي الحوري، ثم مدرسة الهدايا الأولية، هنالك في هذه المدرسة المبدع خالد أبوالروس يدرس فيها، تأثر الفاضل به كثيراً، وطلاب هذه المدرسة يتمنون أن تزيد سنين الدراسة أكثر من أربع سنين حتى يستمتعون بقفشات هذا المبدع، ثم درس المرحلة المتوسطة بمدرسة الأقباط المتوسطة، أما المرحلة الثانوية بمدرسة فاروق، والتي عرفت فيما بعد بمدرسة جمال عبد الناصر، وهي من مدارس البعثة التعليمية المصرية.

بدأت أذنه تتسمع أبداعات الفنانين المصريين، أيتها الجامعه الخرطوم، افتحي أبوابك مشرعة لإستقبال هذا الرمز، نعم الأبواب مفتحة أمامه ليس هنالك رتاج عليها، ولكن الفاضل له رأي آخر، شغفه بالمسرح جعله يحاول الإنضمام بمعهد الموسيقى العالي بالقاهرة، ولكنه وجد نصيحة من المقربين له، بأن الحقل الذي يمكن أن يعمل به غير موجود في السودان.

نحن الآن في عام ١٩٥٥م المانشيت العريض فيه استقلال السودان من داخل البرلمان، ولكن ندع النواب وأعمالهم المختلفة، ونخرج في هذا الهواء الطلق لنرى تكوين فرقة الشباب للتمثيل الكوميدي، ضمت هذه الفرقة محمود سراج (أبو قبورة)، وعثمان أحمد حمد (أبودليبة) وعثمان اسكندراني، تم تسجيلها في مجلس بلدي أم درمان. ومقرها بنادي العمال، ونادى أبو روف.

أما الإذاعة تقبع هنالك في أمدرمان، المرور بالقرب من مبانيها ليس فيه إشكالية، ولكن كيف الولوج داخل هذه العوالم السحرية؟ بدأ في التحضير إلى تلك العوالم بالإطلاع المكثف، والإقتباس من العوالم الخارجية، ولكنه وجد فرصة صغيرة فأنتهزها، ودخل تلك العوالم الوردية عن طريق تقديم التمثيليات الصغيرة، عبر برامج ركن المرأة، وركن الأطفال، وركن المزارع، ثم بعد ذلك انتشر هذا الصوت عبر ذلك الأثير.

في عام ١٩٦٧ قدم مسرحية (أكل عيش) ثم ذهب إلى القاهرة لتقديمها، كأول مسرحية عربية غير مصرية تصور وتبث من التلفزيون المصري، ثم بعد ذلك سجلها التلفزيون السوداني. ثم تتابعت مسرحياته مثل مطر الرشاش الرشه، (كالكسكتة) (مسرحية الفي راسو ريشه) و(مسرحية الناس في شنو) وهنالك أعمال تلفزيونية مثل مسلسل (موت الضان) وسلسلة رمضانيات، ولا ننسى الشخصيات النمطية التي اشتهر بها، وتفاعل معها الجمهور مثل (بت قضيم)، (العجب أمو) و(كرتوب).

منح الدكتوراة الفخرية من قبل كلية الدراما بجامعة النيلين، ونال وسام النيلين من الدرجة الأولى من رئاسة الجمهورية، وعدد من الأوسمة من الداخل والخارج.

الفكاهه تملأ كل جوانب الفاضل، وهو يعيش حياته بمرح، وله مشكلة في المناسبات الإجتماعية، خاصة بيوت العزاء، حيث لا يستطيع الذهاب نهاراً، حتى لا يتحول العزاء إلى مناسبة للضحك، كما قال ابنه ناصر.

نقل فنه الراقي إلى ربوع السودان، لم تكن هنالك مدينة عصية عليه، حتى النهاية على خشبة مسرح في مدينة بورتسودان حيث يقدم مسرحية (الحسكنيت) كان يردد خلالها عبارة لم تكن موجودة في النص، وهي "أعفو مني لله والرسول" وكان يردد الجمهور خلفه "لله والرسول" ثم كانت النهاية، بمستشفى بورتسودان، وكان ذلك بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠٠٥م.

٨٤ - الطيب عبدالله محمد علي

إذا ذكرت شخصيتنا هذه فلا عجب أن يذكر معه نادي الهلال، ذلك البدر الذى يعطينا الضياء والصفاء والألق والبهاء، ومن عجائب الإمور أن ميلاد الأثنين في تاريخ واحد، كانهما جسدين في روح وأحدة.

هو الطيب عبد الله محمد علي رئيس نادى الهلال أو (زعيم أمة الهلال) تاريخ الميلاد يحكي عن نفسه، وعن النادى، وذلك عام ١٩٢٩م. والميلاد هنالك مدينة الدويم جوهرة بحر أبيض، بدأ بتعلم القرآن الكريم بالدويم. أما مراحل الدراسة فشطرها الأول هنالك في تلك الجوهرة، حيث الأولية في بخت الرضا بين أعوام ١٩٣٨ - ١٩٤٢ م أما المرحلة المتوسطة فهي في الريفية الوسطى، وبين أعوام ١٩٤٢ - ١٩٤٦م أما الثانوي في "حنتوب الجميلة ... للنيل باقية شامة ... والهدهد علامة ... ومنسق نظاما" لك الله المبدع محمد عوض الكريم القرشي، وحنتوب بين أعوام ١٩٤٦ - ١٩٥٠م

ثم بعد ذلك دخل حصن آخر من حصون الوطن، جامعة الخرطوم. كان الإنجليز يتأهبون للخروج من السودان، وهو يتأهب للتخرج من جامعة الخرطوم ١٩٥٤م ولكن رغم خروجهم من السودان، فقد ذهب إلى بلاد الضباب يتلقى دراسات عُليا، في بيرمنجهام في أعوام ١٩٥٨ - ١٩٦٠م.

أين بعد ذلك ننتقل؟ هل لنادي الهلال؟ عذراً محبي نادي الهلال فهو ليس ملكاً لكم، بل هو ملك الكل. نستأذن من المخرج لكي نطوف معه في الخدمة المدنية في مناطق السودان المختلفة، فهو شامة فيها، كما كانت حنتوب شامة للنيل، حيث تخرج من كلية الإدارة بجامعة الخرطوم، حيث عمل بوزارة الحكومات المحلية، حيث نقل إلى الجنوب فعمل مأموراً بالإستوائية. ثم نقل ضابطاً إدارياً للحصاحيصا، والمناقل، وطابت وكسلا ثم بورتسودان ثم الدويم ثم كوستي والخرطوم بحري ضابطاً إدارياً لها، ثم نُقل إلى رئاسة وزارة الحكومات المحلية، ثم نُقل إلى وزارة الداخلية، حيث شغل منصب مساعد وزير الداخلية لشئون الجنوب، ثم وكيلاً لوزارة الداخلية.

أعطانا المخرج إشارة الدخول إلى عالم المجنونة كرة القدم، قبل أن نتجه إلى العمل الإداري له نقول إنه متعدد الهوايات، فلم يكن رياضياً فحسب، ولكنه ممثل لا يشق له غبار، حيث اشترك مع الفرقة المسرحية بمدرسة حنتوب، في تمثيل رواية تاجوج، ويعشق كرة القدم منذ صغره، وهو من المؤسسين لنادي الشباب، ونادي الأشبال وكان حارس مرمي، ثم لعب لفريق النيل العاصمي.

ولكن مالنا ولكل هذه الأندية المذكورة، وهنالك نادٍ وأحد فقط في حياته، يجري حبه في قلبه، مثل قصص الحب الكثيرة التى فاضت بها الكتب المختلفة، مثل مجنون ليلي، أو مثل

الزين عند الطيب صالح "مكتول" في الهلال، بدأ يتحسس الطريق جيداً، حتى يضع كل خطوة في مكانها الصحيح، وعندما جاء الخرطوم عمل ضمن أفراد اللجان المساعدة بالنادي.

ثم بعد ذلك دخل العمق، حيث أصبح في عام ١٩٦٣م عضواً ثم نائب سكرتير، ثم سكرتيراً في نفس العام. ثم تولى الرئاسة عام ١٩٧٧م ثم أعيد إنتخابه عام ١٩٧٩م حيث حل رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة المجلس عام ١٩٨٤م. ثم أنتخب رئيساً في مجلس وفاقي في عام ١٩٨٨م. ثم أعيد إنتخابه رئيساً في نفس العام إلى أن تم حل المجلس بواسطة وزير الشباب والرياضة في عام ١٩٩١م. ثم أعيد إنتخابه عام ١٩٩٤م إلى أن استقال عام ١٩٩٦م ثم أنتخب رئيساً فى عام ١٩٩٧م إلى أن استقال في عام ١٩٩٩م مفسحاً المجال للوفاق. ثم اختير عام ١٩٩٩م رئيساً لمجلس الوفاق، ثم اختير رئيساً مكلفاً للجنة تسيير وحالت ظروفه الصحية دون مباشرة مهامه. له الكثير من العلاقات مع كبار المسؤولين في الأقطار العربية والأوربية، وصار إسمه معروفاً كأحد قادة العمل الرياضي في العالم العربي والإفريقي.

وهو محبوب عند الجمهور (الهلالابي) ويهتف بإسمه في كل مبارة "هلالك هل ... يا ود عبدالله" كما له عدد من الألقاب مثل (البابا) و (زعيم أمة الهلال) كما له قرارات حازمة لعل من أهمها قراره التاريخي، بإقامة مبارة الرد بين الهلال والترجي التونسي الساعة الثانيه ظهراً، مستفيداً من لوائح الإتحاد الإفريقي، رغم المعارضة القوية التى وجدها من السلطات الحاكمة، فقد تحدى كل أجهزة الدولة، وأقام المبارة وفق مايريد، لا يهم نتيجة المبارة من قريب أو من بعيد، ولكن المهم الدرس الذي قدمه.

في عهده نال الهلال العديد من بطولات الدوري الممتاز، وكاس السودان، وشارك كثيراً في بطولات الأندية الافريقية، ووصل مرحلة المجموعات في فترات كثيرة، وصار الهلال (بعبع) تهابه أقوى الأندية الإفريقية.

بتاريخ ٢٤ فبراير ٢٠٠٧ احتجب الهلال عن الظهور في السماء، حيث هنالك غمام كثيف يحجبه عن الظهور. هنالك في (قاهرة المعز) أسلم الروح، ونقل الجثمان إلى الخرطوم، وسط حشود ضاق بها المطار الدولي.

٨٥ - مهدي الفكي

جمع بين الإقتصاد والرياضة، وهو لا يعرف إلا الصعود للذروة، مثله مثل النسر، أما السفح فلا يدخل في قاموسه، حيث كان على قمة أكبر مؤسسة بنكية حكومية، وكذلك على قمةالأندية السودانية.

هو مهدي الفكي الشيخ رئيس نادى المريخ، تاريخ الميلاد هنالك في الشمال، مدينة بربر بولاية نهر النيل، عام ١٩٣٢م تلقى تعليمه الإبتدائي والمتوسط بمسقط رأسه، ثم تلقى تعليمه الثانوي بمدرسة وادي سيدنا الثانوية بأم درمان، ثم جامعة الخرطوم كلية الآداب قسم الإقتصاد، تخرج في جامعة الخرطوم عقب خروج الانجليز من السودان ١٩٥٧م عمل بوزارة المالية والإقتصاد، في وظيفة ضابط مالي، وذلك في نفس العام. ثم عمل ببنك السودان لمدة عام، خبر جميع دهاليزه وممراته ومساربه كأنه أبو الهول رابط هنالك، يجمع ويطرح ويقسم ويضرب. تدّرج في السلم الوظيفي للبنك، حيث عمل مديراً لإدارات النقد الأجنبي والبحوث والاحصاءات الاقتصادية.

أتى عام ١٩٧٨م فيه التحق مهدي بشركة الصمغ العربي لمدة عامين، في وظيفة نائب المدير العام للشركة، وهي من كبريات الشركات الإقتصادية في السودان، وهي شركة مساهمة عامة، واستمر في هذه الشركة حتى عام ١٩٨٠م ثم عاد مرة أخرى لبنك السودان، ليشغل وظيفة المدير العام للبنك، من عام ١٩٨٣م وبعد ذلك تمت ترقيته لوظيفة نائب محافظ بنك السودان، ونائباً لرئيس مجلس إدارة البنك، واستمر حتى عام ١٩٨٨م تولى منصب المحافظ ورئيس مجلس الإدارة حتى عام ١٩٩٠م. والمحافظ درجة وظيفية عليا، تعادل منصب وزير اتحادي.

وبعد أن أعفيّ من الخدمة ببنك السودان وذلك في بداية التسعينات، حيث قدم خدماته الثرة لعدد من المؤسسات الإقتصادية حيث في عام ١٩٩٣م تولى منصب المدير العام لشركة الفوار السودانية، واستمر فيها حتى عام ١٩٩٩م. كما شغل منصب رئيس مجلس إدارة شركة الصمغ العربي.

الآن هلموا معي أيها الأحباب نحو الكوكب الأحمر، نقترب من وكالة ناسا لنري انطلاق المركبة كيوريوسيتي إلى سطح المريخ، قطعت مسافة ٤٥٠ مليون كيلومتر بسرعة ٢٠.٩٠٠ كيلومتر في الساعة، ولكن ندع كل هذا فلا شأن لنا بناسا، ولكننا هنا مع (ناسنا) في كوكب الأرض داخل السودان، وفريق المريخ الأم درماني.

كان مهدي هنالك يحط رحاله في الكوكب الأحمر منذ فجر الستينات، ثم أخذت الوظائف تترى عليه، حيث أصبح في البداية عضواً في مجلس إدارة المريخ، ثم سكرتارية المال، حيث في هذه الفترة اكتمل بناء استاد المريخ عام ١٩٦٤م وافتتحه رئيس الوزراء سر الختم الخليفة، وجرت مباراة بين المريخ ودينمو كييف الروسي فاز الفريق الروسي بهدفين.

ثم بعد ذلك تدرج في الوظائف المختلفة حتى أصبح رئيساً لنادى المريخ، ومن الشخصيات المهمة في نادى المريخ شخصية القبطان حاج حسن عثمان، ولهذه الشخصية دورٌ كبيرٌ في ظهور مهدي بنادى المريخ، حيث أصبح مهدي من أهم الرؤوساء الذين مروا على نادي المريخ ويعرف (برئيس الرؤساء) وهو لديه أدب وتواضع ويكره هذه الألقاب التي تطلق عليه. وفي عهده أحرز المريخ عدداً من الإنجازات لعل من أهمها احراز المريخ لأول بطولة خارجية، وهي فوزه ببطولة وسط وشرق إفريقيا المعروفة اختصاراً ب (سيكافا) عام ١٩٨٥م وقد فاز المريخ بها ثلاث مرات.

نظل في الإدارة، وتعلم أصولها على عدد من الشخصيات والذين يطلق عليهم (الحجاج) مثل حاج شاخور وحاج التوم وحاج مزمل مهدي وحاج زروق، كما زامل في العمل الإداري في النادي أيضاً عدداً من الشخصيات، منهم على سبيل المثال بشير حسن بشير وحسن أبوالعائلة وحاج حسن عثمان وطه صالح شريف وكذلك عملت معه الشخصية الكبيرة عبدالحميد الضو حجوج، والذى في عهده أحرز المريخ إنجازه القاري بفوزه بكاس الكوؤس الإفريقية عام ١٩٨٩م.

وبعد أن إبتعد عن العمل في المجلس التنفيذي للنادي في منتصف التسعينات من القرن المنصرم، حيث أصبح نائباً لرئيس المجلس الإستشارى، ثم رئيساً لمجلس الشورى المريخي. وبعد، فقد أتت لحظة الإفتراق، في المملكة العربية السعودية فقد ذهب لها في رحلة استشفاءٍ، إلا أنه أسلم الروح هنالك ودفن بها، وذلك بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠٠٧م.

٨٦ - عبدالرحمن سوار الذهب

إسم العائلة يتكون من إسم مركب، به مقطعين، فالأول هو ذلك السور المتين الذي حما السودان في عهده من الإنزلاق، أما الآخر فهو معدنه النفيس الذي لا يصدأ.

سكت ضجيج الحركة الوطنية في العام ١٩٣٥م، وفي المقابل هنالك ضجيجاً خافتاً انبعث من مدينة الأبيض، يعلن عن خروج عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب إلى الوجود، ثم انتقلت الأسرة الكريمة إلى مدينة أمدرمان، عبق التاريخ، ومنبع الحضارة، حيث استقرت في حي ودنوباوي، ثم رجعت إلى مدينة الأبيض، حيث تلقى تعليمه الإبتدائي والمتوسط والثانوي.

كان الإنجليز في عام ١٩٥٥م على بعد خطوات من الخروج من السودان، أما السوار فهي آخر خطواته للخروج من الكلية الحربية، ولكن رغم ذلك فقد مسح الحاكم العام أحزانه، وأعطاه براءة التخرج.

تنقل في داخل المعمورة وخارجها، يتعلم ويُعلم (الضبط والربط) تدرج في الرتب العسكرية إلى أن وصل رتبة مشير، كما أنه تلقى علوماً عسكرية عُليا في كلٍ من أمريكا وبريطانيا ومصر والأردن.

أتى العام ١٩٧١م وفيه إستولى الرائد هاشم العطا على السلطة، ولكنها كانت تتناقص من بين أيديه، نتيجة لأخطاء كارثية، أما سوار الذهب فقد (زاد الطين بله) حينما رفض أن يسلم حامية الأبيض، وفي عام ١٩٧٢م تم إبعاده عن الخدمة، وأرسل لدولة قطر، حيث عمل على إصلاح وتنظيم المؤسسة العسكرية القطرية.

أما الآن فندخل على الإنتفاضة من بابها الكبير، وندع المبدع محمد الأمين يغني لنا (مارس ماسك كتف إبريل)

مدينة (عطبرة السلوى) تصحو وتنام على أنغام ماكينات الورش، أما العمال فلهم رأي آخر، فقد كان الإضراب منهم، بتاريخ ٧ مارس ١٩٨٥م.

ثم تواصلت وتيرة الإنتفاضة، إبتداءاً من تاريخ ٢٦ مارس حيث مظاهرات الطلاب، وخاصة طلاب جامعة أمدرمان الإسلامية، ومظاهرات أخرى متفرقة.

في يوم ٢٧ مارس فقد كان موظفو المطار يتفحصون جواز السيد المشير نميري بغير مبالاة، ثم يضعون عليه الأختام إلى أمريكا، وهو من نافذة الطائرة، يرى بأم عينيه الحرائق تشتعل في العاصمة.

أصدرت الحكومة يوم ٢٩ مارس بيان (هزيل) وصفت فيه المتظاهرين بأوصاف غير كريمة، كما أستخدمت الرصاص الحي، وسقط عدد من الشهداء، وتم إعتقال عدد آخر من المواطنين.

قام الإتحاد الإشتراكي يوم الثلاثاء ٢ أبريل بتنظيم ما أسماه بموكب الردع، والموكب (شاحب) لدرجة كبيرة، وظهرت عبارات من السلطة على شاكلة (الرد الحاسم) وغيرها، كما أن القوات المسلحه تسير مع الشعب (الحجل بالرجل) برفض إعلان حالة الطوارىء، ولكن رغم (الحصل) فإنها غازلت الحكومة، بمنعها قيام موكب الأطباء في اليوم التالي.

" لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار، ومضاد له في الإتجاه" هو القانون الثالث لنيوتن، ونحن أيضاً في اليوم الثالث من ابريل، فقد كان رد الفعل قاسياً، فقد شهد يوم الأربعاء مسيرة هادرة للقوى النقابية بدأت من مستشفى الخرطوم، ووجدت تجاوب كبير من قطاعات الشعب المختلفة، ثم تواصلت المظاهرات في مناطق العاصمة المثلثة، وفي مساء نفس اليوم صدر بيان من الحكومة بتخفيض أسعار (الرغيف، وشنو كدا ما عارف) كأن الثورات تخرج من أجل هذه الأشياء !.

كان يوم الخميس يوم هادىء، أما يوم الجمعة ٥ أبريل فقد حصل شلل تام في مفاصل الدولة، فقد أصاب (الزهايمر السياسي) الكل، فقد صرح نميري لصحيفة نيويورك تايمز "أنه لا توجد قوة تزحزحني عن موقعي، وأنا لازلت رئيساً للجمهورية"

أما (السبت للخبت) فقد كان الشعب السوادني (متسمراً) أمام هذا الجهاز العجيب يستمعون إلى الفريق أول سوار الذهب وزير الدفاع يستولي على السلطة ويخلع نميري ويكون مجلس عسكري انتقالي برئاسته، ويتمسك بفترة عام فقط لتسليم السلطة لحكومة منتخبة، وقد أوفى بما وعد، في سابقة قد لا تتكرر في العالم كثيراً، فقد سلم السلطة لحكومة الصادق المهدي المنتخبة.

ذهب المشير سوار الذهب إلي أقرب (شماعة) وعلق عليها بزته العسكرية، وتفرغ للعمل الطوعي، وخاصة العمل الإسلامي، حيث تم اختياره أميناً عاماً لمنظمة الدعوة الإسلامية، ويعتبر من الشخصيات الإسلامية ذات الشهرة العالمية، نال عدد من الجوائز ومنها جائزة الملك فيصل العالمية.

الخضراء يا سامية وجميلة

ليك النفوس تهوى وتميلا

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حقق له الملك السعودي سلمان بن عبدالعزيز وصيته، بدفن سوار الذهب فيها، فقد تُوفيّ في الرياض بتاريخ ١٨ أكتوبر ٢٠١٨ ونقل جثمانه بطائرة خاصة إلى المدينة المنورة ليُوارى الثرى فيها.

٨٧ - الصادق المهدي

الكتابة عن زعيم مثل هذا الزعيم الذي نتحدث عنه أمرٌ بالغ الصعوبة، ضع هذه الكلمة الأخيرة في قوس، وضع أمامها تلك العلامة الرياضية، ثم دع إستاذ الرياضيات عله يفقه شيئاً، ولكن إلى حين وصول ذلك الأستاذ، نحاول الدخول إلى الاستاذ الأكبر، وشيخ السياسة السودانية.

كان العام ١٩٣٥م يتقدل في مشيته، وهتلر هنالك يملأ العام ضجيجاً، أما هنا في (بقعة المهدي) فهنالك ضجيج آخر، أطلق الإمام الصادق الصديق عبدالرحمن المهدي صيحته الأولى، لم ينم حي العباسية في ذلك اليوم لأن (عباسياً آخر) قد خرج إلى الوجود مثل (الرشيد) في علمه وورعه وتقواه.

كانت العلوم أمامه مثل بستان يقطف منه ما يشاء، حيث بدأ بخلاوي تحفيظ القرآن الكريم، في أم درمان والجزيرة أبا ثم الكتّاب، ثم مدرسة الأحفاد بأمدرمان، ثم مدرسة كمبوني الخرطوم لدراسة المرحلة الثانوية، ثم فترة بكلية فكتوريا بالإسكندرية.

في ١٩٥٢م جلس لإمتحانات شهادة أكسفورد، ثمَّ التحق بكلية العلوم في جامعة الخرطوم في نفس العام، وكانت له عين على (الأفرنجية) أما العين الكبرى فلعوم العربية، ثم التحق بجامعة أوكسفورد ١٩٥٤-١٩٥٧م ونال فيها درجة الشرف، ثم الماجستير بعد عامين من تاريخ تخرجه.

نخرج معه في سياحة عملية فقد عمل موظفاً بوزارة المالية في عام ١٩٥٧م. ثم ماذا أيها (القوي الأمين) لقد (هجم) الفريق إبرهيم عبود في نوفمبر١٩٥٨م واستولى على السلطة، ثم كانت المعارضة المكبوته، فقد استقال من الوظيفة.

عمل بعد ذلك في عدد من الأعمال الإقتصادية، إلا أن روح جده المهدي كانت تحوم حوله، وتقول له (أخلقت لهذا!).

نطلب من سائق القطار أن يزيد من سرعته، فهنالك محطات كثيرة، ونريد أن نمر عليها بسرعة. في عام ١٩٦١م تُوفيّ السيد الصديق وعبود هنالك (يتمدد) في السلطة، والابن يعارض تلك السلطة مثل أبيه، حيث نادى بالحل السياسي لمسألة الجنوب .

ثم قامت ثورة أكتوبر ١٩٦٤م كان جسد الشهيد القرشي تنزف منه الدماء، والإمام تتساقط دموعه، وهو يؤم المصلين في صلاة الجنازة، حتى الفريق عبود كانت أعضائه ترتجف من منظر تلك الدماء، ولكنه تقدم برشاقة يحسد عليها نحو مبنى الإذاعة، وقدم استقالته.

في ٢٥ يوليو ١٩٦٦م صار رئيساً للوزراء عن حزب الأمة في حكومة ائتلافية مع الحزب الوطني الإتحادي، وقد خلف السيد محمد أحمد المحجوب، والذي كان في نفس المنصب، وقد كان لحكومته عدد من الإنجازات التي لا تكفي هذه العجالة لذكرها، ويبدو أن الكرسي بعيد

عن الإمام، فلم يستطع الوصول اليه، وظفر به المحجوب في سباق لعبة الكراسي، وكان ذلك في مايو ١٩٦٧م وتكونت وزارة المحجوب الثانية.

جعفر محمد نميري لم تنشق الأرض وتخرجه، ولكن الأرض كانت ثابته تحت أقدامه، وهو يذيع بيانه الأول بالإستيلاء على السلطة. وشهر مارس يحمل الكوارث بين كتفيه ففي عام ١٩٧٠م هاجر الصادق إلى أرض الجدود، كان اللقاء حاراً بينه وعمه، ولكن انتقلت حرارة هيروشيما إلى الجزيره أبا بعد ذلك، حيث دكت بالطائرات بينما الصادق في السجون ،والإمام الهادي يستشهد بالقرب من الكرمك.

في عام ١٩٧١م كان الشيوعيون يتنكرون للرفيق القديم، ويحاولون الإستيلاء على السلطة، ولكن الرفقة لها حدود، فقد نكّل نميري بهم .

ثم في عام ١٩٧٤م سافر الصادق للخارج وكون الجبهة الوطنية الديمقراطية المعارضة لمايو بقيادته، وبعدها بعام قادت هذه الجبهة إنقلاباً فاشلاً ضد نميري، ثم بعد ذلك بعام قاد حسن حسين إنقلاباً لم يحقق نجاحاً.

تكاثرت الظباء عليك أيها النميري، ولكنه يدري أن بورتسودان بها (دروة) ويستطيع أن يصيب منها، ما لا يستطيع (خراش) أن يصيبه. فكان لقاء المصالحة بينه والصادق ودخل الإتحاد الاشتراكي (وكما دخل منه خرج).

نطوي الزمن سريعاً أيها الإمام، إستولى المشير سوار الذهب على السلطة عام ١٩٨٥م وبعدها بعام كانت المائة مقعداً لحزب الأمة كافية له لتشكيل حكومة، ليصبح رئيساً لوزراء السودان للمره الثانية، ويشكل إئتلاف مع الحزب الإتحادي، ففي خلال أربع سنوات تم تشكيل خمس حكومات، ولكن الجيش لم يترك الإمام يحقق ما هو مطلوب، فقدم مذكرة أولاً، ثم بعدها كان البشير يستولي على السلطة عام ١٩٨٩م ودخل السجن، و أراد الترابي مجاملة (نسيبه) فدخل معه السجن، ثم كان لا يخرج من السجن إلا ليعود إليه، واستمر حتى هذه اللحظه معارضاً للنظام الحاكم.

له عدد كبير من المؤلفات الفقهيه والسياسية، كما نال عدداً من الجوائز العالمية ويعتبر من أبرز المفكرين في العالم الثالث.

٨٨ - أحمد الميرغني

هو الابن الأصغر للزعيم السوداني البارز علي الميرغني، مرشد الطريقة الختمية في السودان، وراعي الحزب الإتحادي الديمقراطي بمسمياته المختلفة، وهو الشقيق الأصغر للسيد محمد عثمان الميرغني، راعي الحزب الإتحادي، ومرشد الطريقة الختمية الآن، ومن نافلة القول أن نقول إنه ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، ولكن هؤلاء يركلون هذه الملعقة بعيداً، كما تركل الكرة في سقف المرمى، ويعتمدون على كسبهم الخاص.

هو أحمد بن علي بن محمد عثمان الأقرب بن الحسن ولد في الخرطوم عام ١٩٤١م درس علومه المختلفة في أمدرمان، في المدرسة الأهلية المتوسطة، ثم المؤتمر الثانوية، وحصل على شهادة الإقتصاد من جامعة كامبردج بلندن، بدرجة مع مرتبة الشرف.

ثم بعد ذلك انخرط في العمل السياسي والإقتصادي، حيث تولى العديد من المهام في الحزب الإتحادي الديمقراطي، كما شغل منصب رئيس مجلس إدارة البنك الإسلامي السوداني، منذ تأسيسه وحتى وفاته.

في عهد نميري، وبعد المصالحة الوطنية.

عمل سفيراً للسودان في القاهرة، ووزيراً لخارجية السودان، بين أعوام ١٩٧٩-١٩٨٤م.

وفي ٦ ابريل ١٩٨٥م إستولي على السلطة الفريق أول عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب، وقبل هذا التاريخ قد دخلت البلاد في أزمات حقيقية داخلية وخارجية، أما الإقتصاد عصب الحياة كان على حافة الهاوية، أما حرب الجنوب فلها حديث آخر (أما الفلاشا فلن تتلاشى) على كلٍ إستولى الفريق أول عبد الرحمن على السلطة، وكان زاهداً فيها، وقد قال إنه سوف يسلمها للشعب بعد عام، وقد أوفى بما وعد، ولم يزد عن ذلك قيراطاً، إذ خرج حاتم الطائي من قبره لضرب كفاً بكف، ولقال: (فقتني كرماً) نم قريراً داخل قبرك، فالكرم عندنا نحن السودانيين وبكثرة.

جرت الإنتخابات في جو نزيه، حقق حزب الأمة بقيادة السيد الصادق المهدي المتوقع، حيث أحرز حوالى مائة دائرة، ويعود ذلك لتماسك الحزب بعضا ما.

أما الحزب الإتحادي الديمقراطي بقيادة السيد محمد عثمان الميرغني، فقد تراجع إلى الوراء قليلاً وأحرز حوالى أربع وستون دائرة، أما الجبهة الإسلامية بقيادة الشيخ حسن الترابي فقد حققت المفاجأة، وأحرزت حوالي واحد وخمسون مقعداً، فقد إكتسحت مناطق الوعي والإدراك، حيث إكتسحت أغلبية مقاعد العاصمة المثلثة، وجميع دوائر الخريجين، وجميع الدوائر ٢٦٠ دائرة، وأصبح محمد إبراهيم خليل رئيساً للجمعية.

قامت حكومة إئتلافية بين حزب الأمة وحزب الإتحادي الديمقراطي، حيث احتفظ حزب الأمة برئاسة الوزراء، وتولاها زعيم الحزب الصادق المهدي، وأصبح مجلس رأس الدولة من نصيب الإتحادي الديقراطي، وأصبح من نصيب السيد أحمد الميرغني، نائب رئيس

الحزب، وبقية الأعضاء هم السيد إدريس عبد الله البنا عضواً والسيد علي حسن تاج الدين عضواً والسيد محمد الحسن عبد الله يس عضواً والسيد باسفيكو لادو لوليك عضواً.

باشرت حكومة الإئتلاف مهامها، إلا أن العلاقة بين الشريكين لم تكن على بعضها البعض، وحتى (السيدين الجديدين) لم يكن التفاهم بينهما إلى حد النهاية، أحداهم يرمي الباص إلى الآخر أمام خط المرمى، والمرمى خالي فيتعمد بوضعها خارج المرمى، والعكس صحيح، وهكذا تستمر الساقية، لم تمضي الحكومة على وفاق، ففي خلال أربع سنوات تم تشكيل خمس حكومات، ومن أهم المشاكل الصراعات داخل الأحزاب، وبين الأحزاب، والأزمة الإقتصادية الطاحنة، التي تعرضت لها الحكومة، وضغوط صندوق النقد الدولي.

وهنالك لغم ضخم قد انفجر بين الشريكين، وهو إستقالة السيد محمد الحسن عبد الله يس لظروف صحية، وهو إتحادي، والمقعد يتبع للإتحاديين، فقد أراد الحزب الإتحادي تعيين أحمد السيد حمد، إلا أن علاقة الصادق مع أحمد لم تكن على ما يرام، فقد أصر السيد الصادق المهدي على تعيين المستقل ميرغني النصري، نقيب المحاميين، وقد كان له ما أراد.

كانت الأوضاع خطرة، وهنالك الجنوب يغلي كالمرجل، والحزب الإتحادي الديمقراطي قد خرج من لعبة الكراسي، وقام إئتلاف بين الأمة والجبهة الإسلامية، وحاول الإتحادي توقيع إتفاق سلام مع الحركة الشعبية، ووضعت العراقيل أمامه، كما أن القيادة العامة للجيش قدمت مذكرة سياسية لرئيس الحكومة الصادق المهدي، وأحدثت هذه المذكرة بلبلة سياسية وسط البلاد، وتدهورت العلاقة بين الجيش والحكومة، ولكن الحكومة في النهاية رضخت لضغوط كثيرة، وأعلنت قبولها لإتفاقية السلام التي وقعها الإتحادي مع الحركة الشعبية.

كان تاريخ ٣٠ يونيو ١٩٨٩م حاضراً، وفيه تم إستيلاء العميد آنذاك عمر حسن أحمد البشير على السلطة، والسيد أحمد مسامح كريم جواد ومعطاء، وإستجاب إلى نداء العودة إلى الوطن، وعاد إلى السودان من مصر في ٨ نوفمبر ٢٠٠١م

ثم بعد ذلك لم يكن بعيداً عن السياسة، حيث عمل عضواً في هيئة رئاسة ملتقى أهل السودان لحل أزمة دارفور، وذلك بتاريخ أكتوبر ٢٠٠٨م، لم يتمكن من حضور المؤتمر لظروفه الصحية.

تُوفيّ الميرغني بمدينة الإسكندرية بمصر في ٢ نوفمبر ٢٠٠٨ م وقد شيعته الملايين، ودفن بالقرب من والده في الخرطوم بحري بالعاصمة، ونقل جثمانه بطائرة خاصة، وقد نعاه عدد من الرؤوساء العرب.

٨٩ - فاطمة عبدالمحمود

كانت الحرب العالمية الثانية تقترب من نهاياتها في عام ١٩٤٤م، وفاطمة عبدالمحمود تخرج من (ظلمات ثلاثة) إلى نور الوجود، وصفاء الكون، مثلما ترقد الطوابي على صفحة النيل، تستنشق منه رائحة الدعاش، هلم بنا نتوقف عند قبس من سيرتها.

تلقت تعليمها بالمرحلة الأولية في مدارس، الخرطوم، والوسطى في مدارس أم درمان، وتلقت تعليمها الثانوي في مدرسة أم درمان الثانوية للبنات.

ثم واصلت بعد ذلك للصعود في قمة الهرم، حيث ذهبت إلى الإتحاد السوفيتي، كان هنالك الجو بارداً، والحرب كذلك بنفس الكيفية، حيث حصلت على بكالوريوس طب من الجامعة الروسية لصداقة الشعوب، وذلك عام ١٩٦٧م. كما نالت دبلوم عالي فوق الجامعي في طب وصحة الطفل وأمراض الأطفال الصدرية، وطب المناطق الحارة، ثم نالت ماجستير صحة عامة، وإدارة مستشفيات، وكلها من نفس الجامعة الروسية، وذلك بين أعوام ١٩٧٠م و ١٩٧١م. ثم بعد ذلك حصلت على ماجستير طب الأطفال وصحة الأسرة من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عام ١٩٨٤م،كما حازت على زمالة تخصص طب الأطفال، بأكاديمية العلوم الطبية العليا من المِجّر من مدينة بودابست، وذلك عام ١٩٩١م.

ماذا ألمح من على البعد، العقيد آنذاك جعفر محمد نميري، يتقدم بخطوات درسها جيداً نحو مبنى الإذاعة، وتمكن من الإستيلاء على السلطة في إنقلاب أبيض بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٦٩م وأصدر قراراته المختلفة بما فيها كلمة (حل وأخواتها)

بدأ الإنقلاب أبيض، ثم تحول إلى أحمر، ثم بعد ذلك تلفح بألوان الطيف السبعة، أما فاطمة فقد دخلت العمق السياسي، وأصبحت في عام ١٩٧٤م أول وزيرة دولة للصحة والرعاية الإجتماعية، ثم أول وزيرة مركزي للشؤون الإجتماعية عام ١٩٧٥م، وأتاح لها موقعها الوزاري هذا أن تصبح أول إمرأة عضو في مجلس وزراء عام ١٩٧٥م.

وترأست الوفد السوداني لأول مؤتمر للأمم المتحدة بنيويورك في مجال تنمية المرأة والسكان ١٩٧٤م.

في العام ١٩٧١م انشأ جعفر محمد نميري، الإتحاد الإشتراكي، وأراد أن يجعل منه وعاء شامل يجمع الكل، وهو الحزب الوحيد في الدولة، ومقتبس من التجربة المصرية التي صنعها جمال عبدالناصر، حيث دخلت فاطمة بكل ماتملك من قوة تلك التجربة، حيث تقلدت منصب أمين لجنة المرأة بالإتحاد الإشتراكي السوداني، وكان ذلك لدورتين أعوام ١٩٧٥م و ١٩٧٦م كما أصبحت سكرتيرة إتحاد نساء السودان.

كانت من أشد المدافعين لحقوق المرأة، فقد أيدت في عهد نميري تخصيص حصة برلمانية للنساء، وأن لا تقل هذه الحصة عن ٢٥% من جملة مقاعد البرلمان، كانت مخلصة (للمشير الأول) وعينت مستشاراً له حتى مع لفظ حكومته أنفاسها الأخيرة على يد (المشير الثاني).

لم تقف مكتوفة الأيدي في عهد (المشير الثالث) حيث عملت عضو المجلس الوطني، وعضو مجلس شورى إتحاد المرأة السودانية، ورئيسة شعبة العلاقات الأوروبية والأمريكية بالمجلس الوطني.

وأسست شركة الخليج للإستشارات البترولية والتجارية في إمارة أبوظبي ١٩٨٧.

أسست أول حزب تقوده إمرأة السودان، وهو حزب الإتحاد الإشتراكي الديمقراطي، فهي أول إمرأة سودانية تقود حزباً.

ترشحت من حزب الإتحاد الإشتراكي عام ٢٠١٠م التي فاز فيها عمر البشير، كما بادرت إلى ترشيح نفسها مجدداً لخوض الإنتخابات عام ٢٠١٥م.

نالت عدداً من الأوسمه منها، وسام الجمهورية، وسام ابن السودان البار،

ووسام النيلين، كما حازت على جائزة سيرز الذهبية للأمم المتحدة ضمن أميز نساء العالم، إلى جانب رئيسة وزراء الهند الراحلة أنديرا غاندي، ورئيسة سريلانكا السابقة شاندريكا بانداراناىكا.

اختارتها الأمم المتحدة ضمن أكثر ٦٠ إمرأة تميّزاً في العمل العام ببلادهن عبر العالم، تعتبر أستاذة محاضرة بعدد من الجامعات العالمية.

أصدرت عدداً من الكتب، وكلها تتعلق بقضايا المرأة منها: المرأة وأرض البطولات، المرأة والتنمية الريفية، المرأة والتنمية الاقتصادية، المرأة ومنظمات المجتمع المدني، المرأة من خلال خطب السيد الرئيس نميري.

في ٢٢ يوليو ٢٠١٨م توفيت فاطمة بالعاصمة البريطانية لندن، وتم تشييع رسمي وشعبي لها في الخرطوم..

٩٠ - الزبير محمد صالح

هو الزبير محمد صالح أحمد، ولد في الغدار ريفي دنقلا، وذلك بتاريخ ١٩٤٤م درس بمدرسة القولد الأولية عام ١٩٥٢م ثم بعد ذلك نقل نقلة كبرى حيث ذهب إلى ثانوية وادي سيدنا، وذلك بين أعوام ١٩٦٤ - ١٩٦٠م ثم بعد ذلك حصلت له (أم النقلات) حيث دخل (مصنع الرجال) لم يكن دخول الكلية الحربية في ذلك الزمن أمراً ميسوراً، ولكن تم إعطاؤه تأشيرة الدخول إلى عالمها.

ثم بعد ذلك بدأ الحياة العملية حيث عمل بعد تخرجه بالقيادة الشمالية، ومركزها مدينة شندي، ثم نقل إلى القيادة الشرقية بالقضارف، ثم عمل ببورتسودان، ثم بسلاح النقل وسلاح الصيانة، ثم منطقة أعالي النيل العسكرية، ثم قائد المركز الموحد بجبل أولياء.

(كوّش) على كل الشهادات الموجودة في الساحة، حيث نال شهادات كل الدورات الحتمية لضباط القوات المسلحة، ودورة إدارة ورش وصيانة من المانيا، وأضاف إليها دورات فرقة إصلاح مركبات من روسيا، ودورة قادة كتائب ومركبات من مصر.

بعد أن سقط حكم المشير نميري عام ١٩٨٥م تولى المشير سوار الذهب السلطة، وبعبارة دقيقة إنحاز إلى الشعب وإستولى على السلطة، وترك كل بهرجها وزخرفها، وركله بعيداً وسلّم السلطة للشعب، وجرت إنتخابات نزيهة، وأسفرت عن فوز حزب الأمة، وشكّل السيد الصادق المهدي وزارة ائتلافية مع الحزب الإتحادي، إلا أن الوزارة جوبهت بعدد من المشاكل، والجنوب يشتعل، والصراعات الحزبية في قمة مداها، أين عصا سيدنا موسى حتى يتوكأ عليها الشعب السوداني؟ أما المآرب الأخرى فهي للساسة، أين جرس الإنذار؟ آلا نفتح الراديو؟ نعم ولكن من فعلها؟ العميد آنذاك عمر حسن أحمد البشير، ولكن لم يذكر لنا التاريخ، وهل هنالك سوداني ينسى هذا التاريخ؟ إنه يوم الجمعة الثلاثون من يونيو ١٩٨٩.

لم يكن هذا هو اليوم المحدد للإنقلاب؟ فاليوم المحدد للإنقلاب هو قبل إسبوع من ذلك التاريخ، وهذا التأخير من أجل خاطر عيونك. فقد تم إعتقال الزبير للإشتباه في الإشتراك في محاولة إنقلابية أيام الصادق المهدي، وأدخل السجن، وقد جرى إجتماع حاسم لوضع النقاط فوق الحروف، وقد ترأس الإجتماع العميد عثمان محمد حسن، والإجتماع يوم ٢٨ يونيو وهو إجتماع حاسم، وكان رأيه تأجيل العملية إسبوعاً آخر، وحصل الفرج، فقد جاء البشير وعملت الترتيبات وحددت ساعة الصفر في ذلك التاريخ المذكور، وهومن معتقله يحرك الأحداث، حيث تمكن من تحريك قوات من جبل أولياء، وذلك لإسناد قوة الإنقلاب.

بعد نجاح الحركة أصبح كالنسر، يحلق في فضاء الله الواسعة، وأصبح له صيت فى مناطق السودان المختلفة، حيث أصبح نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، ونائب رئيس الوزراء، ووزيراً للداخلية، بالإضافه إلى ذلك فإن جميع المشاريع الكبيرة يتولى الإشراف عليها، كما كان له دورٌ في حفظ التوازان بين أفراد السلطة من مدنيين وعسكريين، وحتى

العلاقات الخارجية تولى ترميمها، فقد كانت آخر زيارة له للشقيقتين السعودية ومصر وخاصة الأخيرة التي عمل على إصلاح العلاقة معها.

ثم ماذا بعد؟ كما ملأ الدنيا في حياته، فإن موته فاجعة هزت القلوب، نهر السوباط يجري مثلما يجري نيل الحياة، لا يعبأ بمن حوله، كان النهر في قمة غضبه، ماذا حدث أيها النهر العتيد.

نستميح المخرج عذراً ونراقب الأحداث.التاريخ هو يوم الخميس ١٢ فبراير ١٩٩٨م أقلعت طائرة الزبير من طراز أنتونوف وعلى متنها ٥٧ من خلاصة القيادات السياسية والعسكرية، من مدينة ملكال إلى مدينة الناصر، واقتربت الطائرة بالفعل من المدينة، ولكن الرياح في ذلك اليوم العصيب إشتركت مع النهر في غضبه، فلم يستطع قائد الطائرة السيطرة عليها، فسقطت الطائرة في نهر السوباط، والنهر يقع بالقرب من المطار الصغير، إلا أنه تنكر للصداقة التي كانت تجمع بينهما، ورغم ذلك سمح النهر لعدد من القيادات من السباحة فيه، والعبور إلى بر الأمان. وفي اليوم التالي أي الجمعة، تم تشييع جثمانه من الساحة الخضراء وسط حشود شعبية...

٩١ - عمر بليل

من منا يعيش حياتين؟ هي حياة واحدة من غير شك، ولكن إذا اخبرك دكتور ما أنك ميت لا محالة، ثم عشت بعد ذلك عمراً مديداً، فإنك مجازاً قد عشت حياتين.

هو عمر محمد أحمدون بليل، ولد بمنطقة تنقسي الجزيرة، والده معروف بحاج بليل، ويعمل بمشروع الجزيرة، محالج مارنجان، وهو في هذه المنطقة شمعة تحترق لتضئ للأخرين.

بدأ مرحلة التعليم وبعضها قفزاً بالزانة، كأنه كان يسابق الزمن، هل حينما قال الشاعر المبدع إبراهيم الرشيد قصيدته، هل يقصده.

يا زمن وقف شـــــــويه
واهدي لي لحظات هنيه
وبعدها شيل باقي عمري
شيل شبابي وشيل عينيّ

بالطبع لم يكن يقصده من بعيد أو قريب، والزمن ينساب بسرعته المعهودة، إلا أن ضيفنا يركب (كبسولة فضائية) يسابق كل شيء، حتى لو بساط الريح.

بدأ التعليم الأولي بمنطقة تنقسي الجزيرة، عام ١٩٤٦م لم يواصل فيها، لأن الطبيعة لها رأي آخر، حيث فاض النيل، كان غضب النيل كبيراً، فدمر المدارس التي كانت موجوده فى تنقسي. يا عمر ليس عليك حرج، إذهب إلى الوالد هنالك في الجزيرة، منطقة مرجان، واكمل المرحلة الأولية ثم المتوسطة في مدني، ثم درس الثانوي بمدرسة حنتوب، أما الصف الثالث عنده في جميع مراحل الدراسة الثلاثة (خارج التغطية) فلم يمر عليه، فكان يمر إلى الصف الرابع مباشرة.

ثم بعد ذلك الاتجاه شمالاً إلى عوالم جديدة، مدينة الخرطوم حيث درس بجامعة الخرطوم، كلية الطب، وأكمل بها دراسة الطب، وهنالك فترة إمتياز بمستشفى مدني، ثم بعد ذلك عمل مساعداً للتدريس بكلية الطب جامعة الخرطوم، ثم ذهب إلى بريطانيا وتخصص في الجراحة العامة، ثم بعد ذلك تخصص في الجراحة الدقيقة، في جراحة المخ والأعصاب، ولكن مع وقف التنفيذ. وهنالك في بريطانيا حدث له حادث غير حياته رأساً على عقب، حيث أصيب بداء عجز الكل فى بلاد الضباب عن تشخيصه.

وعاد إلى السودان، وقابل عدداً من الأطباء السودانيين، وتمكن أحد الدكاترة من تشخيص المرض، وهو فشل كلوي بنسبة عالية للكليتين. ماذا تعمل أيها الدكتور؟ الدكاترة البريطانيون هنالك لا يعلمون أن الغيب بيد الواحد الأحد الفرد الصمد، فقد حددوا له ساعة الصفر، قامت أسرته الكريمة بإجراء فحوصات المطابقة، ثم أرسلت شقيقه بابكر الذي تبرع بإحدى كليتيه، وبدأت العملية، وتم استئصال الكليتين لبليل، وتمت زراعة كلية شقيقه،

واختلط دم شقيقه بدمه، ونجحت العملية، وجرت صلوات الشكر لبارئ السماوات والأرض، عاد بليل إلى السودان مع بابكر، والرحلة بالطبع عبر المملكة العربية السعودية، حيث أديا فريضة الحج للمرة الأولى، وأصبح يحج سنوياً بعد ذلك، وبعد أداء الحج عاد إلى السودان. وعمل إحتفالات ضخمة، بواسطة الأهل والأصدقاء والمعارف، وكانت الطيور صافات بإجنحتها كأنها تشارك البروف هذه الإحتفالات. ثم ماذا بعد الإحتفالات؟

مزيداً من الإحتفالات والعمل، عد أيها البروف إلى بلاد الضباب، ودع عنك فكرة المخ والأعصاب، ولكن ضع أعصابك في مبرّد، فهؤلاء القوم جبلوا على هذا البرود. حيث عاد إلى بريطانيا ليتخصص في زراعة الكلي، ثم يذهب بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليكمّل تخصصه، وبالتالي هو أول طبيب من الشرق الأوسط يتخصص في هذا المجال.

عاد إلى السودان، وباشر العمل، وأجرى أول عملية زراعة بالسودان لسعودي، وكان ذلك عام ١٩٧٣م، ونجحت العملية. والبروف أثناء أجراء العمليات، يستمع للقرآن الكريم والمدائح النبوية، حتى يعطي جواً روحياً ووجدانياً لفريق العمل الجراحي.

ثم بعد ذلك جاءت مرحلة خدمة الناس من الباب الكبير، حيث شرع بليل في تأسيس مستشفى سوبا الجامعي، حيث أكمل المستشفى دون أن يكلف الدولة (دانوق) واحد، ثم أصبح رئيساً للمستشفى، ثم قدم استقالته منها، وقد حاول الرئيس نميري إعادته لها، ولكنه رفض، لإنه يريد أن يتفرغ لعمل الطب، حيث أسس كلية الدراسات الطبية العليا بجامعة الخرطوم. ونتيجه لهذه الكلية، تم تأسيس المجلس العربي للإختصاصات الطبية العربية، وتم اختيار بليل أول أمين عام له، ومقره دمشق.

بعد ذلك عرف نميري الإمكانيات التي يتمتع بها البروف، فاختاره مديراً لجامعة الخرطوم، وعضو مجلس إدارة للعديد من الجامعات السودانية. له كتاب (حياتين) اصدره عام ١٩٧٣م، وثق فيه تجربته مع المرض.

كان الضباب يلف الخرطوم هنا، وهنالك في عاصمة الضباب قيل له: (أنك ميت لامحاله) ولكنه عاش بقدرة الخالق سبحانه وتعالى، إلى أن أخذ صاحب الأمانه أمانته، وكان ذلك عام ١٩٩٢م.

٩٢ - محجوب عبيد

هو محجوب عبيد طه، ولد في العام ١٩٣٧م خرجت صيحته الأولى هنالك في مدينة القطينة، وهذه الصيحة هادئة بعض الشيء، واستمر هذا الهدوء بقية حياته، ما أن خرج إلى الوجود، حتى أصبح بعد ذلك أكبر عالم فيزياء على نطاق البسيطة. تلقى تعليمه الأولي بمدرسة القطينة الأولية (بشير سنادة)، لم يكمل الأربعة مراحل المفترضة من السلم التعليمي، سابق الزمن حتى وصل إلى هدفه، لعله أسرع من المركبة (أبولو) التي فك طلاسم سقوطها. ثم الوسطى في الدويم الريفية، دخل بعد ذلك جامعة غردون، لماذا أريد أن أرجع إلى الوراء قليلاً، والمركب يسابق الزمن، فقد أصبحت هذه الجامعة هي جامعة الخرطوم، وأصبحت من أعرق الجامعات في العالم الثالث.

في عام ١٩٥٧م خرج الإنجليز من السودان، وخرج طه إلى امريكيا، حيث نظمت (جامعة الهيرالدتيبون) مسابقة لإختيار واحد من طلاب المدارس الثانوية لتمثيلها في نيويورك، وكل مسابقة تنظم في هذه الفترة حصرياً عليه، فدعونا من ذكر باقي المسابقات، فالنتيجة معلومة. ذهب إلى بريطانيا، لم يذهب إليها غازياً، ولكن متعلماً، حيث التحق بجامعة درهام، وحصل على بكالوريوس العلوم (رياضيات) بمرتبة الشرف، وذلك عام ١٩٦٤م. كما حصل على دكتوراة في الفيزياء من جامعة كامبردج ببريطانيا عام ١٩٦٧م.

دخل جامعة الخرطوم، ومن الباب الواسع، حيث عين محاضراً، ثم أستاذاً مشاركاً، ثم أستاذ الفيزياء، ثم عميداً لكلية العلوم، وذلك بين أعوام١٩٧٤ و ١٩٧٦م ثم أستاذاً للفيزياء بجامعة الملك سعود بالسعودية.

بعد ذلك نأتي إلى العضوية، فهو عضو في عدد من الجامعات والمؤسسات العلمية العريقة، وعضواً في لجنة الطاقة الذرية السودانية، وعضواً في الجمعية الفيزيائية الأمريكية، كما أشرف على تحرير العديد من المجلات العلمية المتخصصة. كما أشرف على العديد من رسالات الماجستير والدكتوراة بجامعتي الخرطوم والملك سعود.

أما إنجازاته العلمية فإنها وشاح على صدره يلبسه أينما حل، وأينما قام، وهي من الكثرة بحيث لو حاولنا تتبعها لإحتجنا إلى مجلدات ومجلدات، وسنكتفي بنذر يسير منها.

قدم طريقة رياضية جديدة سميت بطريقة طه لتحليل التكاملات على متغيرات الإندفاع في التفاعلات الكهرومغناطيسية والتفاعلات الضعيفة، كما ابتكر قواعد جمع طه التي برهنت صحتها في نظرية الإضطراب، قدم أول تعميم نسبي لمعادلات فاديف لتصادمات ثلاثة جسيمات مع ثلاثة جسيمات في نطاق نظرية مصفوفة التشتت. اكتشف مع زملائه في المجموعة النظرية في الخرطوم قانون جمع جديد في تفاعل البروتون الكترون وذلك في إطار موضوع السببية في نظرية الجسيمات الأولية. كتب العديد من المقالات، وقدم الكثير من المحاضرات في فلسفة العلوم، وبنية النظريات العلمية، ومفهوم القوانين الطبيعية،

ومفهوم الزمن وبداية الكون واتساق الإيمان والعلم والطب والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، كما قدم اوراقا اثبت بها عدم صحة قانون نيوتن الثاني.

أدهش الأمريكان والألمان حيث كانت العربة أويل الألمانية، والعالم لم يصنع مثلها في جودتها، ولكن رغم تلك الجودة بها مشكلة، حيث كانت تكسر الركبة، وبعد دراسة وافية قدم تقرير وافياً ميكانيكياً للشركة، فقد ردت عليه الشركة أنه على حق، وأعطيت له هدية عربة ليس بها عيوب.

ننتقل وبهدوء إلى أمريكا نعبر إلى وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) نبتعد كثيراً عن منصة إطلاق منصات الأقمار الصناعية، ولكن ياللهول! نحن في العام ١٩٧٠م مركبة ابولو ١٣ متجهة نحو القمر، وحصل لها عطل طارئ، هل هذا العطل من رقم الشؤم ١٣ ولكن البروف قدم تقريراً وافياً عن الحادثة بعد دراسة مهندسي وكالة ناسا الامريكية للتقرير، تاكد لهم صحة ما ورد فيه من معلومات ، وقدموا له دعوة لحضور اطلاق المركبة الفضائية ابولو ١٤.

وهو عضواً في الفريق المكلف بالتحقيق في حادثة إنفجار المفاعل النووي الروسي (تشيرنوبل).

وبعد، كتبنا هذه الكلمة وليس هذا محلها، فقد تعبنا من الركض وراء البروف. نادى التضامن بالقطينة، نادى عملاق يقع بالقرب من المنطقة التى أطلق فيها طه صيحته الأولى، أقام مجمعاً متكاملاً له.

مدينة الرياض تلك اللؤلؤة الجميلة، هنالك العالم الورع قد فارق هذه الفانية إلى دار الخلود وتاريخ وفاته -أيها الأحباب- ٢٦ أغسطس ٢٠٠٠.

٩٣ - محمد مفتاح الفيتوري

في حضرة من أهوى عبث بي الأشواق
حدقت بلا وجه رقصت بلا ســـــــــاق
وزاحمت برایاتي وطبولي الآفـــــــاق
عشقي يفني عشقي وفنائي استغراق
مملوكك ولكني سلطان العشـــــــــاق

شعر رصين كأنه (عجوة معطونة في عسل) شاعر إفريقيا والعروبة، محمد مفتاح الفيتوري. تم تدريس بعض قصائده في بعض مناهج البلاد العربية، كما تغنى ببعض أشعاره بعض كبار المطربين السودانين.

ولد محمد مفتاح رجب الفيتوري، عام ١٩٣٦م في مدينة الجنينة بولاية غرب دارفور، ووالده هو الشيخ مفتاح رجب الفيتوري، وهو خليفة في الطريقة الشاذلية، وفي هذا الجو العبق، ومع الترانيم والأناشيد والطبول والدفوف وجد نفسه في جو فيه حس شعري مرهف. ثم بعد ذلك بدأ تجواله هنالك في أم الدنيا، فيها لؤلؤة نادرة تتكئ سعيدة على البحر الأبيض المتوسط، مدينة الأسكندرية (عروس البحر) حيث حفظ القرآن الكريم، ودرس بالمعهد الديني، ثم بعد ذلك انتقل إلى القاهرة (جبلاً آخر أكبر حجماً) حيث تخرج في كلية دار العلوم بالأزهر الشريف.

اتجه إلى الحياة الإدبية، وعمل محرراً في عدد من الصحف السودانية والمصرية على السواء، ثم بين أعوام ١٩٦٨م و ١٩٧٠م عين خبيراً للإعلام بجامعة الدول العربية بالقاهرة. ثم عمل مستشاراً ثقافياً في سفارة ليبيا بإيطاليا. كما عمل مستشاراً وسفيراً بالسفارة الليبية في بيروت بلبنان، وكذلك عمل بسفارة ليبيا في المغرب، مستشاراً للشؤون السياسية والإعلامية.

في عام ١٩٧٤م ماذا فعلت أيها النميري؟ هل هذا رجل تسقط عنه الجنسية؟ ومعها جواز السفر والحجة واضحة معارضة النظام. القذافي هنالك ينتظر كشف اللاعبين المشطوبين، والمسرحيين، حتى يضمهم إلى دولته (العظمى) آلاف الدول تتمناك أيها السلطان، الجواز الليبي جاهز وسوف تتسلمه في المطار، ليس الجواز فحسب، ولكن معه علاقات مميزة مع العقيد القذافي.

هو من المجددين بحق وحقيقة فى الحركة الأدبية العربية، ويعتبر من رواد الشعر الحر، وقد تخلص من قيود ومطبات الشعر الجاهلي، والأموي والعباسي، حيث تم هجر الأوزان والقافية، والبكاء على الأطلال . والفيتوري ينام ويصحو وهمه إفريقيا، ويقتات عليها، وأغلبية دواوينه الشعرية مرتبطة بإفريقيا، وصراعات الإنسان الإفريقي، وخاصة وصمة القرن، وهى قضية الرق.

لتنتفض جثة تاريخنا
ولينتصب تمثال أحقادنا
آن لهذا الأسود المنزوي
المتواري عن عيون السنا
آن له أن يتحدى الورى

وألف عدة دواوين في هذا المضمار، منها ديوان (أغاني إفريقيا)، و (عاشق من إفريقيا)، و (اذكريني يا أفريقيا)، وديوان (أحزان إفريقيا).

لم يكن الهم الإفريقي وحده يمثل شعره، وهنالك أيضاً الهم العربي، يؤرق مضاجعه وخاصة القضية الأولى، وهي القضية الفلسطينية.

له قصائد ضد الإستبداد، وخاصة فى السودان وخاصه ثورة إكتوبر، وله القصيدة الشهيرة (أصبح الصبح) والتي تغني بها الفنان محمد وردي.

أصبح الصبح
ولا السجن ولا السجان باقي
واذا الفجر جناحان يرفان عليك
واذا الحزن الذي كحل تلك المآقي
والذي شد وثاقاً لوثاق
والذي بعثرنا في كل وادي

حصل محمد الفيتورى على (وسام الفاتح) من ليبيا و (الوسام الذهبي للعلوم والفنون والآداب) من السودان.

له عدد من دواوين الشعر أهمها، معزوفة درويش متجول، ثورة عمر المختار، أقوال شاهد إثبات، البطل والثورة والمشنقة، سقوط دبشليم، ابتسمي حتى تمر الخيل، نار في رماد الأشياء، يأتي العاشقون إليك، يوسف بن تاشفين (مسرحية) سولارا (مسرحية شعرية).

ثم بعد ذلك ذهب إلى المغرب، وإقام مع زوجته المغربية في ضاحية سيدي العابد في جنوب الرباط.

رسم ابتسامة عريضة من ذلك الجبين الوضاح، وهو يغادر هذه الدار الفانية إلى دار الخلود، وذلك يوم الجمعه ٢٤ ابريل ٢٠١٥م ووفاته بمستشفى الشيخ زايد بالعاصمة المغربية الرباط، بعد معاناة طويلة مع المرض. دفن في مقابر الشهداء في الرباط، قرب شاطيء المحيط الاطلسي، شكراً لك أيتها السلطات المغربية، أما نحن فلنا الحسرة.

٩٤ - أمين محمد زكي

يا مراكبي عدينا على توتي وديـنا
سوق معاك في الرحلة شاديـــــــنا
عدينا عدينا وكان تهنا أهديـــــــنا
النيل يروي شاطينا والوادي وادينا

المبدع محمد أحمد عوض يريد أن (يودينا) إلى (شادينا) ولكن حتماً سوف نهتدي إليه، لأنه علماً فوق رأسه نار.

ولد نجم النجوم أمين محمد زكي في جزيرة توتي عام ١٩٤١م، وتعلم بمدرسة توتي الأولية، ثم الأهلية الوسطى بأم درمان، ثم الأهلية الثانوية بأم درمان ايضاً، ثم بعد ذلك ذهب إلى مدينة الدويم، وحط رحاله في معهد التربية بخت الرضا.

نبعد عن صوت السواقي قليلاً في جزيرة توتي، ونتجه معه في سياحة عملية، قبل أن تأسرنا (المجنونه) بفنونها.

حيث عمل بوزارة التربية والتعليم، مديراً لمدرسة ود نوباوي الوسطى، ثم بعد ذلك دخل القوات المسلحة، وأصبح مديراً لفرع الخدمات الإجتماعية. كأن القدر قد حكم عليه أن يصبح (توب) في كل شيء، ثم تقاعد برتبة عقيد في عام ١٩٨٩م.

كان وهو يافع، حبائل الود موصولة بينه وبين (كورة الشراب)، ثم بعد ذلك تم تسجيله في فريق توتي، لم يدم الحال كثيراً، فقد برز نجمه بصورة كبيرة، كانت الأندية تحاول أن تخطف هذا اللاعب المبدع، إلا أن جبادة الهلال كانت هي الفائزة بالطعم الكبير، وذلك بتاريخ ١٩٥٧م. وتدفقت شلالات الفرحفي القبيلة الزرقاء، وجماهير الهلال تعلم أن هذا الفتى المبدع هو سلواها.

أول مباراة له مع فريق الهلال هي المباراة التي لعبها ضد فريق الموردة، وكانت الموردة (بتلعب) حقاً وحقيقة. ومهمة الموردة فرملة (الهلاريخ) ولكن الهلال نجا من أنياب (القراقير) وانتهت المباراة تعادلية بهدف لكل. ثم تواصلت إبداعاته، أمام الردستار التشيكي ١٩٥٩م وفاز الهلال بهدفين. ثم واصل مشاركته في مباريات الدوري المحلي، وخاصة أمام فريق المريخ.

أما مع الفرق الأجنبية فقد كانت له مشاركات مميزة، مع فرق كثيرة منهاالردستار، سراييفو اليوغسلافين،
الردستار التشيكي، أيك السويدي، منتخب ألمانيا الديمقراطية، منتخب الشباب الروماني، القوات المسلحة العربية، منتخب غانا، إستاد أبيدجان العاجي، الأهلي، الزمالك.

حتى (ملوك السامبا) كان له معهم رأي، حيث لعب كما لم يلعب من قبل أمام فاسكوديجاما البرازيلي، وانتصر الهلال بهدفين مقابل هدف. وذلك عام ١٩٦٣م. وفيما بعد

كان شواطين لاعب الهلال يكتم أنفاس (شواطين) البرازيل، الملك بيلية، ويكتفى سانتوس بالفوز بهدف يتيم.

لعب لفريق الهلال سبعة عشر عاماً، وخاض معه أكثر من (١٦٠) مباراة. كما لعب للفريق القومي السوداني إحدى عشر عاماً، لعب معه نحو (٥٣) مباراة دولية. أما (الكابتنيه) فقد كان كابتن الهلال (قمر دورين في الأرض واتدلا) وكابتن السودان (الحب علاني وسماه ظلاني)

تم اختياره لمنتخب النجوم العرب وذلك عام ١٩٦٥م، حيث لعب المنتخب أمام الإسماعيلي المصري، وفاز النجوم ٥/١، كانت (الدراويش) في ذلك اليوم تعرض خارج الحلبة، أما (شيخنا) أمين، فقد كان صاحب (القدلة) وأطلق عليه لقب (نجم النجوم العرب).
وله محطة احترافية خارجية، حيث لعب لفريق الأهلي المصري (فريق القرن) عام ١٩٧١م، ولمدة موسم واحد.
وتقدم بخطاب شطبه بنفسه، حتى يتيح الفرصة لغيره عام ١٩٧٤م

الآن ننتقل إلى الإنجاز الوحيد لكرة القدم السودانية، وهو فوزها ببطولة أمم إفريقيا عام ١٩٧٠م في نسختها السابعة، وقد كان أمين زكي هو كابتن المنتخب الذي رفع كأس إفريقيا عالياً. والبطولة بها ثمانية منتخبات، وقد قسمت إلى مجموعتين، فالمجموعة الثانية تضم، الكونغو كينشاسا وغانا وغينيا والجمهورية العربية المتحدة (مصر). فهي (مشفرة) وليس هنالك طريق لها، وتأهل منها فريق مصر أولاً وغانا ثانياً.

أما مجموعة الموت، وهي المجموعة الأولى، ولم تكن أثيوبيا هي نفسها، ذات الهضاب العالية، ولكنها فقدت بريقها كثيراً أمام السودان، لأنها تركت تلك الهضاب التي كانت (تتمترس) بها خلفها، فقد انهزمت أمام السودان بثلاثية نظيفة. أما صقور السودان نفسها فقد فقدت مخالبها أمام الأفيال العاجية، والتي كانت (تدوس) في كل الاتجاهات، ولم تستطع الصقور التحليق عالياً، وانهزمت بهدف يتيم، ثم كانت أم الملاحم (ومن يضحك أخيراً يضحك كثيراً) منتخب الأسود الكاميروني، عفواً (الترويض) واجب وطني، نحن اتينا من أجل الكاس، وكان إنتصار السودان بهدفين لهدف.

ثم ماذا؟ تساوت ثلاثة فرق النقاط، وكانت الأهداف كافية للفصل بينهما، حيث صعدت ساحل العاج أولاً، والسودان ثانياً، وخرجت الكاميرون بفارق الأهداف، أما اثيوبيا فقد ركبت (التونسية) باكراً.

ثم كانت مبارة (كلاسيكو) وادي النيل، للوصول للنهائي، كان رفاق حافظ (الأسد) قد بددوا أحلام عبدالناصر، في الوحدة العربية، اما (الإسيد) فقد (تم الناقصة) ولم يكن هو فى ذلك اليوم شبلاً، ولكنه كان (ضَرْغَاماً) فقد انتصر السودان بهدفين لهدف وصعد للنهائي
أما مبارة المركز الثالث فقد فازت به مصر، بعد فوزها على ساحل العاج بثلاثة أهداف لهدف.

ونأتي الآن إلى الحلم، لم يحتاج حسبو الصغير لأكثر من إثنى عشرة دقيقة، حتى يعلن وجود السودان في المحافل الدولية، لم يكن حسبو في ذلك اليوم صغيراً، ولكن (الكبير كبير) فقد أحرز هدف التتويج في غانا في المبارة النهائية لأمم إفريقيا، وفاز السودان بالكأس، فقد كانت الخرطوم في ذلك اليوم (غير) واختلط الحابل بالنابل، وتدفقت الجماهير فى الشوارع.

عندما جاء العام ١٩٧٤م (ترجَّل) نجم النجوم، حتى يفسح المجال لغيره، واتجه نحو التدريب.

وله عدد كبير من المؤهلات التدريبية، نذكر منها، كورس التدريب بإنجلترا، كورس الإتحاد الإفريقي بغانا، كورس الإتحاد الدولي بالقاهرة، ومحاضراً بالإتحاد الإفريقي، كورس تدريب الناشئين بتونس، كورس كبير المدربين.

أشرف على تدريب فريق الهلال والفريق القومي السوداني وعدد من الأندية المختلفة ساهم في مجالات التدريب بعدد من الدول الخارجية.

عمل في مجال التعليق والتحليل الرياضي بالإذاعة والتلفزيون والنقد بالصحف.

ذهب إلى مدينة القاهرة في رحلة علاجية، إلا أنه وافته المنيه هناك في يوم ٥ يوليو ٢٠١٩.

٩٥ - سامي عزالدين

هنالك مدينة مدني الخضرة والجمال والنضارة، وحين ما تكون نجومها صافية تكون هنالك لوحة ربانية ساحرة، ثم ترى النجوم توصص لنا، كأن بيننا وبينها سحراً خاصاً، ومن هذه النجوم نجم لا يشق له غبار، دخل هذه الدينا بهدوء.

هو اللاعب البارز بنادي المريخ سامي عزالدين، تاريخ الميلاد بمدينة مدني في بداية الستينيات من القرن المنصرم، هنالك ود عجيب بين مدني وكرة القدم، حيث بها أفذاذ اللاعبين السودانيين، وعلى سبيل المثال الفاضل سانتو، لاعب المريخ العاصمي والنصر الإماراتي، وعمر النور لاعب التحرير البحراوي والزمالك المصري، خضر الكوري لاعب الهلال والريان القطري، وشقيقه فيصل الكوري لاعب المريخ والتعاون السعودي، وعدد آخر لا يتسع المجال لذكرهم.

ومن عجائب الأمر أن سامي برز كحارس مرمى، وهنالك بالقرب من مرماه لافتة مكتوب عليها ممنوع الإقتراب، أما التصوير فلا بأس به، حيث لعب لفريق سانتوس ثم فريق التضامن، وفي إحدى المباريات له مع فريق التضامن ترك اللافته المذكورة تحرس له المرمى، واندفع بالكرة، ولم يجد نفسه إلا وبالقرب من المرمى الآخر، ومرر الكورة إلى زميله، والذى أحرز منها هدف، من الآن فصاعداً دع خشبات المرمى الثلاث، وأقبل على أيّ وظيفة داخل الملعب.

نأتي إلى العام ١٩٧٦م هنالك الدورة المدرسية، بها إبداعات الطلاب التي ليس لها حدود، كان هؤلاء اليافعون حينما يدخلون هذه المسارح، تنزاح الستارة من تلقاء نفسها احتراماً لهم، أما البساط الذي كانوا يسيرون عليه فقد ظهر السرور والبشر عليه. ولكن ندع هذه المسارح، ونقبل على مسارح أخرى، وهي تلك الميادين الخضراء، هنالك مدرسة الهوارة الثانويه بنين تخرج من انتصار إلى انتصار، تألق سامي في هذه الدورة بصورة ملفتة للأنظار، وكل الأندية تنصب شراكها لإصطياده. ظفر نادي المريخ به، وتم تسجيله فى العام ١٩٧٧م.

منذ أن حط على سطح هذا الكوكب وهو في التشكيلة الأساسية، وأول أهدافه الرسمية في الدوري المحلي ضد فريق ودنوباوي، وفاز المريخ بخمسة نظيفة، وأحرز فيها هدف، أما في كأس السودان هنالك مبارة في (فاشر السلطان) ضد مريخها، وفاز الأب على الابن بهدفين، والهدفان من نصيبه.

حيث لعب ضد الهلال في مدينة جوبا، بمناسبة افتتاح جامعتها، وقد أحرز هدف المريخ في آخر دقيقة، مما جعل الهتاف المحبب لجمهور المريخ (باقي دقيقة سامي بجيبا).

هذه الأهداف التي شهدناها هي أهداف محلية لم ننصب لها شاشة عرض، أما الآن فلدينا أهداف دولية، وسوف ننصب لها شاشة عرض كبيرة، ولتكن تلك الشاشة داخل القمر

(ديموس) إحدى الاقمار داخل كوكب المريخ، ولتكن الشاشة بالقرب من المركب (مارس إكسبريس) حتى نستمتع برحلتنا للكوكب الأحمر أكثر وأكثر. وقبل أن نعرض الأهداف نقول أن التميز الذى ظهر به سامي يعود إلى روح الفريق، ومعه لاعبون أفذاذ قل أن يجود الزمان بمثلهم، مثل دكتور الكورة السودانية كمال عبدالوهاب وحموري الصغير والأسطورة بشارة عبدالنضيف، مدرب المراحل السنية بنادي النصر الإماراتي وغيرهم.

أحرز هدفاً من الأهداف الرائعة في مباريات المريخ ضد سلافا التشيكي، وأحرز هدف الفوز في المباراة الأولى، وهدف التعادل في المباراة الثانية. ولكن فى تلك اللحظة أتت عاصفة حمراء، أوقفت شاشة العرض، ولم نتمكن من الإستمتاع بإعادة الأهداف، وهو كابتن لمنتخب الخرطوم، وقد لعب هذا المنتخب أمام فريق ليفربول الإنجليزي بالخرطوم، وانتهت المباراة بالتعادل ١/١.

ندع حركة الأرجل قليلاً، ونقبل على تلك الأيادي الجميلة، ولكن لا تتخيلوا أن هنالك (رمية التماس) يريد أن يرميها، إنما كان له شرف حمل عدد من الكأسات المحمولة جواً لنادي المريخ، مثل كأس سيكافا الأول ١٩٨٦م وكأس الكؤوس الإفريقية (ماناديلا) عام ١٩٨٩م وكأس دبي الذهبي عام ١٩٨٧م اعتزل اللعب في العام ١٩٩٠م. كما كان متصدر استفتاء برنامج القدوة الرياضية، واستحق لقب (قدوة الملاعب السودانية).

بعد ذلك اتجه إلى مجال آخر، وهو مجال التدريب، حيث أنه نال كورسات تأهيلية، وعمل مساعداً لمدرب المريخ الألماني هورست، درّب عدداً من الأندية مثل الخرطوم ثلاثة (الخرطوم الوطني حاليا) وأهلي مدني وغيرها.

هنالك مدينة القاهرة، ترتفع فيها المآذن إلى عنان السماء، وفريق المريخ يقيم معسكره الإعدادي، ومدرب المريخهو برانكو فقد كان معجباً بسامي، واختاره مساعداً له، ولكن الإعجاب لم يستمر كثيراً. بتاريخ ٧ فبراير ٢٠٠٥ خرج سامي في جولة تسوق في مدينة القاهرة، ولكنه اسلم الروح إلى بارئ السماوات والأرض.

٩٦ - محمد الحسن سالم حِمَيّد

مدينة نوري بالولاية الشمالية، جبل البركل ينتصب بالقرب منها، تنظر إليه، وهو كذلك يبادلها الغرام، محمد الحسن سالم حِمَيّد، إسم شامخ كشموخ ذلك الجبل.

من عجائب الأمر، أن شاعرنا ولد والإنجليز توضع لهم أختام الخروج النهائية من السودان، أما هو فقد تمدد في كل أنحاء الوطن، تلقى تعليمه الأولي والأوسط بمدينة نوري، والثانوي بمدرسة عطبرة الشعبية الثانوية. وعلى ذكر عطبرة، حتى لا أنسى ياحِمَيّد، عطبرة هي (الصحوة والعفة كاسياني) تاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٥٥م هو تاريخ استقلال السودان من داخل البرلمان، أما تاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠١٨م هو تاريخ استقلال السودان من (الطوفان).

حكومات تجي
وحكومات تغور
تحكم بالحجي
بالدجل الكجور
كانت عطبرة في (بث مباشر) وهي تهتف

(لا درادر .. لا عساكر .. لا مظاليم لا مظالم) ثم استلفت منها مدن السودان (جذوة نار) ثم اشتعل السودان، ليتك كنت معهم ياحِمَيّد في القيادة حين (صبوها) وتدفقت شلالات الفرح في جميع أنحاء السودان.

ثم عمل شاعرنا في هيئة الموانئ البحرية وذلك بين أعوام ١٩٧٨ - ١٩٩٢م حيث عمل متنقلاً بين الخرطوم وبورتسودان. كان هنالك صراع بينه وبين رؤساءه في العمل، إلى أن تم فصله منه بعد محاكمة صورية.

حِمَيّد، دعني أحكي لك: زوار الفجر، هل تصدقني، الصبح يحاول أن (ينسل) أما (هؤلاء) فقد قتلوا فينا كل القيم الجميلة، كان دبيب الظلمة ينزاح، والشمس تخرج بسرعة، حتى تفضح كل شيء، أما النيل فقد اشترك هو الآخر مع الشمس في فضح تلك المجزرة، رفض النيل رفضاً باتاً قانون الطفو لأرخميدس، لماذا فعلت هذا يا ....؟ هل تصدق يا حِمَيّد، بعد أن تم قتلهم، تم ربط الجثامين (بالبلك) حتى تختفي آثار الجريمة!! شكرا لك أيها النيل، فقد (كفيت ووفيت) حتى الطير كان له رأي (والطير ما نضم .... ما رسل نغم)

ماذا أرى؟ شبح روح هنالك، إنها تنتزع البسمة، أرهق لي اذنك...

وغداً نعود
حتماً نعود
للقرية الغناء للكوخ الموشح بالورود
تزغرد الجارات
والأطفال ترقص والصغار

والنخل والصفصاف
والسيال زاهية الثمار
وسنابل القمح المنور في الحقول وفي الديار
لا لن نحيد عن الكفاح
وتعود أنغام الصبـــاح

لعلك يا محيي الدين فارس شاعر النضال كنت تستمع لما أحدث به حِمَيّد، ثم خرجت لنا بهذه المشاركة، حتى الأديب العالمي، شارك معنا " الخرطوم ....تنام منذ العاشرة، تنام باكية في ثيابها البالية، لا حركة في الطرقات...لا فرحٌ في القلوب. لا ضحك في الحناجر. لا ماء، لا خُبز، لاسُكّر، لا بنزين، لا دواء، الأمن مستتب كما يهدأ الموتى " الطيب صالح، أديب له مذاق خاص.

يعتبر حِمَيّد أحد رواد الشعر الحديث، وله تأثير كبير في طبقات الشعب المختلفة "من بين المسهوكين في الارض من (الغبش) الفلاحين في الشمال إلى المدعوكين في اتون الورش الحديدية من العمال في اتبرا"

عرف بشاعر الوطن، وله كتابات نضالية كما صادم كل الحكومات التي تعاقبت على حكم السودان.

له قصائد متداوله مثل الرياح التي تحمل السحاب، فينتفع بها الكل "خرجت مثلما يخرج الماء إلى اليابسة، والاطفال الغبش إلى لعب الشوارع ... ومن أشرطة الكاسيت البالية والمشروخة والمجروحة بنباح كلاب الحلة وصياح ديوكها وحفيف الأشجار بفعل هبوب السحر"

ولشاعرنا عدة دواوين هي: ارضاً سلاح، ست الدار، مجموعة نورا، مصابيح السما التامنة، وطشيش.

وله ثنائية رائعة مع المبدع الأستاذ الفنان مصطفي سيد أحمد فقد تغنى له بمجموعة من القصائد منها طيبة، نورا، عم عبد الرحيم، جهجة التساب والضو.

صحى الموت سلام
ما يغشاك شر

لم يخرج القطار من قضيبه أبداً، وكذلك النهر يتجه نحو الشمال، "لوطن البنفسج". أين يغشاك شر، وجموع الشعب كلها تحبك. كانت وفاته بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٠ وذلك إثر حادث مروري بطريق شريان الشمال.

٩٧ - مصطفى سيد أحمد

ولاية الجزيرة المعطاءه، تنتج الذهب الأبيض، وفوق ذلك تنتج ذهباً آخر، في حنجرة تعمل ما تريد، لا نبارح مدينة الحصاحيصا كثيراً، ولكن نتمشى قليلاً حتى نصل إلى (ما نهواه) إلى ود سلفاب، حيث كل الأفئدة معلقة بذلك المطرب.

ندلف إلى العام ١٩٥٣م عُقدت في هذا العام الإتفاقية المشهورة مع الأحزاب السياسية السودانية، فقد قامت ثورة ٢٣ يوليو بقيادة الضباط الأحرار في مصر، وعقدت هذه الإتفاقية في مصر، كانت هذه الثورة حدثاً هز المنطقة العربية، ولكن ندع الشقيقة مصر، ونرجع إلى السودان الحبيب، هنالك في ودسلفاب في نفس العام خرج إلى الوجود مصطفى سيد أحمد المقبول مختار.

كان وهو يافع يدندن بالغناء، وشقيقه المقبول كل شيء في حياته، كان المقبول يكتب الشعر، ويجيد الغناء، وتنبأ المقبول بأن مصطفى سيصير مثله بل أفضل منه.

ندلف الآن إلى العام ١٩٦٥م نسترق السمع وندخل بخفية ونرى، إنه زواج بسيط في قرية (العيكورة) كان المغني يغني، أرهف مصطفى جميع حواسه واستلف أخرى، حتى يستطيع أن يصيب منها بعض الكلمات واللحن، وقد ميز منها "الفريق أصبح خلا.. جاني الخبر جاني البلا.." أحضر أخيه على عجل، وضع كل (الإحداثيات) أمامه، كان اللحن به عاطفة غير طبيعية، فك المقبول طلاسم الحدث، وأخرج قصيدة (السمحة قالو مرَّحله). ومن قبله كان المبدع عثمان خالد يتغنى في نفس الإطار.

حليلو قال سايب البلد
حليلو كيفن يبتعد
كيفن نسيبو يروح بعيد
فى رحلة مجهولة الأمد
كل العمر كان لحظة واحدة نشوفو والشوق يتقد
نسكر نغيب ..من لطفو..من دلو الحبيب
من لونو من كرز المغيب.

أما المقبول فقد ترك الدنيا وما فيها عام ١٩٧٠م.

ثم بعد ذلك نخرج معه في جولة تعليمية، قبل أن تأسرنا آلة الكمان بسحرها، حيث درس الأولية والمتوسطة في المدارس الصناعية، وكان ناجحاً فيها، حيث جاء ثاني السودان على مستوى الشهادة الفنية، إلا أنه هجر التعليم الفني، واتجه نحو التعليم الاكاديمي، حيث التحق بمدرسة (بورتسودان الثانوية) ومنها اتجه لمعهد إعداد المعلمين بأم درمان، حيث تخرج فيه، وأصبح مدرساً بالمدارس الثانوية العامة.

كان همه تطوير موهبته الفنية، حيث هجر حجرات الدراسة ولوح الطباشير وكراسات التحضير واتجه إلى هم آخر، حيث التحق بمعهد الموسيقى والمسرح، وأكمل خمس سنوات بقسم الموسيقى، وعمل فترة مصمماً للأقمشة بمصنع النسيج ببحري.

كان مجدداً بحق وحقيقة، فالألحان التي تغنى بها من السهل الممتنع، أما نصوصه فقد كانت منتقاة بعناية.

غنى لعدد كبير من الشعراء منهم عبد القادر الكتيابي، حافظ عباس، محمد الحسن سالم حميد، أزهري محمد علي، العميري، يحيى فضل الله، قاسم ابو زيد وصلاح حاج سعيد.

كما غنى مئات الأغاني منها: عم عبد الرحيم، لمحتك، الطيور، يا مطر، يا ضلنا، وضاحة، الممشى العريض، مريم الاخرى، إستلاب، ادفقي والحزن النبيل.

وبعد، فلكل بداية نهاية.

وحملت روحي في فؤاد نازف
ما زال يحمل نصفه مشلولاً
وخلعت أثواب الحداد أما كفى
إذ صار قلبك في الهوى ضليلا

أنت أيها المبدع قد خلعت أثواب الحداد، أما الشعب السوداني، فقد توشّح بتلك الأعلام حداداً عليك، كان هذا المرض اللعين المسمى بالفشل الكلوى قد لازمه مدة طويلة، حوالى خمسة عشرة عاماً. ففى أواخر الثمانينات أجريت له عملية زراعة كلى بروسيا، ولكنه انتكس في عام ١٩٩٣م بالقاهرة ثم ذهب للعلاج بالدوحة، واصبح يباشر عملية الغسيل الكلوي ثلاث مرات في الإسبوع، ثم كانت الفاجعة المرة، الأمر الذي لابد منه، وكانت الوفاة يوم ١٧ يناير ١٩٩٦م وكان استقبال جثمانه في مطار الخرطوم حدثاً فوق العاده، حيث دفن في المنبع.

٩٨ - محمود عبدالعزيز

كنت في مشوار في مدينة أمدرمان، كان الشارع الذي من المفترض أن أمر به هو شارع العرضة، والوقت ليلاً، حانت مني إلتفاتة وبدون أن اشعر إلى إستاد المريخ، في الإستاد كتل بشرية ليس لها حدود، تخيلت بان الإتحاد الأوروبي لكرة القدم قد نقل نهائي الأبطال الأوربي إلى إستاد المريخ، ولكن عاد نور الذاكرة يتوقد بسرعة، نعم إنه (الحوت) هنالك.

ولد الفنان الشهير محمود عبد العزيز محمد علي بن عون الشهير بـ(الحوت) عام ١٩٦٧م بالخرطوم بحري، في حي المزاد الشهير، والذي يزيد ولا ينقص بترعرع محمود فيه، وصرخته الأولى فيه، ولعلها صرخة فنية فيها نوع من الإبداع، وأسرته أسرة بسيطة بساطة الحياة التى كانت تسير بسيرها الطبيعي، ثم بعد ذلك دخل مدرسة الحرية الإبتدائية، وذلك حوالي عام ١٩٧٥م وفي هذه الفترة شهدت نمو موهبته في التمثيل والغناء.

نلتفت يميناً وشمالاً، ونخرج بصورة فنية من الرقيب، حتى نتمكن من الدخول لمبنى التلفزيون القومي، شارك وهو يافع فى برنامج الأطفال، حيث شارك في مسرحية (أمي العزيزة) كل الأنظار تتجه إلى (الفات الكبار والقدرو) ثم بعد ذلك، وهو في التاسعة من عمره، صعد سلالم المسرح في معتمدية بحري، ليغني فيه، وجد صعوبة كبيرة في تسلق هذه الدرجات، ولكن بعد هذه الدرجات لم يكن هنالك شيء صعب عليه في حياته، حيث نال جائزة المعتمد.

كان فى العام ١٩٧٥م (القائد الملهم) يقبض على السلطة بيدٍ من حديد، وهو مغرم كثيراً بالألقاب، حيث شارك محمود في حفل الكشافة البحرية، كان (الكشاف الأعظم) هنالك يوزع الإبتسامات والهدايا ميمنة وميسرة، أعجب به نميري كثيراً، على الرغم من أنه (لا يعجبه العجب ولا الصيام فى رجب)، وقلده نميري وشاح (الكشاف الأصغر) صفق الجمهور لمحمود كثيراً، وحينما أنفض سامر الحفل، وذهب هؤلاء الجمهور إلى منازلهم، وجدوا أن أياديهم قد تورمت كثيراً بفعل هذا التصفيق، ويحمد لله كثيراً أنه لم يكن بالقرب منهم (سكيناً) ولو حدث هذا، لكان حصل ما لا تحمد عقباه.

ثم التحق محمود بالمدرسة الأنجيلية المصرية بالخرطوم، وقصر الشباب والأطفال بأم درمان، قسم الدراما، وقرر محمود أن يصبح فناناً، فكانت الإنطلاقة الكبرى له بمركز شباب بحري، وهنالك التقى بشخصيات فنية كثيرة أضاءت له طريقه، ولكن لا ننسى الهرم المبدع صلاح ابن البادية، كان هذا حينما يصدح كان كل شيء صم يتجاوب معه، وأعجب صلاح بصوت محمود، وقدم له النصح والإرشاد، واستمر في الفترة مابين ١٩٨٨م حتى عام ١٩٩٤م يغني في الحفلات العامة.

منذ العام ١٩٩٤م دخل نطاق العالمية، كان مثل المغني الشهير فى العصر الاموي معبد بن وهب، فقد قال: " والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر المتكئ أن يترنم بها حتى يقعد

مستوفزاً، ولا القاعد حتى يقوم" حيث كانت هنالك شركة (حصاد ألبوم) تسجل له أعماله حيث أصدرت له (خلي بالك) ثم في عام ١٩٩٥م أصدرت له شركة البدوي ألبوم (يا عمر) ثم في نفس العام، كانت هنالك روسيا تخرج من جراحات (التشرذم) وتلملم أطرافها، فقد سجلت له في موسكو (سكت الرباب) حيث أشاد به الخبراء الروس، وقالوا إنه صوت نادر في العالم، وأنه يمتلك حنجرة مثل الآلة، يمكن أن تنتقل لأي درجة صوتية بكل سهولة.

قد نجد صعوبة كبيرة في تتبع تلك (الألبومات) وذكرها بالتفصيل، فالمساحة ضيقة فليعذرنا أحبابنا (الحواتة) في المرور عليها سريعاً، حيث أصدرت له شركة البدوي عام ١٩٩٦م ألبوم (سيب عنادك) ثم (جواب للبلد) بمشاركة الفنانة حنان بلوبلو، وبعد عام أصدرت له نفس الشركة ألبوم (يامدهشة) ثم ألبوم (في بالي) ثم أصدرت له شركة السناري ألبوم (يا مفرحة).

ثم في عام ١٩٩٨م أصدرت له شركة البدوي ألبوم (لهيب الشوق) وهذا الألبوم أثار ضجة. وهناك أحد موديلات البوكس سميّ بلهيب الشوق، بعده بعام أصدرت له نفس الشركة ألبوم (زمني الخائن) وشارك معه الفنان جمال فرفور ثم ألبوم (الحجل بالرجل)

ومع بداية الألفية الجديدة تتابعت الإلبومات له، كانه يعلم بان هذا العمر هارب منه (ماتشيلي هم، على النجيلة، نور العيون، برتاح ليك، قائد الأسطول، عاش من شافك، أكتبي، عامل كيف، شايل جراح، عدت سنة، القطار المر، خوف الوجع، مرت الأيام، ساب البلد، أتفضلي، الحنين، يا زول ياطيب).

والأغاني التي تغنى بها محمود(٢٠٥) أغنية والخاصة (١٢٥) أغنية وله (٥٠) أغنية مسجلة في التلفزيون.

ويعتبر محمود فنان الشباب الأول وأسطورة زمانه.

إمتاز محمود بالأدب الجم، والتواضع الشديد، وعاش إنساناً بسيطاً، حيث لم يتأثر بالنجومية، وإمتاز بكرمه ومساعدته للمحتاجين والأيتام.

فقدت ليالي الشوق نجيماً زين صفاها وآنسا

أحبابي كيف سائلين عليك

قالوا الرباب ياناس قسى

خلانا لي نار القسى،

وا خوفي من طول الطريق

أمشيهو كيف بين المغارب والمساء

سكت الرباب، سكت الرباب

نكست الأعلام، وأرتفعت الرايات السوداء، وتوقفت القلوب عن الخفقان، ولو لبضع ثوانٍ، وذلك يوم الخميس ١٧ يناير من عام ٢٠١٣م حيث انتقل محمود إلى رحمة مولاه، حيث كان في رحلة علاجية في الأردن، وحينما وصل الجثمان إستقبله الآلاف المؤلفة من

جموع الشعب، ثم سارت جموع المشيعين إلى مقابر الخرطوم بحري في ظاهرة قد لا تتكرر كثيراً.

٩٩ - محمد سيد حاج

إذا كنت في رحلة مهمة من الخرطوم إلى بورتسودان بالبص السياحي، أو قل مدني، حتى لا نطيل عليك الرحلة، وكانت الهموم وشواغل الدنيا تضعك داخل هذا المقعد الوثير جسداً بلا روح، وفجأة أتت اليك إلتفاتة إلى كبانية القيادة، وحلقت في الجهاز الموضوع أعلى، وجدت صورة وصوت هذا الشيخ ينساب بتحنان ومودة، يتحدث حديث العالم بالبواطن، ثم سرت في جسمك أنوار الإيمان والتقوى، وتمنيت لو أن كتابتي الأولى هي الحقيقة، وأن الرحلة إلى بورتسودان.

هو الشيخ محمد سيد محمد حاج، ويكنى بأبي جعفر ولد في ١٩٧٢م في مدينة حلفا الجديدة، القرية ١٢ أشكيت ولاية كسلا، وهو حلفاوي أباً وأماً، هنالك خط مستقيم يربط ما بين حلفا والحاج يوسف في بحري، والشيخ يسلك هذا الخط المستقيم للترحال بينهما، ثم يسلك نفس الخط المستقيم في التوجه للواحد الأحد الفرد الصمد، وبدايات الخط المستقيم تبدأ من الحاج يوسف، حيث أخذه والده إلى خلوة لتحفيظ القرآن الكريم، ثم المدرسة الإبتدائية بالحاج يوسف شرق، حيث أثر فيه الأستاذ عبد الحي كوبيل في العقيدة، وشجعه على إقامة الصلاة في أوقاتها، ثم يمتد الخط المستقيم كإستقامة صاحبه إلى المدرسة الأميرية المتوسطة بحلفا الجديدة، ثم مدرسة الطبري الثانوية بحلفا الجديدة.

هنالك محطة مهمة في تاريخ حياته، وفي أثناء الدراسة، وهي اللقاء الذي تم بينه وبين الشيخ عبد الرحمن أبو زيد محمد حمزة، سبط القيادي الشهير بجماعة أنصار السنة المحمدية، حيث له أثر كبير في إنضمام الشيخ لجماعة أنصار السنة المحمدية.

واصل الشيخ مسيرة التعليم الجامعي، والتحق بكلية الشريعة جامعة أمدرمان الإسلامية، وله نشاط داخل أسوار الجامعة، كان الهواء الطلق يحمل الصوت بعيداً فينتفع به الخلق، ويرد بعلم ودراية على الأحزاب العلمانية، وأصحاب المدارس التجديدية.

تخرج من الجامعة عام ١٩٩٨م. كان يعد لمناقشة بحثه فيما بعد، والذي بعنوان (إنفرادات إبن تيمية الفقهية عن الأئمة الأربعة) ولكن المنية وافته قبل منحه الدرجة العلمية.

ملأ انحاء السودان علماً وأدباً وذوقاً، وله قوة في كلماته، وجزالة في ألفاظه، وتناسق في عباراته.

لم يكن هذا المصباح يضئ، لو لم يجد هؤلاء المشائخ الذين تعلم عليهم، وبالإضافه إلى الشيخين الوارد ذكرهما، نجد آخرون وعلى سبيل المثال، الشيخ محمد عبد الله الحاج، الشيخ أبو زيد محمد حمزة، الشيخ محمد هاشم الهدية، الشيخ عثمان محمد عثمان، الشيخ عثمان ميرغني، أول بداية له في نشاطه الدعوي، وهو شاب لم يبلغ الرابعة عشرة من عمره، كان

منتصب القوام، وتخرج الكلمات منه كأنها شهد صافي، حيث بدأ واعظاً في الصف الثاني المتوسط.

في عام ١٩٩٠م كان يتحدث في مسجد القرية بعد صلاة المغرب، ثم خطب أول جمعة له في نفس المسجد، ثم خطب في مسجد السوق بمدينة حلفا.

مثل شجرة ظليلة مثمرة ينتفع بثمارها الكل داخلياً وخارجياً، ولذلك شارك في عدد من المؤتمرات والندوات العالمية، أبرزها، برنامج رمضان التابع لوزارة الأوقاف بدولة قطر، ملتقى دعوي بدولة أندونيسيا، شارك في التدريس في الدورة العلمية بالكاميرون وغيرها، كما له أنشطته الدعوية كثيرة داخلياً.

هنالك عدد من المناصب التي يشغلها الشيخ منها، عضو المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية بالسودان، مساعد الأمين العام للشئون الخارجية لهيئة علماء السودان، عضو المجلس الإستشاري لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالسودان، وإمام وخطيب مسجد المؤمنين بحي الصافية حتى قبيل وفاته.

من أهم مؤلفاته الحروب الصليبية بين الأمس واليوم، فقه الإئتلاف، لماذا لا ألتزم؟ حكم الإحتفال بالمولد النبوي، الحسبة مسؤولية الجميع ورمضان فضائل وآداب وأحكام.

كان الخيط المستقيم يمتد من الحاج يوسف إلى الشرق، ولكن إنقطع هذا الخيط، هنالك مدينة تبعد سبعون كيلو من القضارف، والتاريخ هو ٢٤ أبريل ٢٠١٠م كان أهالي دوكة في ترقب الأيام والليالي، حينما علموا بأن الشيخ سوف يأتي لهم لإعطائهم محاضرة بعد صلاة الظهر، تحرك ركب الشيخ براً، هنالك في منطقة القدمبلية قبل وصوله مدينة القضارف، لماذا كثر حرف القاف؟ ولكن في قلب الشيخ (قاف) "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ" حدث حادث حركة للشيخ ظهراً، ونقل إلى مستشفى القضارف، وقد تعرض إلى نزيف داخلي، ليلاً أسلم الروح إلى فاطر السماوات والأرض، نقل جثمانه على متن مروحية خصصتها له رئاسة الجمهورية، ليدفن بالخرطوم، وحضر مراسم الدفن خلق كثير، وقطاعات الدولة بقيادة المشير البشير، ودفن في مقابر شمبات.

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم، حسن أحمد: تاريخ السودان ١٨٢١ - ١٨٥٦م.

إبراهيم، عبدالله علي: ربيع ثورة إكتوبر.

أبوالخير، عبدالله مرداد: نشر النور والزهر، في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر.

ابن ضيف الله: كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان.

أبوسليم، محمد إبراهيم: الحركة الفكرية في المهدية.

أبوسليم، محمد إبراهيم: بحوث في تاريخ السودان.

أبوسليم، محمد إبراهيم: منشورات المهدية.

أبوشامة، عبدالمحمود: من أبا إلى تسلهاي.

أبوشوك، أحمد إبراهيم: غلام الله بن عائد، وأثاره في السودان.

أحمد الطيب، عبدالمحمود نورالدائم: أزاهير الرياض.

أحمد الطيب، عبدالمحمود نورالدائم: الكؤوس المترعة في مناقب السادة الاربعة.

أحمد الطيب، عبدالمحمود نورالدائم: شرح الحكم الطيبية.

إسماعيل، عزالدين: الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري.

الازهرى ،أحمد: خلاصة الاقتباس في اتصال نسبنا بالعباس، مخطوطه بدار الوثائق السودانية.

الإمام، نزار عبدالعال: الشيخ العبيد ود بدر في مذكرات الجنرال غردون.

البادي، صديق: من رواد التعليم.

البدوي، أحمد محمد: التجاني يوسف بشير لوحة واطار.

البوني، عبداللطيف: تجربة نميري الإسلامية ١٩٦٩ - ١٩٨٥م.

الجزولي، حسن: عنف البادية.

السيد، ناصر: تاريخ السياسة والتعليم في السودان.

الطيب، عزام أبوبكر علي: العلاقة بين الخليفة عبدالله وقبائل السودان.

العباسي، محمد سعيد: ديوان العباسي.

القرشي، ابراهيم: الشريف محمد الأمين الهندي: قطب القرآن وخاتمة المحققين.

الكردفاني، عبدالقادر: سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي.

المبارك، موسي: تاريخ دارفور السياسي

المحجوب، محمد أحمد: الحركة الفكرية في السودان إلى أين تتجه.

المحجوب، محمد أحمد: الحكومة المحلية.

المحجوب، محمد أحمد: الديمقراطية في الميزان.
المقدم، محمد إسماعيل: المهدي وقضية المهدية.
المهدي، الصادق الصديق: يسألونك عن المهدية.
المهدي، عبدالرحمن: مذكرات عبدالرحمن المهدي.
الميرغني، محمد عثمان: النفحات المكية، واللمحات الحقية، فى شرح أساس الطريقة الختمية.
النصيح، أحمد بن إدريس محمد: الإبانه النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية.
باشري، محجوب عمر: رواد الفكر السوداني.
بدري، بابكر: تاريخ حياتي.
بدري، حاجة كاشف: الحركة النسائية في السودان.
بدري، يوسف: قدر جيل، مزكرات العميد يوسف بدري.
بنك المعلومات السوداني: تاريخ الإنتخابات البرلمانية في السودان
ثابت، محمد خالد: سلطان القلوب، الشيخ عبدالرحيم البرعي.
ثيوبولد: المهدية، تاريخ السودان الإنجليزي المصري، ترجمة محمد المصطفى حسن عبد الكريم.
حامد، موسى عبدالله: استقلال السودان بين الواقعية والرومانسية.
حسين، عبد الله: السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، الجزء الأول.
جوزيف اورفالدر: عشر سنوات في الأسر في معسكر المهدي ١٨٨٢-١٨٩٢ مترجمة: عوض أحمد الضو.
جي. أ. ريد: أمراء المهدي، ترجمة وتلخيص : بدر الدين حامد الهاشمي.
خالد، منصور: السودان والنفق المظلم.
خالد، منصور: لاخير فينا أن لم نقلها.
خضر، وائل مبارك: أعظم عشرين شخصية سودانية في القرن العشرين
خير، أحمد: كفاح جيل.
رانقي، إبراهيم: أحمد بك أبوسن، تاريخ وحقائق.
رياض، هنري: التجاني شاعراً وناثراً.
زلفو، عصمت: الخليفة، السنوات الاولى، ١٨٤٦ ــ ١٨٨٥م
زلفو، عصمت: كرري، تحليل عسكري لمعركة كرري.
سامي، أحمد عبدالله: الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي.
سبدرات، عبدالباسط صالح: حكومات السودان، خمسون عاماً من التململ والقلق، رحلة التغيرات في الجهاز الاداري، ١٩٥٤ - ٢٠٠٤م.
سلاطين باشا: السيف والنار في السودان

سيدأحمد، عبدالله الشيخ: مهيره بنت عبود ذلك الشرف البازخ ١٧٨٠- ١٨٤٠م.
شبيكه، مكي: السودان عبر القرون.
شبيكه، مكي: شعوب وادي النيل، مصر والسودان في القرن التاسع عشر الميلادي.
شقير، نعوم: جغرافية وتاريخ السودان.
شلبي، عبدالودود: الإصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته.
صالح، أحمد محمد: مع الأحرار، ديوان شعر.
ضرار، ضرار صالح: تاريخ السودان الحديث.
ضو البيت، الصادق: تاريخ الجزيره أبا.
عابدين، عبدالمجيد: التجاني شاعر الجمال.
عابدين، عبدالمجيد: تاريخ الثقافة العربية فى السودان.
عبدالجليل، الشاطر بصيلي: معالم تاريخ سودان وادي النيل.
عبدالمحمود، عبدالمحمود الجيلي: الشيخ عبدالقادر الجيلي.
علي، محمد محمد: محاولات فى النقد.
عيسي، سعاد إبراهيم: الرائدات السودانيات.
فضل الله، التجاني: حى الموردة المنشا والرياده.
فوزي، إبراهيم: السودان بين يدي غردون وكتشنر.
فيصل، بابكر: عبيد حاج الأمين: رائد الوطنية السودانية.
قاسم، عون الشريف: موسوعة القبائل والأنساب السودانية.
قسومه، عمر علي: الخليفة عبدالله.
كامل، نفيسه: المراة السودانية بين الماضي والحاضر.
كشه، سليمان: اللواءالأبيض.
مالك، محمد محجوب: المقاومة الداخلية لحركة المهدية ١٨٨١ - ١٨٩٨م.
محمد أحمد، حسن مكي: الثقافة السنارية، المغزى والمضمون.
محمد خير، محمد أحمد حامد: الختمية: العقيدة والمنهج والتاريخ.
مدثر، محمد حجاز: جماع قيثارة النبوغ
مكي، بابكر حسن : الإمام والروليت.
ميرغني، حسام الدين: عثمان دقنة، مسيرته من الخلوة إلى الجلوة.
نجيله، حسن: ملامح من المجتمع السوداني.
ونستون تشرشل: حرب النهر
نور الدائم، هاشم عبد المحمود: ديوان شيخ هاشم.

أبشر، نفيسه عبدالقادر الحسن:((دور المرأه السودانيه فى الحركة الوطنية ١٨٩٨ – ١٩٥٦م)) (رسالة ماجستير)
إبراهيم، عبدالله محمود:تاريخ الطريقة الاسماعلية (رسالة دكتوراة).
الشيخ إدريس، عبدالقادر ((الشاعر السوداني إدريس جماع، حياته وشعره)) (رسالة دكتوراة)

بوابة إعلام، بوابة الإخوان المسلمون، بوابة الإسلام، بوابة الحرب، بوابة الحرية، بوابة السودان، بوابة السياسة، بوابة تاريخ افريقيا، بوابة تصوف، بوابة شيوعية، بوابة فنون، بوابة مصر، بوابة موسيقى.
منتديات أبناء السقاي، منتديات الختمية والميرغنية، منتديات القرير، منتديات الكلاكله، منتديات بري المحس، منتديات منطقة الجميعاب، منتديات وادي حلفا، منتدى أبناء الصليحاب العباسين، منتدى ابناء قبيلة الحباب بشرق السودن، منتدى التوثيق، منتدى الراى، منتدى الطريقة البدرية، منتدى الطريقة المكاشفية، منتدى سوداني، منتدى قبيلة الجعلين، منتدى نيالا.
الموسوعة العالمية للشعر العربي، موسوعة التوثيق الشامل، موسوعة السودان الرقمية.
موقع التجاني الماحي، موقع المريخ، موقع الهلال، موقع جماعة أنصار السنه، موقع محمد سيد حاج.
صحيفة قون الإلكترونية، مجلة نخبة السودان الإلكترونية.
صحف، اخر لحظه، الأحداث، الإنتباهه، البشاره، الرأي العام، السوداني، الصحيفة، الصدى، الصحافة، الصيحة، المجهر، الوفاق، اليوم التالي، حريات، قون.
إمام محمد إمام: ((بشير النفيدي من العصامية إلى المؤسسية)) الصحافة.
حيدر محمد علي: ((اللواء محمد طلعت فريد، وزير الإنجازات)) آخر لحظة.
خالد محمد فرح: ((ملامح من سيرة البطلة رابحه الكنانيه)) سودانايل.
رتشارد لوبان: ((دراسة في أنساب محس الوسط)) المجلة العالمية لدراسات التاريخ الإفريقي.
شوقي بدري: ((البطل المظلوم محمد نور سعد)) صحيفة الراكوبة.
عادل الشوية: ((أمير عبدالله خليل: التاريخ لم ينصف والدي، عبدالله خليل قراره كان صائبا في نوفمبر ١٩٥٨)) الرأي العام.
عبدالحميد أحمد: ((شذرات من سيرة الشيخ ياسين عمر الامام)) الصحافه.
عبدالله الشقليني: ((ضحوية مع الشاعر عبدالله محمد عمر البنا)) سودانيز اون لاين.
عبدالله الشيخ: ((هاشم العطا، "بالنّهار جاوَطا")) صحيفة التغيير السودانية.

عبدالله الفكي البشير ((حفية مأمون حسين شريف، ومضاءات وإضاءات في حياة الصحفي السوداني حسين شريف رائد الصحافة السودانية)) آخر لحظة.

عبدالله حنقة: ((الشيخ علي عبد الرحمن الضرير، كفاحه الوطني والدعوى)) آخر لحظة.

عرفات محمد عبدالله: ((سيادة الشريف يوسف الهندي)) مجلة النهضة السودانية.

عزمي عبدالرازق: ((تفاصيل الساعات الثماني الأخيرة في حياة الترابي)) اليوم التالي.

علوية مختار: ((مزار الحسن أبو جلابية قبلة أتباع الطريقة الختمية)) العربي الجديد.

علي طه مهدي العليقي: ((وجاء نوفمبر شهر الجنرالات)) السوداني.

مجذوب عيدروس ((قراءة في أوراق الشيخ علي عبد الرحمن)) سودانيز اون لاين.

محمد أدم الجدع: ((محمد نور سعد)) صحيفة الراكوبه.

محمد عبدالرحيم: ((عناية الشريف يوسف الهندي بتاريخ البلاد)) حضارة السودان، عن الرايه القطريه.

محمد قسم الله محمد إبراهيم:((المسكوت عنه فى الحياة السودانية)) صحيفة حريات.

مصطفى أبوأشرف ((عرفات محمد عبدالله الفجر ١٨٩٩ - ١٩٣٦م)) موسوعة التوثيق الشامل.

مصطفى عوض الله بشارة: ((عروس الرمال، الأبيض في وجدان الشُعراء)) الانتباهة.

لقاء مع الشاعر، محمد الحسن سالم حِمَيّد، صحيفة الوفاق.

الفهرس

بطاقة الكتاب ٢

إهداء ٣

شكر وتقدير ٤

مقدمة ٥

١ - عَمارة دُنقس ٧

٢ - عبد الله جمَّاع ٩

٣ - إبراهيم البولاد ١١

٤ - سليمان سولونق ١٣

٥ - أحمد بكر ١٥

٦ - أرباب العقائد ١٧

٧ - بادي أبوشلوخ ١٩

٨ - محمد أبولكيلك ٢١

٩ - يوسف أبو شرا ٢٣

١٠ - عبدالرحمن الرشيد ٢٥

١١- الطيب ود البشير ٢٧

١٢ - القرشي ود الزين ٢٩

١٣ - المَك نِمر ٣١

١٤ - مهيرة الشيخ عبود ٣٣

١٥ - آمنة الشيخ عبود ٣٥

١٦ - حاج الماحي محمد ٣٧

١٧ - أحمد عوض الكريم أبوسن ٣٩
١٨ - إسماعيل الولي ٤١
١٩ - محمد المجذوب قمر الدين ٤٣
٢٠ - العبيد ود بدر ٤٥
٢١ - الحسن الميرغني ٤٧
٢٢ - آدم بك العريفي ٤٩
٢٣ - الزبير باشا رحمة ٥١
٢٤ - محمد أحمد المهدي ٥٣
٢٥ - الخليفه عبدالله التعايشي ٥٦
٢٦ - عبدالرحمن النجومي ٥٩
٢٧ - عثمان دقنة ٦٢
٢٨ - حمدان ابوعنجة ٦٥
٢٩- الزاكي طمل ٦٨
٣٠ - رابحة الكنانية ٧٠
٣١ - محمد عثمان أبوقرجة ٧٢
٣٢ - عبدالقادر ود حبوبة ٧٤
٣٣ - الخليفة محمد شريف ٧٧
٣٤ - علي دينار ٧٩
٣٥ - عبدالمحمود نورالدائم ٨١
٣٦ - قريب الله أبوصالح ٨٣

٣٧ - عبدالباقي المكاشفي ٨٥
٣٨ - عبيد حاج الأمين ٨٧
٣٩ - بابكر بدري ٨٩
٤٠ - علي الميرغني ٩١
٤١ - عبدالرحمن المهدي ٩٤
٤٢ - يوسف الهندي ٩٧
٤٣ - حسين شريف ٩٩
٤٤ - محمد سعيد العباسي ١٠١
٤٥ - عبدالفضيل الماظ ١٠٤
٤٦ - علي عبداللطيف ١٠٦
٤٧ - عبدالله خليل ١٠٨
٤٨ - أحمد محمد صالح ١١٠
٤٩ - محمد عثمان عبده البرهاني ١١٣
٥٠ - عمر محمد عمر البنا ١١٥
٥١ - إبراهيم عبود ١١٧
٥٢ - إسماعيل الأزهري ١٢٠
٥٣ - محمد أحمد المحجوب ١٢٣
٥٤ - أحمد خير المحامي ١٢٦
٥٥ - الشيخ علي عبدالرحمن ١٢٨
٥٦ - عبدالحليم محمد ١٣٠

٥٧ - التجاني الماحي ١٣٢
٥٨ - الصديق المهدي ١٣٤
٥٩ - محمد طلعت فريد ١٣٦
٦٠ - التجاني يوسف بشير ١٣٨
٦١ - محمد هاشم الهدية ١٤١
٦٢ - ابراهيم الكاشف ١٤٣
٦٣ - بشير النفيدي ١٤٥
٦٤ - الهادي المهدي ١٤٧
٦٥ - سرالختم الخليفة ١٥٠
٦٦ - عبدالله الطيب ١٥٢
٦٧ - إدريس جماع ١٥٤
٦٨ - عائشة الفلاتية ١٥٧
٦٩ - عبدالرحيم البرعي ١٥٩
٧٠ - حسين الهندي ١٦١
٧١ - جعفر محمد نميري ١٦٣
٧٢ - عبدالخالق محجوب ١٦٥
٧٣ - محمد ابراهيم نقد ١٦٧
٧٤ - هاشم العطا ١٦٩
٧٥ - حسن حسين ١٧١
٧٦ - محمد نور سعد ١٧٣

٧٧ - حسن الترابي ١٧٥
٧٨ - يس عمر الامام ١٧٨
٧٩ - الرشيد الطاهر بكر ١٨٠
٨٠ - الطيب صالح ١٨٢
٨١ - عثمان حسين ١٨٤
٨٢ - محمد وردي ١٨٦
٨٣ - الفاضل سعيد ١٨٩
٨٤ - الطيب عبدالله محمد علي ١٩١
٨٥ - مهدي الفكي ١٩٣
٨٦ - عبدالرحمن سوار الذهب ١٩٥
٨٧ - الصادق المهدي ١٩٧
٨٨ - أحمد الميرغني ١٩٩
٨٩ - فاطمة عبدالمحمود ٢٠١
٩٠ - الزبير محمد صالح ٢٠٣
٩١ - عمر بليل ٢٠٥
٩٢ - محجوب عبيد ٢٠٧
٩٣ - محمد مفتاح الفيتوري ٢٠٩
٩٤ - أمين محمد زكي ٢١١
٩٥ - سامي عزالدين ٢١٤
٩٦ - محمد الحسن سالم حِمَيّد ٢١٦

٩٧ - مصطفى سيد أحمد ٢١٨
٩٨ - محمود عبدالعزيز ٢٢٠
٩٩ - محمد سيد حاج ٢٢٣
قائمة المصادر والمراجع ٢٢٥
الفهرس ..... Error! Bookmark not defined.